مرثية حزينة لنهاية عصر الغرب الأميركي

ص15

جبران باسيل وزير يتهمه اللبنانيون بنبش القبور لصالح حزب الله

ص8

نصف قرن على خطوة أرمسترونغ العملاقة

ص7

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2019/07/21

18 ذو القعدة 1440

السنة 42 العدد 11414

Sunday 21/07/2019

42nd Year, Issue 11414

هل ينحاز رئيس الاستخبارات إلى المنشقين عن أردوغان

هاكان فيدان صديق لعبدالله غول ويحلم بالسير على خطى أحمد داود أوغلو

أنقرة – دفع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أقرب أصدقائه إلى الابتعاد عنه ولم يبق سوى رئيس الاستخبارات الوطنية هاكان فيدان. وينظر إلى دور فيدان على أنه محوري وأن بيده الانحياز إلى عملية التغيير التي يترقبها الأتراك، خاصة أنه صديق مقرب من الرئيس السابق عبدالله غول كما أن خروجه يربك أردوغان ويقوّي الجبهة المعارضة التي تضم قيادات بارزة في طريقها إلى مغادرة حزب العدالة والتنمية الحاكم.

ولا يخفي هاكان فيدان رغبته في لعب دور سياسي، وقد سعى إلى ذلك بعد أن أنهى قيادة جهاز الاستخبارات لمدة خمس سنوات.. كان يخطط لأن يكون نائبا في البرلمان ثم وزيرا للخارجية، فرئيسا للوزراء على خطى أحمد داود أوغلو، لكن أردوغان أطاح بأحلام رئيس استخباراته السياسية.

ويتمركز فيدان وجهاز الاستخبارات الوطنية الذي يديره ويتحكم فيه في قلب الدولة مباشرة، وقد ظل رئيس الاستخبارات إلى الآن يصطف دائما مع الجانب الفائز.

كما أن الوسائل التي يحتفظ بها بوصفه رئيسا لجهاز الاستخبارات لا تزال قوية، وقد يضعها تحت تصرف حزب جديد مثل الحزب الذي يستعد علي باباجان لتشكيله بهدف إعادة تصويب سياسة حزب العدالة والتنمية الذي يحتكر أردوغان قيادته ويوظفه لخدمة نفسه وتعبيد الطريق أمام خططه لإحكام القبضة على السلطة.

وبالنظر إلى احتكار جهاز الاستخبارات للأنشطة الاستخباراتية، فستكون مساهمته لصالح أردوغان أو صديقه القديم غول لها أهمية كبرى.

ويعتمد مصير فيدان على ما إذا كان بإمكانه اختيار الطرف الفائز مرة أخرى.

وكان فيدان ضابطا في القوات المسلحة قبل الاستقالة للبدء في العمل كأكاديمي. وتشير تقارير إلى أنه قُدم إلى أردوغان من قبل بشير آتالاي، وهو وزير دولة في أول حكومة لحزب العدالة والتنمية، وتولى أيضا منصبي وزير الداخلية ونائب رئيس الوزراء.

ويقول أحمد سيفير، السكرتير الصحافي للرئيس السابق عبدالله غول، إن غول هو الذي اكتشف فيدان.

وبعد تعيينه في وكالة التعاون والتنسيق التركية في عام 2003، منحه أداؤه مكانة خاصة لدى أردوغان. وخلال تلك الفترة، تم استخدام وكالة التعاون والتنسيق التركية للتأثير على السياسة من خلال أحزاب الأقليات التركية في منطقة البلقان، وإنشاء جماعات ضغط مؤيدة لأردوغان في القوقاز وآسيا الوسطى وأفريقيا.

وعرّف فيدان الوكالة بأنها أحد أفرع "القوة الناعمة" لتركيا، وقام بإدارتها كنوع من أنواع المؤسسات الاستخباراتية. وتطور هذا إلى فلسفته في وقت لاحق كرئيس لجهاز الاستخبارات الوطنية.

وحرصا على تقوية فيدان، وقف أردوغان وراء سلسلة من التعديلات القانونية التي حصنت العاملين في جهاز الاستخبارات الوطنية. كما أمر بتسليم أكبر منشأة للمراقبة في البلاد إلى جهاز الاستخبارات.

وبعد محاولة الانقلاب عام 2016، أصبح حلم فيدان حقيقة واقعة. فقد استخدم أردوغان سلطات الطوارئ بعد محاولة الانقلاب لإصدار مرسوم يربط جهاز الاستخبارات الوطنية بالرئاسة، وتم تشكيل مجلس تنسيق الاستخبارات الوطنية. ولأول مرة في التاريخ، تم منح جهاز الاستخبارات سلطة جمع المعلومات في الجيش التركي.

وعرف عن فيدان أنه وراء حملة تفكيك ما بات يعرف بالكيان الموازي في تركيا، أي أنصار الداعية المقيم في الولايات المتحدة فتح الله كولن.

ولا يخفي رئيس الاستخبارات رغبته في لعب دور سياسي، والاستقالة من رئاسة الجهاز بعد خمس سنوات من قيادته. لكن خطط فيدان لدخول السياسة عرقلها أردوغان. ففي عام 2015، استفاد فيدان من الاستقالة من جهاز الاستخبارات. وكان أحمد داود أوغلو، الذي تولى للتو منصب رئيس الوزراء، سعيدا للغاية بوضعه على قوائم الانتخابات البرلمانية في تلك السنة.

لكن أردوغان عارض بشدة هذه الخطوة، قبل أن يعود فيدان إلى رئاسة الجهاز. وأدى ذلك إلى تسارع وتيرة الانقسام بين أردوغان وداود أوغلو. وكان هذا هو السبب وراء تسرع فيدان ليصبح نائبا وخططه بشأن دور وزير الخارجية. فقد تمنى أن يصبح رئيس الوزراء القادم بعد داود أوغلو.

وهكذا اضطر فيدان إلى تأجيل طموحاته السياسية. وهو في طريقه ليقضي أطول فترة في رئاسة جهاز الاستخبارات الوطنية.

هل يلعب هاكان فيدان دور المنقذ

ويبدو أن الاتحاد المقدس حول الرئيس التركي قد بدأ بالتصدّع، كما تظهر الخطوات غير المسبوقة لرئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو ووزير الاقتصاد السابق علي باباجان، فقد انتقد الاثنان، في الأسابيع الأخيرة، توجهات تركيا تحت إدارة أردوغان.

ولئن قلل أردوغان من أهمية التهديد الذي يشكّله الرجلان، فإن خبراء يرون أنه لن يقف مكتوف اليدين أمام الانشقاقات.

وترى ليسل هينتز من جامعة جون هوبكينز أن أردوغان "قد يحارب كل ما يرى فيه تهديدا للهيمنة التي يجسدها".

ويرى الباحث إيمري أردوغان من جامعة بيلغي في إسطنبول، أن بروز شخصية منشقة عن حزب العدالة والتنمية كخصم جديد قد يكون له أثر "تدميري" لأردوغان في الانتخابات المقبلة المقررة عام 2023.

ليسل هينتز

أردوغان سيحارب كل ما يرى فيه تهديدا لهيمنته

أيمري أردوغان

بروز خصم جديد من العدالة والتنمية له أثر تدميري لأردوغان

الرئيس التونسي يفوّت الآجال على تعديلات قانونية على مقاس التحالف الحاكم

تونس – حسم الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي الجدل بشأن التعديلات التي أدخلت على القانون الانتخابي، والتي وصفت بأنها قوانين على مقاس التحالف الحاكم، وأنها بمثابة قانون للعزل السياسي ضد شخصيات تتبوّأ مراتب متقدمة في استطلاعات الرأي.

وأكد المستشار السياسي للسبسي، نورالدين بن تيشة، أن الرئيس التونسي لم يختم القانون الأساسي المتعلق بإتمام وتنقيح قانون الانتخابات الذي كان صادق عليه البرلمان، الثلاثاء 18 يونيو 2019.

وقال بن تيشة في تصريح لوكالة تونس أفريقيا للأنباء، السبت، إن السبسي لم يختم القانون لأنه "يرفض منطق الإقصاء ويرفض أن يمضي تعديلات قدت على المقاس لجهات معينة"، مؤكدا أن الرئيس هو الحامي لدستور يناير 2014 والضامن لإجراء انتخابات نزيهة وشفافة.

وكشف عن أن السبسي سيتوجّه بخطاب خلال الأيام القليلة القادمة يوضح فيه كل النقاط الخاصة بموضوع التعديلات.

ويقول مراقبون إن هذا الموقف يؤكد حياد مؤسسة الرئاسة التونسية عن الصراعات الحزبية، وأنها تتمسك بدورها في حماية الدستور وضمان تنفيذ بنوده ومنع العبث بها مهما كانت الجهة المستفيدة أو المتضررة.

وراهن المراقبون على أن مؤسسة الرئاسة لم تكن لتقبل أي شكل من الإقصاء السياسي الذي تضمنته تعديلات على قانون الانتخابات مثيرة للجدل وسط اتهامات للتحالف الحاكم، أي حركة النهضة وحزب رئيس الحكومة يوسف الشاهد، بالتخطيط لاحتكار السيطرة على البرلمان.

وعبرت حركة النهضة عن قلقها لعدم توقيع الأمر الرئاسي الذي يقر التعديلات في قانون الانتخاب، رغم انتهاء المدة القانونية لذلك. ودعت الكتل البرلمانية والأحزاب إلى المسارعة بالاجتماع والتشاور من أجل معالجة تداعيات هذه الوضعية، واقتراح الترتيبات المناسبة للخروج منها.

وصادق برلمان تونس على تعديلات مثيرة للجدل للقانون الانتخابي في يونيو الماضي، تقضي بتقييد شروط الترشح إلى التشريعية والرئاسية، وستمهّد عمليا لإبعاد مرشحين بعينهم.

وشملت التعديلات شرط الحصول على نسبة 3 بالمئة كحدّ أدنى (عتبة) لعبور الانتخابات التشريعية، ومنع ترشّح كل من ثبتت استفادته من استعمال جمعية أو قناة تلفزيونية للإشهار السياسي (الدعاية السياسية) أو كل من مجّد الدكتاتورية أو توجّه بخطاب يدعو إلى الكراهية والعنف.

وفي غياب محكمة دستورية تأخر وضعها منذ 2015، تولت هيئة وقتية لمراقبة دستورية القوانين النظر في طعن تقدم به نواب ضد القانون في البرلمان وأفضى ردّ الهيئة إلى رفض الطعن.

وأحيل القانون على رئيس الجمهورية لتوقيعه قبل نشره بالرائد الرسمي (الجريدة الرسمية) أو إحالته للاستفتاء الشعبي أو إعادته إلى البرلمان من أجل قراءة ثانية، لكن لم يحصل شيء من هذا في الآجال التي حددها الدستور في الفصل 81 على الأقل.

ويفترض أن تبدأ الهيئة العليا المستقلة للانتخابات في تلقي ملفات الترشح إلى التشريعية، الاثنين 22 يوليو، ولا يعرف ما إذا كان سيتم اعتماد القانون الانتخابي قبل التعديل أو بنسخته المعدلة.

ويطرح هذا الوضع حتى الآن تأويلات دستورية متضاربة.

وقال أستاذ القانون الدستوري ورئيس "شبكة دستورنا" جوهر بن مبارك، إن القانون الانتخابي يعدّ مختوما ويمكن نشره في حال لم يوقعه الرئيس في الآجال المحددة في الفصل 81.

وفي كل الأحوال فإن امتناع الرئيس عن إجازة هذا القانون قد يفضي إلى أزمة سياسية معقدة من الناحية الدستورية.

وكتب السياسي عصام الشابي أمين عام الحزب الجمهوري على صفحته بموقع فيسبوك "إذا حصل ولم يقم رئيس الجمهورية -لا قدر الله- بما يمليه عليه الواجب الدستوري، فإنه سيضع بذلك البلاد في مواجهة أزمة غير مسبوقة بتعطيله عمل دواليب ومؤسسات الدولة، عشية فتح الهيئة العليا المستقلة للانتخابات الباب أمام تقديم الترشحات للانتخابات التشريعية القادمة".

وقبل أسابيع تفادت تونس أزمة دستورية في الحكم بسبب غياب محكمة دستورية، أثناء مرض الرئيس السبسي في يونيو الماضي.

واشنطن تطلق عملية «الحارس» لحماية الملاحة في مضيق هرمز وباب المندب

اليمنيون يراهنون على تغيير في المزاج الدولي من الأنشطة العدائية للحوثيين

صالح البيضاني

عدن – أعلنت القيادة المركزية في الجيش الأميركي، السبت، "تطوير عملية بحرية في الخليج تحت اسم (الحارس) لضمان حرية الملاحة في ضوء تصاعد التوتّر مع إيران".

وينظر إلى هذا الإجراء على أنه خطوة عملية لوقف الاستهداف الإيراني لأمن الملاحة كما أنه قد يفتح أبواب مراجعة الموقف الدولي المتساهل في اليمن بما سمح لطهران بتركيز نفوذ قوي عبر وكلائها في اليمن الذين باتوا يهدّدون أمن الملاحة فضلا عن الأمن القومي لدول مثل السعودية.

وقالت القيادة، في سلسلة تغريدات عبر "تويتر"، إنه تطوير مجهود بحري في الخليج لزيادة المراقبة والأمن في المجاري المائية الرئيسية في الشرق الأوسط.

وتأتي هذه الخطوة عقب إعلان إيران توقيف ناقلة نفط بريطانية في مضيق هرمز لـ"عدم مراعاتها القوانين البحرية الدولية".

وأضافت القيادة أن عملية "الحارس" تهدف إلى تعزيز الاستقرار البحري، وضمان المرور الآمن، وخفض التوترات في المياه الدولية في جميع أنحاء الخليج، ومضيقي هرمز وباب المندب، فضلا عن خليج عمان.

ويراهن اليمنيون على أن تضع هذه الخطوة في حسابها تصرفا جديا تجاه الحوثيين الذين توظفهم إيران في تهديد أمن الملاحة كما أمن دول الإقليم.

وكشفت مصادر محلية في محافظة الحديدة غربي اليمن عن ارتباك واسع في صفوف المتمردين الحوثيين بعد قرار الولايات المتحدة إطلاق عملية "الحارس" لحماية الملاحة في مختلف المضايق وبينها باب المندب، وسط مخاوف من أن تكون قواتهم في مرمى الانتقام الأميركي من إيران.

وأكدت المصادر لـ"العرب" استمرار الحوثيين بحشد التعزيزات العسكرية للحديدة ومواصلة حفر الخنادق والحواجز العسكرية، في مؤشر على استعداد لاستئناف المعارك مع القوات اليمنية، أو تحسبا لضربات أميركية.

وأعلن التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن، السبت، عن البدء بعملية وصفها بالنوعية طالت أهدافا عسكرية في محافظة صنعاء.

وقال بيان صادر عن التحالف إن قائمة الأهداف المشمولة بالقصف الجوي تضم مواقع للدفاع الجوي ومواقع تخزين الصواريخ الباليستية، بهدف الحدّ من التهديدات التي تمثلها تلك المواقع على حركة الملاحة الجوية لطائرات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية.

ووفق تصريح إعلامي للناطق الرسمي باسم التحالف، العقيد تركي المالكي، تمكنت مقاتلات التحالف من تدمير خمسة مواقع للدفاع الجوّي وموقع لتخزين الصواريخ الباليستية، امتدادا لعمليات سابقة للتحالف.

ويأتي الإعلان عن العملية بعد أيام قليلة من إعلان الحوثيين عن تطوير صواريخ وطائرات مسيرة جديدة، يعتقد خبراء أنها قادمة من إيران.

واعتبر مراقبون يمنيون أن التحولات التي يشهدها الملف اليمني باتت أكثر ارتباطا بالتوتّر الغربي الإيراني، وعلى صلة بالإعلان السعودي عن موافقة الرياض على استقبال قوات أميركية "لرفع مستوى العمل المشترك في الدفاع عن أمن المنطقة واستقرارها وضمان السلم فيها".

وأكد الباحث السياسي اليمني فارس البيل في تصريح لـ"العرب" أن أزمة اليمن لم تكن منذ البداية بمعزل عن الصراع في المنطقة، حيث كانت واحدة من الأوراق التي تمكنت إيران من تحويلها إلى أدوات ضغط في إطار الصراع ومحاولات التمدد.

ولفت إلى أن الأزمة في اليمن تدخل منعطفا جديدا بعد أن استطاعت طهران إعاقة التوصل إلى حلّ سياسي في اليمن عبر تغذية التعنت الحوثي والدفع باتجاه تكريس حالة اللاسلم واللاحرب.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

دعم منتخب الجزائر لمطالب التغيير يحرج السلطة

السلطة تحاول افتكاك فرحة التتويج بـ«الكان» من الحراك الشعبي

في انتظار انتصار إرادة الشارع

تتويج المنتخب الجزائري بالكأس الأفريقية استثنائي يتزامن مع فترة انتقالية تمرّ بها الجزائر أعقاب استقالة الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة، ويحيي آمال الجزائريين في تحقيق انتصارات سياسية موازية بفرض مطالب الحراك الشعبي بتغيير النظام الحاكم بشكل كامل.

صابر بليدي
صحافي جزائري

الجزائر – تزامنت تتويجات الجزائر بالكأس الأفريقية لكرة القدم بالظروف الاستثنائية السياسية في البلاد، ففي تسعينات القرن الماضي حين حظيت بأول لقب أفريقي، كانت تعيش الجزائر تجربة الانفتاح السياسي والديمقراطي التي صاحبتها مخاوف الانزلاق، وتتويج الجمعة يتزامن مع وضع مشابه مع انتفاضة الشارع ضد السلطة من أجل التغيير الجذري في البلاد.

وساد جدل كبير قبيل لعب المنتخب الجزائري مباراة نهائي الكأس الأفريقية، على خلفية التساؤل حول من يمثل الدولة في المنصة الشرفية، في ظل الفراغ السياسي الذي تعيشه البلاد، لاسيما في ظل الرفض الشعبي لرموز الواجهة المدنية لسلطة الأمر الواقع، كرئيس الدولة المؤقت عبدالقادر بن صالح، ورئيس حكومة تصريف الأعمال نورالدين بدوي.

وفيما دعت بعض الأطراف في الجزائر إلى عدم حضور أي وجه من وجوه السلطة للمحفل الأفريقي، تفاديا لأي استفزاز للجماهير الكبيرة التي انتقلت إلى القاهرة لمناصرة المنتخب والتأثير على معنويات أشبال المدرب جمال بلماضي، فإن أطرافا أخرى أصرت وشنت حملة دعائية على شبكات التواصل الاجتماعي من أجل عدم تصدير الأزمة إلى خارج الحدود، والدعوة إلى تصفية الحسابات الداخلية بعيدا عن أنظار العالم.

وتجلى بشكل واضح الحرج على مسؤولي الدولة في التعامل مع الشعبية المتصاعدة للمنتخب في الأسابيع الأخيرة، وخوفهم من انفلات الأمر من بين أيديهم، حيث خرج، السبت، الآلاف من المشجعين لاستقبال حافلة المنتخب من مطار الجزائر إلى وسط العاصمة، بعد تتويج المنتخب بلقب بطولة كأس أمم أفريقيا عقب فوزه على السنغال 1 / صفر الجمعة في المباراة النهائية.

> انتصار المنتخب الجزائري، انتصار استثنائي يرتقي إلى أن يكون انتصارا يكرس حتمية التغيير والانتقال في كل المؤسسات ومفاصل الدولة

ولأن الانتصار تزامن مع زخم الحراك الشعبي الذي دخل شهره السادس، فإن تعاطف منتخب الجزائر، مع شعبه في إرادة التغيير السلمي للنظام السياسي في البلاد، وفتح صفحة جديدة تتواءم مع طموحات الشباب الجزائري، وجدت سلطة الأمر الواقع نفسها مضطرة للانخراط في المسار بالتجند لتنظيم جسر جوي بين الجزائر والقاهرة.

واتضح ذلك في تصريحات متتالية للمدرب جمال بلماضي، وبعض لاعبيه لوسائل الإعلام الجزائرية والعربية والدولية، حول وقوف المنتخب بجانب شعبه وافتخاره بالطابع السلمي والمتحضر للحراك الشعبي، وهو ما يكون قد أزعج ضمنيا القائمين على شؤون سلطة الأمر الواقع بعدما تأكدوا من افتقاد حليف ناجع لامتصاص الغضب الشعبي.

وقال اللاعب المخضرم عدلان قديورة، في الندوة الصحافية التي سبقت مباراة نهائي الكأس الأفريقية، بأن "المنتخب فخور بشعبه الذي أكد للعالم سلميته وتحضره خلال المسيرات التي أذهلت الجميع، وأن المنتخب عازم على تحقيق طموحاته وفرحته ويساعده على تحقيق أهدافه".

وبدوره ذهب المدرب جمال بلماضي، في أكثر من تصريح، إلى "فخره واعتزازه بالشعب الجزائري وبالحراك الشعبي، وبالعمل على بذل الجهد والعطاء من أجل صناعة الفرحة لهؤلاء.. سنقاتل وسنفوز من أجل إسعاد شعبنا"، وهي رسالة واضحة على تعاطف رأس المنتخب ولاعبيه مع شعبهم، مما صنع حليفا قويا للشارع في معركة التغيير ضد السلطة".

واتضحت الصورة بشكل كبير في التسجيلات التي بثها لاعبون من المنتخب في حساباتهم الخاصة على شبكات التواصل الاجتماعي، يرددون فيها جماعيا أغاني الحراك الشعبي، خاصة أغنية "ليبرتي" (الحرية)، في رسالة قوية لانخراط صناع نصر الجزائر بالقاهرة في زخم مشروع التغيير السياسي في البلاد.

وإذ دأب المنتخب على اختزال اختلافات الجزائريين في مناسبات عديدة، رغم مساره المتذبذب خلال السنوات الماضية، ووصفه بـ"الحزب الكبير" الذي يجمع عليه كل الجزائريين باختلاف توجهاتهم وخلفياتهم وتصوراتهم، فإن النسخة الأخيرة من المنتخب، صنعت الاستثناء والتجربة الفريدة في البلاد، انطوت على العديد من الرسائل السياسية المعبر عنها في الشارع، في ما يتعلق بضرورة الانتقال من جيل الثورة إلى جيل الاستقلال.

وأبان المنتخب الجزائري عن عزيمة وروح وطنية قوية وتضحية كبيرة، تؤكد على أن البلاد في حاجة إلى كل أبنائها خاصة المهمشين والمقصيين ووضع الثقة فيهم، فقد كان بلماضي خيارا ثالثا لمسؤولي الاتحاد لما كانوا بصدد اختيار مدرب المنتخب، وكان العديد من صانعي ملحمة القاهرة مهمشين من طرف المدربين والمسؤولين السابقين، مما يؤكد سوء تدبير شؤون المنتخب طيلة السنوات الماضية، والأمر ينسحب على جميع القطاعات والمؤسسات.

ويوحي انتصار المنتخب الجزائري أنه بقدر ما صنع فرحة شعبية رياضية كانت ستكون عادية لو كانت البلاد في وضع عادي، إلا أن الطابع الاستثنائي يرتقي به إلى أن يكون انتصارا يكرس حتمية التغيير والانتقال في كل المؤسسات ومفاصل الدولة، لأن التتويج بالكأس الأفريقية أكد على أن البلاد بإمكانها الخروج من المأزق السياسي، متى عادت المأمورية لأبنائها القادرين والمخلصين بعيدا عن الإقصاء والتهميش والاحتكار الأزلي للسلطة.

البوليساريو تحرّض على الفوضى في العيون المغربية

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

الرباط – استغلت عناصر انفصالية بمدينة العيون (جنوب المغرب) أجواء الاحتفالات بتتويج المنتخب الجزائري بكأس أمم أفريقيا، للقيام بأعمال تخريبية، أدت إلى وفاة شابة مغربية. وفتحت السلطات المختصة تحقيقا تحت إشراف النيابة العامة من أجل تحديد ملابسات هذه الوفاة وتوقيف كل من ثبت تورطه في أحداث الشغب الأخيرة.

وقال بيان للمحافظة، السبت، إن "مدينة العيون شهدت ليلة أمس الجمعة، أحداثا تخريبية موازاة مع الاحتفالات بفوز المنتخب الجزائري بكأس أفريقيا لكرة القدم، أسفرت عن تسجيل وفاة شابة تبلغ من العمر 24 سنة بالمستشفى، بعد أن تم نقلها في حالة حرجة من الشارع العام". وتابع البيان قائلا "اضطرت القوات العمومية (الشرطة) إلى التدخل من أجل حماية الممتلكات الخاصة والعامة، حيث استمرت المواجهات إلى حدود الساعة الثالثة صباحا".

وخلفت الأحداث أعمالا تخريبية في الشارع الرئيسي لمدينة العيون، شملت السطو على أحد فروع البنوك في العيون حيث تم إحراق واجهته، وتكسير واجهات المحلات التجارية بالإضافة إلى تسجيل إصابة العشرات من عناصر الشرطة بجروح متفاوتة الخطورة أربعة منهم حالتهم خطيرة.

وأكدت المصالح الأمنية أن هؤلاء العناصر كانوا مدفوعين من طرف جهات معادية، لاستغلال أجواء الاحتفالات العفوية لعموم المواطنين من أجل القيام بأعمال تخريبية ونهب الممتلكات، ما اضطر قوات الأمن إلى التدخل.

وعمد العشرات من الانفصاليين إلى ارتداء أقنعة على وجوههم وتكسير سيارات الأمن والاستيلاء على البعض منها، بعدما اندسوا بين الجموع لإحداث الفوضى واستهداف رجال الأمن والمؤسسات العمومية.

واعتبر متابعون أن هذه الأعمال استفزازية وتحريضية، كما لم يستبعد هؤلاء أن تكون أحداث الشغب مدبرة وذات أبعاد سياسية.

وقال نوفل بوعمري، المحلل السياسي والخبير في قضية الصحراء إن ما حدث بمدينة العيون يبدو أنه تم التخطيط والإعداد له سلفا من قبل التنظيمات الموالية للبوليساريو التي يظهر أنها تشتغل بمنطق الخلايا النائمة التي تتحرك عند إعطائها شفرة التحرك لتخريب مدن الصحراء وعلى رأسها مدينة العيون.

وأشارت مصادر إلى أن البحث لا يزال جاريا من أجل اعتقال كل المتورطين في أحداث الجمعة، وتقديمهم إلى العدالة. وهناك تسجيلات منشورة ومعممة تظهر من كان يقوم بالتحريض، والرشق بالحجارة والتخريب.

وشدد بوعمري "على ضرورة تطبيق القانون بشكل صارم لفرض سلطته وسلطة الدولة وهيبتها، وللتأكيد على أن سلطة الدولة قائمة في مواجهة الأعمال التخريبية وغيرها من مناورات البوليساريو".

وأوضح مراقبون أنها ليست المرة الأولى التي يقوم فيها انفصاليو الداخل بالأقاليم الجنوبية بافتعال أعمال الشغب والعنف وإلحاق أضرار بالممتلكات الخاصة والعامة وترويع المواطنين، وذلك لاستفزاز قوات الأمن، ليتسنى لهم بعد ذلك اتهامها بالاعتداء عليهم وانتهاك حقوق الإنسان.

وتعرض مقر قناة العيون المحلية لرشق بالحجارة من طرف الانفصاليين، والتي كانت قد بثت ريبورتاجات في نشرة الأخبار وعبر برنامج الفضاء الرياضي، تواكب المتابعة الواسعة التي تلاقيها فعاليات نهائيات كأس أفريقيا وتشجيع الجماهير المغربية للمنتخب الوطني، وكذلك منتخب الجزائر.

وأشار متابعون للشأن الصحراوي أن البوليساريو تريد عبر هذه الأحداث التخريبية تخفيف الاحتقان الداخلي بسبب الانتهاكات الحقوقية المتواصلة، مشيرين كمثال إلى اختطاف مولاي أبا، أحد منسقي "المبادرة الصحراوية للتغيير" المعارضة لقيادة البوليساريو، من مخيمات تندوف.

والسبب الإضافي لهذه الأحداث التخريبية هو أن هذه العناصر الموالية لبوليساريو لم يعد لها ما تقدمه سياسيا وتنظيميا فقامت باستغلال احتفالات كرة القدم من أجل التهييج ودفع القاصرين والشباب للاصطدام مع الأمن وتخريب المدينة، وهي صورة تعكس حجم الأزمة التي تعيشها الجبهة الانفصالية وفشلها السياسي.

> العناصر الموالية للبوليساريو لم يعد لها ما تقدمه سياسيا وتنظيميا، لذلك قامت باستغلال احتفالات كرة القدم من أجل التهييج ودفع القاصرين والشباب للاصطدام مع الأمن

وأشار بوعمري، إلى أن هذه الأحداث تتزامن مع الإعلان عن زيارة مرتقبة للمنطقة من طرف مسؤولين من أجل التدشين والوقوف على مختلف المشاريع التنموية التي تم الإعلان عنها سابقا وهو ما يخيف الجبهة وامتداداتها التخريبية بالمنطقة.

وتأتي أحداث العيون الأخيرة بموازاة مع زيارة يقوم بها وفد وزاري إلى الأقاليم الجنوبية يتقدمه رئيس الحكومة سعدالدين العثماني.

وبيّن العثماني أن هذه أول زيارة جهوية للحكومة لجهات الأقاليم الجنوبية للمملكة، والتي تهدف إلى دعم الجهوية المتقدمة، وتجسيد سياسة القرب والإنصات، عبر التواصل مع المنتخبين ورؤساء الجماعات (البلديات) على مستوى الجهة، من أجل التعرف على المشكلات التي تواجهها الجهة، وكيفية سير ورش تنزيل الجهوية المتقدمة، وكذلك تقدم المشروعات على المستوى الجهوي.

وأشار رئيس الحكومة المغربية إلى أن المنهجية المعتمدة في هذه الزيارات، تقوم أساسا على انتقاء فريق حكومي للزيارة يتناسب وأولويات الجهة، حيث تتم مناقشة أوضاعها بشكل مسبق لتقييم المشاريع التي تسير بوتيرة طبيعية، والمشاريع التي قد تعاني من صعوبات أو تعثرات في إنجازها، مع العمل على جعل الزيارة مناسبة لتجاوز الصعوبات والمشاكل العالقة.

وحذّر مراقبون من أن الخلايا النائمة بالأقاليم الجنوبية الموالية لجبهة البوليساريو تتحين الفرص للتشويش على كل المبادرات الهادفة إلى تطوير الجهات الجنوبية اقتصاديا وتنمويا، على اعتبار أن أي تقدم يحدث في هذه المنطقة على مستوى العمران والاستثمار يفند كل الأكاذيب التي تروجها الجبهة الانفصالية، ويعريها أمام المؤسسات العالمية التي تزور الأقاليم وتقف على المنجزات هناك.

الانفصاليون ينغصون فرحة الجماهير المغاربية

الإفراج عن البغدادي المحمودي لدواع صحية

طرابلس – أعلنت وزارة العدل في حكومة الوفاق الوطني ومقرها طرابلس، السبت، الإفراج "لدواع صحية" عن البغدادي المحمودي آخر رئيس وزراء في عهد معمر القذافي، الذي صدر بحقه حكم بالإعدام قبل أربعة أعوام.

وكان المحمودي اعتقل في 2011 في جنوب تونس عندما كان يحاول التسلل إلى الجزائر المجاورة، قبل ترحيله إلى ليبيا في يونيو عام 2012.

وقالت الوزارة في بيان على صفحتها الرسمية على موقع فيسبوك إن قرارها الإفراج عن المحمودي جاء "بناء على توصية من اللجنة الطبية المختصة، بشأن ضرورة خضوع المعني لرعاية طبية خاصة في مراكز متقدمة خارج المؤسسات العقابية".

وأضافت أن هذه الخطوة تمت "استجابة لاعتبارات الرأفة والرحمة الإنسانية التي تشكل جوهر مبادئ حقوق الإنسان، دون أن يعدّ ذلك إنهاء للمتابعة القضائية للمعني".

والبغدادي المحمودي الذي أدين بمحاولة قمع الانتفاضة الشعبية التي انطلقت شرارتها في فبراير 2011 وجلب المرتزقة إلى جانب إهدار المال العام، هو أحد ثمانية مسؤولين سابقين في نظام العقيد الراحل معمر القذافي، صدرت بحقهم أحكام الإعدام "رميا بالرصاص" من قبل محكمة ليبية في 2015. ولم ينفذ الحكم نظرا لعدم مصادقة المحكمة العليا الليبية عليه. وتقدم محاميه بطعن في حكم محكمة الاستئناف والمطالبة بإيقاف تنفيذه.

وواجه المحمودي، إضافة إلى مجموعة من رموز القذافي، تهما جنائية عدة، بينها قتل المتظاهرين العزل في 2011، وإشعال الحرب الأهلية، وارتكاب جريمة الإبادة الجماعية.

وكان البغدادي المحمودي أكد في تصريحات نقلها عنه محاموه، عندما كان معتقلا في تونس، تمويل القذافي لحملة نيكولا ساركوزي الانتخابية في 2007 بخمسين مليون يورو. وغرقت ليبيا في فوضى أمنية وسياسية بعد الإطاحة بنظام الزعيم الراحل معمر القذافي أواخر عام 2011.

وتدير البلاد خصوصا، حكومتان متنافستان: الأولى حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليًا ويديرها فايز السراج، والثانية سلطة موازية في شرق البلاد يدعمها "الجيش الوطني الليبي" بقيادة المشير خليفة حفتر. ويخوض الجيش الليبي حاليا معركة في العاصمة الليبية طرابلس لتحريرها من الإرهاب وسطوة الميليشيات، ويثق الجيش أن في تطهير ليبيا من الجماعات الإرهابية خطوة أساسية لخلق ظروف مواتية لحل سياسي دائم ينهي الصراع الدائر في البلد منذ سنوات.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

مخاطر استمرار الفراغ تدفع القوى الثورية السودانية لمراجعة مواقفها

مفاوضات أديس أبابا تبحث إعادة هيكلة قوى الحرية والتغيير

أجبر الخلاف بين القوى الثورية إلى اللجوء لمراجعات في المواقف السياسية المحكمة لقطع الطريق أمام انهيار الاتفاق الدستوري. وباتت الفرصة مواتية لإنهاء حالة الفراغ المستمرة عبر دمج طلبات الحركات المسلحة مع الحرية والتغيير لتقديم صورة كاملة لما يأمله الشارع السوداني.

إعادة الثقة بين القوى المدنية والحركات المسلحة هدف المرحلة الحالية

الخرطوم – أحرزت المفاوضات التي تجريها قوى الحرية والتغيير السودانية والجبهة الثورية، التي تضم بداخلها أهم الحركات المسلحة، تقدما ملحوظا بعد يومين من اللقاءات التي بدأت الجمعة- بعد انضمام الوسيط الأفريقي محمد حسن لبات إليها- ومن المتوقع أن تستمر الأحد.

وقالت مصادر مطلعة حضرت الاجتماعات، لـ"العرب"، إن الطرفين اتفقا على تشكيل لجنتين؛ الأولى ستكون مهمتها إعادة الهيكلة السياسية لقوى الحرية والتغيير من الداخل بما يسمح بتمثيل كافة الأطراف الموجودة داخلها باللجان التنسيقية والتفاوضية لتمثل المرجعية الأساسية للتواصل مع جميع الأطراف الخارجة عنها. واللجنة الثانية لمناقشة رؤية السلام التي طرحتها الجبهة الثورية تمهيدا للوصول إلى توافق بشأنها ومحاولة إلحاق بنودها بالإعلان الدستوري.

> مشاركة الاتحاد الأفريقي في المفاوضات التي تجريها القوى المدنية والحركات المسلحة هدفها الأساسي تفويت الفرصة على حدوث انتكاسات للاتفاق السياسي الموقع

وأضافت المصادر ذاتها أن قيادات الجبهة الثورية استمعوا إلى دوافع قوى الحرية والتغيير للإقدام على توقيع الاتفاق السياسي من دون الرجوع إليهم في وقت كانت هناك مشاورات مستمرة بين الطرفين منذ 12 يوليو الجاري للوصول إلى اتفاق سلام يفضي إلى مشاركة الحركات المسلحة في مؤسسات المرحلة الانتقالية.

وأوضحت أن الاجتماعات توافقت على أن يكون هناك مراجعة لجملة من المواقف السياسية التي تسببت في زيادة الفجوة بين قوى الحرية والتغيير وانعكست على هشاشة الاتفاق السياسي الذي جرى توقيعه الأربعاء الماضي. ويضاف إيجاد حلول توافقية حول كيفية إدراج ما ستتوصل إليه تلك الاجتماعات كبنود ملحقة في الاتفاق الموقع مسبقا والإسراع في مناقشات الإعلان الدستوري على أسس توافقية من قبل المعارضة قبل المكوث مجددا على طاولة المفاوضات مع المجلس العسكري.

ويشارك في مفاوضات أديس أبابا كلاً من الحركة الشعبية لتحرير السودان فرع الشمال بقيادة مالك عقار وياسر عرمان وخميس جلاب ومبارك أردول، التي تقاتل في منطقتي جبال النوبة والنيل الأزرق، وحركة تحرير السودان بقيادة مني أركو مناوي والعدل المساواة بقيادة جبريل إبراهيم- وهما اللتان تقاتلان في إقليم دارفور- بحضور وفد من قوى الحرية والتغيير انضم إليها مؤخرا عمر الدقير رئيس حزب "المؤتمر السوداني" وعضو الوفد المفاوض مع المجلس العسكري.

وكانت حركة العدل والمساواة قد أعلنت رفضها خطوة توقيع الاتفاق السياسي، في أعقاب الإعلان عنه مباشرة، وقالت إن الوثيقة لم تتضمن قضايا الحرب والسلام والنازحين واللاجئين والعدالة. واستنكرت إقدام بعض مكونات قوى الحرية والتغيير على تلك الخطوة بعيداً عن الجبهة الثورية.

ويرى مراقبون أن مشاركة الاتحاد الأفريقي في المفاوضات التي تجريها القوى المدنية والحركات المسلحة هدفها الأساسي تفويت الفرصة على حدوث انتكاسات للاتفاق السياسي الموقع والحفاظ على ما جاء فيه من بنود والإضافة إليها إن اقتضى الأمر ذلك، وأن قوى الثورة حرصت على هذا التواجد للسبب ذاته لإدراكها أن استمرار حالة الفراغ الحالية تصب في صالح الثورة المضادة التي تنتظر الفرصة المناسبة لاستعادة حضورها.

وقال محمد زكريا، الناطق باسم الجبهة الثورية، إن الاجتماعات تستهدف أولا إعادة الثقة بين الحركات المسلحة والقوى المدنية باعتبارهما شركاء في الثورة، وذلك يجري الآن من خلال الاستماع إلى دوافع الحرية والتغيير نحو توقيع الاتفاق السياسي وإبراز النقاط الإيجابية بداخله.

وأضاف، في تصريحات لـ"العرب"، أن اللقاءات تسعى إلى التعامل مع بعض التعقيدات التي أفرزها الاتفاق السياسي، والذي سيكون هناك صعوبة في تنفيذه من دون توافق القوى الثورية والشارع، وبالتالي سيكون هناك ملحق على الاتفاق السياسي يحمل رؤية مشتركة بين الحرية والتغيير والجبهة الثورية ووضع بنود مشتركة للإعلان الدستوري لتلافي ما حدث في السابق.

وتواجه اجتماعات أديس أبابا عدة تحديات وتطرح جملة من التساؤلات حول ما إذا كان الاتفاق السياسي نهائيا وأصبح أمرا واقعا أم أن مسألة إدخال تعديلات عليه ستكون غير مقبولة من المجلس العسكري؟ وهل سيتم التعامل مع رؤية السلام التي من المتوقع أن تصل إليها الأطراف المجتمعة في أديس أبابا ضمن الإعلان الدستوري أم ستكون منفصلة عنه؟

وأفصح زكريا، لـ"العرب"، عن أبرز بنود السلام التي تطرحها الجبهة الثورية، "أولها إعمال مبدأ التمييز الإيجابي للحركات المسلحة بشأن بعض النصوص الواردة في الاتفاق السياسي، كالنص الخاص بحظر ترشح المشاركين في هياكل المرحلة الانتقالية في الانتخابات التالية لها، ونطالب بأن يكون ذلك ساريا على الأطراف المدنية باعتبار أن مشاركة الحركات المسلحة في الفترة الانتقالية ستكون من أجل الإشراف على إنفاذ بنود اتفاق السلام في المناطق المتضررة من الحروب (دارفور والنيل الأزرق)".

وتنص بنود السلام أيضا على الإسراع في إجراءات بناء الثقة بين الحركات المسلحة والمجلس العسكري تمهيدا لدخول قيادات تلك الحركات إلى الداخل، وذلك من خلال إسقاط البلاغات الكيدية ضدها من قبل نظام البشير وإعادة النظر في البلاغات الجنائية.

ويعتبر زكريا أن مجمل هذه البلاغات القانونية سياسية بالأساس، ويستهدف إسقاطها مشاركة الجبهة الثورية في المرحلة الانتقالية من الداخل مع بقية المؤسسات والكيانات السياسية.

وأوضح أن أحد بنود السلام يحتوي على ضرورة إرجاء تشكيل هياكل المجلس السيادي والتشريعي والتنفيذي إلى ما بعد اتفاق السلام. وترى الحركات المسلحة أن فترة الشهرين كافية للوصول إلى هذا الاتفاق، وبالتالي يستمر الوضع على ما هو عليه وإبقاء سلطة المجلس العسكري وإن اقتضت الضرورة تشكيل حكومة تصريف أعمال لحين توقيع الاتفاق الذي ستنتقل الحركات المسلحة بموجبه من الخارج إلى الداخل.

غير أن مصادر بالحرية والتغيير أكدت، لـ"العرب"، رفضها هذا المقترح ومعتبرة إياه تمديدا لتواجد المجلس العسكري ويشكل إرباكا للمرحلة الانتقالية بشكل عام، موضحة أن الاجتماعات التي بدأت في ساعة مبكرة أمس السبت، تناقش ذلك البند تحديدا ومن المتوقع أن تكون هناك حلول توافقية بشأنه عبر إسناد تلك المهمة إلى الحكومة الانتقالية المشكلة لإنجاز ملف السلام بشكل كامل خلال 6 أشهر.

وقال حيدر إبراهيم، رئيس مركز الدراسات السودانية بالقاهرة، إن هناك روحا إيجابية تسود اجتماعات أديس أبابا للتوافق على تلك النقاط بالإضافة إلى إدراج ملاحظات قوى الإجماع الوطني والحزب الشيوعي ضمن الوثيقة التي ستخرج بها تلك المفاوضات وسيتم الإعلان عنها عند التوافق بشأنها.

وأضاف، لـ"العرب"، "من المتوقع أن يصل المجتمعون إلى ما يمكن تسميته بالملحق السياسي سيتم عرضه بوساطة الاتحاد الأفريقي على المجلس العسكري تمهيدا لدمجه بالاتفاق السياسي، من دون أن يمس ذلك بالنقاط الأساسية التي قام عليها الاتفاق المعلن عنه".

اعتقال المشتبه به الرئيسي في هجوم أربيل

أربيل (العراق) – اعتقلت السلطات الأمنية في إقليم كردستان العراق، السبت، الكردي التركي مظلوم داغ المشتبه في تورطه بقتل نائب القنصل التركي بإطلاق نار في أربيل، بحسب ما أفاد بيان رسمي.

وأعلن مجلس أمن الإقليم في بيان، "نحيط المواطنين علما بأن المتهم مظلوم داغ الذي نشرت صورته على صفحة مكافحة إرهاب كردستان، ألقي القبض عليه من قبل مديرية أسايش أربيل وقوات مكافحة الإرهاب".

وأضاف البيان أن قوات الأمن تواصل البحث عن إرهابيين آخرين، يشتبه في صلتهم بالحادث، دون الكشف عن عددهم وهوياتهم.

وكانت قوات مكافحة الإرهاب التابعة للإقليم أعلنت، الجمعة، أن الشخص المشتبه في تورطه بقتل نائب القنصل التركي في أربيل، كردي تركي يبلغ من العمر 27 عاما، وأنه "من أهالي دياربكر في تركيا وهو مطلوب من قبل السلطات الأمنية في إقليم كردستان". فيما أكدت وكالة الأناضول الرسمية التركية أنه شقيق برلمانية تركية معارضة.

ونشرت قوات مكافحة الإرهاب في الإقليم بلاغ بحث مرفقا بصورتين لشاب بشعر أسود ولحية مشذبة، وبدا أن إحدى الصورتين التقطتها كاميرا مراقبة.

وأدى إطلاق النار، الأربعاء، إلى مقتل الدبلوماسي التركي عثمان كوسيه، الذي دفن الخميس في أنقرة، وعراقيين اثنين في مطعم في أربيل.

وقد ذكرت وكالة الأناضول أن مظلوم داغ هو شقيق البرلمانية ديرسيم داغ من حزب الشعوب الديمقراطي الموالي للأكراد في تركيا، وثاني قوة معارضة في البرلمان يتهمها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بأنها على صلة بحزب العمال الكردستاني.

من جانبه، ندد حزب الشعوب الديمقراطي في بيان بما اعتبره "محاولة استفزاز غير مقبولة إطلاقا"، مدينا في الوقت نفسه هجوم أربيل.

وتوعدت أنقرة، التي تمتلك قواعد عسكرية بشمال العراق، بـ"الردّ المناسب" على هذا الاعتداء.

ولم تعلن أي جهة مسؤوليتها عن الهجوم في شمال العراق، حيث يتواجد متمردون أكراد إيرانيون وأتراك.

لكن المتحدث باسم الجناح العسكري لحزب العمال الكردستاني ديار دنير نفى أن تكون للحزب علاقة بالهجوم. مع ذلك، يشير العديد من الخبراء إلى المسؤولية المحتملة لحزب العمال الكردستاني الذي أعلن مؤخرا عن مقتل مسؤولين خلال الغارات التركية في العراق.

احتجاز إيران لناقلة نفط يعزّز المخاوف من الانزلاق نحو الحرب

لندن – عزّز احتجاز إيران لناقلة نفط ترفع علم بريطانيا في مضيق هرمز المخاوف من الانزلاق نحو الحرب في ظل تصاعد التوتر بين واشنطن وطهران، وذلك من خلال ردود الفعل القلقة للعديد من الحكومات الغربية عقب هذه الحادثة.

وقالت إيران السبت إنها احتجزت ناقلة نفط ترفع علم بريطانيا لأنها كانت طرفا في حادث تصادم، لكن وزير الخارجية البريطاني قال إنه يخشى أن تكون إيران سلكت "طريقا خطيرا"، فيما عبرت قوى أوروبية أخرى عن القلق.

وأبلغ وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف نظيره البريطاني جيرمي هانت هاتفيا بضرورة أن تمر قضية احتجاز الناقلة التي ترفع علم بريطانيا عبر عملية قانونية، في حين حذر هانت من "عواقب خطيرة ما لم يتم حل المسألة بسرعة". وقال "نحن لا نبحث في الخيارات العسكرية، بل في الخيارات الدبلوماسية لحل المسألة".

وذكرت وكالة أنباء فارس أن الحرس الثوري الإيراني سيطر على الناقلة "ستينا إمبيرو" في مضيق هرمز الجمعة بعد تصادمها بقارب صيد إيراني وتجاهلها لنداء الاستغاثة الذي أطلقه.

ونقلت الوكالة عن الله مراد عفيفي بور، المدير العام للموانئ والملاحة البحرية بإقليم هرمزجان في جنوب إيران، قوله إن الناقلة ستبقى مع طاقمها في ميناء بندر عباس لحين الانتهاء من التحقيق في الحادث.

وانضمت فرنسا وألمانيا إلى بريطانيا في إدانة احتجاز الناقلة. والدول الثلاث من الموقعين على الاتفاق النووي المبرم مع إيران في عام 2015 والذي قوّضته واشنطن بانسحابها منه العام الماضي مما دفع العلاقات الهشة أصلا بين إيران والغرب لمزيد من التراجع.

وقالت وزارة الخارجية الفرنسية "علمنا بقلق بالغ باحتجاز قوات إيرانية لسفينة بريطانية... ندين الأمر بقوة ونعبر عن تضامننا الكامل مع المملكة المتحدة".

وقال المتحدث باسم وزارة الخارجية الألمانية إن أي تصعيد آخر في التوتر بالمنطقة "سيكون خطيرا للغاية... وسيقوض كل الجهود القائمة لإيجاد سبيل للخروج من الأزمة الحالية".

وقال الرئيس الأميركي دونالد ترامب الجمعة إنه سيتحدث مع بريطانيا بشأن احتجاز الناقلة -الذي دفع أسعار النفط للارتفاع فوق 62 دولارا للبرميل- والذي أدانته البحرين التي تستضيف الأسطول الأميركي الخامس.

وقال هانت إن رد لندن على احتجاز الناقلة سيكون "مدروسا لكن قويا" وإن بريطانيا ستضمن سلامة نقلها البحري.

واتهم إيران بالإقدام على الرد بالمثل على احتجاز البحرية البريطانية للناقلة الإيرانية جريس1 في جبل طارق في الرابع من يوليو للاشتباه في أنها تهرب النفط إلى سوريا في انتهاك لعقوبات الاتحاد الأوروبي. وكتب هانت على تويتر، السبت، "تحرك الأمس في الخليج يبعث بإشارات مقلقة بأن إيران ربما تختار طريقا خطيرا من سلوك غير قانوني ومزعزع للاستقرار بعد الاحتجاز المشروع لناقلة نفط متجهة إلى سوريا في جبل طارق".

وقالت حكومة بريطانيا إنها نصحت بابتعاد عمليات النقل البحري البريطانية عن منطقة مضيق هرمز لفترة مؤقتة.

وقال الميجر جنرال محسن رضائي، وهو سياسي بارز وقائد كبير بالحرس الثوري الإيراني- على تويتر- إن طهران لا تسعى أيضا للحرب "لكننا لن نخفق في الرد بالمثل".

وكتب ظريف، على تويتر أيضا، أن طهران هي الضامن للأمن في الخليج والمضيق.

ونقلت وكالة الطلبة الإيرانية للأنباء عن عفيفي بور قوله إن الناقلة لا تحمل أي شحنة وإنه من الممكن التحدث مع طاقمها المؤلف من 23 فردا، بينهم 18 هنديا، بشأن أمور فنية.

وقالت وزارة الخارجية الهندية إنها تسعى جاهدة إلى إخلاء سبيل مواطنيها من أفراد الطاقم وإعادتهم إلى بلدهم.

وقالت شركة "ستينا إمبيرو" المشغلة للناقلة الجمعة إن الناقلة كانت "ملتزمة تماما بجميع قواعد الملاحة واللوائح الدولية"، لكنها لن تتمكن من الاتصال بها.

وكانت الناقلة متجهة إلى السعودية وغيّرت مسارها فجأة بعد عبور مضيق هرمز الذي يقع عند مدخل الخليج ويمر عبره خُمس إمدادات النفط العالمية.

وجاءت هذه الحادثة بعد ساعات من إعلان محكمة في جبل طارق تمديد احتجاز ناقلة نفط إيرانية لثلاثين يوماً بعد أسبوعين من ضبطها في عملية شاركت بها البحرية الملكية البريطانية، للاشتباه بأنّها كانت متوجّهة إلى سوريا لتسليم حمولة من النفط في انتهاك لعقوبات أميركية وأوروبية.

استفزازات إيران واضحة

> الخارجية الألمانية تعتبر أن أي تصعيد آخر في التوتر بالمنطقة سيكون خطيرا للغاية وسيقوّض جهود الخروج من الأزمة الحالية

ووجهت الولايات المتحدة أصابع الاتهام إلى إيران في سلسلة هجمات على سفن الشحن في مضيق هرمز منذ منتصف مايو. وترفض طهران الاتهامات.

وقالت واشنطن أيضا إنها أسقطت الأسبوع الماضي طائرة إيرانية مسيرة بالقرب من موقع احتجاز الناقلة "ستينا إمبيرو".

وترسل واشنطن قوات وموارد عسكرية إلى السعودية للمرة الأولى منذ الغزو الأميركي للعراق في 2003، وتزداد المخاوف الدولية من انزلاق واشنطن وطهران إلى حرب في الممر المائي الاستراتيجي.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

انتخابات 2019 في تونس.. مقاطعة شعبية وصراع مواقع وليس برامج

خطوات متثاقلة لعبور باب الفوضى السياسية والمرور نحو مرحلة أكثر نضجا

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لا تحمل المؤشرات أملا في تغيير المشهد السياسي في تونس بعد ثماني سنوات من الثورة، وعلى العكس يتجه الوضع إلى المزيد من الارتباك، حتى في أهم العناصر التي تحققت، ونعني هنا التجربة السياسية التي لا تزال هشة ومتغيرة وسط صراعات حامية على التموقع في السلطة وحتى داخل الأحزاب.

كان المتوقع أن تكون هذه الفترة كافية لتكوين تكتلات أو توجهات حزبية كبرى تعكس تنوع المشاريع والمشارب السياسية والفكرية، لكن هذا لم يحصل بشكل كلي، إذ أن التكتلات التي اتضحت معالمها في انتخابات 2014 مثلا تراجعت واختلطت بشكل لم يبق في الواجهة سوى حركة النهضة.

والنهضة فقدت بدورها المجموعات المساندة التي تمثل فناءها الخلفي الافتراضي في حالة التحالف البرلماني مثل حزب الرئيس السابق المنصف المرزوقي، وقد غيّر الحزب اسمه مرارا وخرجت عنه مجموعات وغيرت أسماءها ووجوهها بحيث لم يعد المتابع الدقيق يميز بينها.

لقد جاءت انتخابات الإعادة في بلدية باردو المهمة لتقدم صورة صارخة عن اتجاهات الرأي العام الانتخابي، إذ لم تتجاوز نسبة المشاركة 12 بالمئة، في منطقة تتميز بالثقل السياسي، وهو ما يدفع إلى تشاؤم واسع بشأن نسبة المشاركة في الانتخابات التشريعية والرئاسية.

وإلى الآن تتهرب الأحزاب والمجموعات الصغيرة التي تستعد للانتخابات من الإجابة عن سؤال: لماذا تتراجع نسب المشاركة وترتفع نسب المقاطعة؟ وطالما أن الإجابة مؤجلة، فإن لا أحد سيعرف حجم تدني هذه النسب في المواعيد القادمة على الجميع، وحتى الذين يراهنون على التصويت العقابي ليصعدوا فإن صعودهم سيكون محدودا ولن يحدث أي فارق.

ومن المنطقي أن حركة النهضة هي الوحيدة التي ستستفيد من تدني نسب المشاركة وعزوف الشباب بصفة خاصة عن التصويت، فهي تمتلك جمهورا شبه ثابت قياسا بغيرها، مع أن هذا الجمهور بدأ بالتراجع والانكماش بسبب تواضع أداء الحركة في الملفات الحيوية لدى الشارع الذي يعتبرها الطرف الأول في الحكم المسؤول عن الفشل الحكومي برغم أنها تناور بالتضحية بوزراء من نصيبها في اقتسام السلطة حتى لا تبدو في الواجهة.

ولا شك أن نتائج انتخابات باردو، وقبلها الانتخابات المحلية، مؤشر قوي على أن العملية السياسية لم تعد تحظى بالشعبية الكافية، بسبب التركيز على صراع النفوذ واقتسام السلطة وإهمال القضايا المعيشية للناس التي ارتفع سقف مطالبها بعد الثورة.

لكن النتائج كانت صادمة، إذ لم تحمل الثورة، أو لنقل الجهات التي استلمت إدارة البلاد باسم الثورة، أي بدائل، كما أنها عجزت عن توفير مستوى معيشي في حده الأدنى للفئات الاجتماعية الضعيفة، ولم يعد خافيا أن هذه الفئات فقدت امتياز تدخل الدولة الذي كانت تحصل عليه قبل الثورة، وهو تدخل محدود لكنه كان محميّا بالتحكم في الأسعار والضغط على التضخم والحفاظ على قيمة الدينار.

لكن دولة الثورة، التي تحررت من اتهامات الارتهان للخارج وفساد العائلة المالكة التي كانت تحاصر نظام بن علي، أعادت رهن الاقتصاد التونسي ليس فقط للصناديق الدولية، ولكن للوبيات الفساد والتهريب والاحتكار، وبات المواطن الذي ينتمي في السابق إلى الطبقة المتوسطة عاجزا عن تحقيق مستوى معيشي متوازن، فما بالك بالطبقات الفقيرة والمهمشة التي ارتفع عدد المنتمين إليها في التصنيف الاجتماعي بعد تقلص الطبقة المتوسطة.

وفي ظل غياب مؤشرات جدية على تصحيح مسار الثورة عبر صناديق الاقتراع أو عبر انتفاضة شعبية جديدة على منظومة الحكم، فإن الشارع ليس لديه من خيار سوى مقاطعة الانتخابات وإظهار غضبه على الدولة الفاشلة وأدواتها السياسية والاجتماعية.

ولا تبدي الأحزاب السياسية قلقها تجاه انسحاب الناخبين وسط حرب كواليس للتوصل إلى ترتيبات تفضي إلى قوائم قادرة على المنافسة في الانتخابات التشريعية التي تفضي إلى تثبيت الأحزاب الفائزة في المشهد ما يعطيها الحق في الحصول على منابها من السلطة.

وتقول دوائر مقرّبة من الأحزاب الفاعلة إن الأولوية الآن للانتخابات وبعد ذلك سيتم التفاعل مع تطورات الوضع الاجتماعي، وهذا مبرّر واه للتهرب من الاستحقاقات التي على الأحزاب لعبها سواء أكانت في السلطة أو على هامشها.

ومن الواضح أن الطبقة السياسية مطمئنة إلى غياب ردود فعل شعبية عنيفة خاصة في ظل توزع النفوذ على الإعلام بين الأطراف المؤثرة، وتحريكه وفق أجندات محسوبة لا يعنيها أبدا الضغط لتطوير أوضاع الناس.

يضاف إلى ذلك غياب المعارضة واتحاد الشغل وتحوّلهما إلى جزء من لعبة تقاسم المنافع التي تدفع نحو استمرار ديمقراطية شكلية وغير ممثلة يمكن تطويعها لتحقيق أجندات محلية تابعة.

كما أن المجموعات الجديدة الصاعدة أو الأشخاص المثيرين للجدل مثل رجل الأعمال نبيل القروي أو عبير موسي لا يظهرون بوصفهم نقيضا جذريا لمنظومة الحكم، ولكن يتم تصعيدهم في سياق تغيير الوجوه والاستفادة من صراع الشقوق وليس صراع البرامج، وهو ما يفسر غياب أي رغبة في تكوين جبهة موحّدة لوقف تقدّم النهضة.

وقابلت عبير موسي بحدة التسريبات عن تحالف محتمل بين حزبها الحزب الدستوري الحر وبين حزب البديل لمهدي جمعة، رئيس الحكومة السابق والذي يحظى باهتمام إعلامي بالغ، كما جاء في مرتبة ثانية بانتخابات باردو. واتهمت موسي جمعة بأنه واجهة للنهضة.

ويحاول جمعة أن يبدو أكثر تماسكا في الأفكار والردود أكثر من غيره داخل المنظومة، ورغم أنه لا يمتلك داخل حزبه البديل قيادات ذات وزن سياسي أو قدرة خطابية وكاريزما، لكن المؤشرات الأولى تقوده إلى طرف رئيسي في منافسة النهضة.

وحرص ممثلو جماعة عيش تونسي على تكذيب تصريحات نسبت لسميرة الشواشي، القيادية في حزب قلب تونس لنبيل القروي، عن اتصالات لدراسة تحالف حكومي ما بعد الانتخابات التشريعية، وهو ما يعني أن الأحزاب التي توصف بالوسطية والليبرالية لم تتشكل كمشاريع اجتماعية يمكن أن تمثل بديلا للتحالف الحكومي الحالي، ولكن هي واجهة لأشخاص هدفهم مواجهة النهضة في ملعب الانتخابات، وهو قصور كبير في الرؤية لأن الحد من نفوذ الإسلاميين يحتاج إلى مشاريع للتغيير الاجتماعي وليس إلى تحرك منفرد مهما كان وزن صاحبه وحجم الدعم الذي يتلقاه.

والنهضة نفسها لا تخفي ورطتها في مجاراة إلحاحية المسألة الاجتماعية في المستقبل، وأنها لو نجحت في الصعود للبرلمان، فإن أزمة كبرى ستتفجر بوجهها، وهي أزمة البطالة وتدني القدرة الشرائية وارتفاع الأسعار والتخلي التدريجي عن الدعم المخصص للمواد الأساسية، وهو تخل التزمت به حكومة الشاهد والنهضة في سياق تنفيذها لشروط صندوق النقد الدولي.

في غياب مؤشرات جدية على تصحيح الثورة عبر صناديق الاقتراع أو عبر انتفاضة جديدة على منظومة الحكم، فإن الشارع ليس لديه من خيار سوى مقاطعة الانتخابات وإظهار غضبه على الدولة الفاشلة وأدواتها السياسية والاجتماعية

وأعلن رئيس حركة النهضة راشد الغنوشي في خطاب ألقاه منذ أيام أن حركته ستنتقل إلى مرحلة الدفاع عن المستضعفين بالمناطق الداخلية والمهمشة تنمويا، منتقدا التفاوت التنموي بين الجهات.

ويكشف هذا الخطاب عن إحساس بأن اللعبة بلغت أقصاها وتحتاج إلى استدارة سريعة، وأن شماعة الانتقال الديمقراطي وتركيز المؤسسات لم تعد تقنع ليس فقط الشارع التونسي، ولكن أيضا جمهور النهضة ومنتسبيها الذين ثاروا منذ أيام على خيارات داخلية في التنظيم ذي الخلفية الإخوانية.

والمفارقة أن الغنوشي، الذي يحاول طمأنة جمهوره بأن المسألة الاجتماعية ستكون في قلب اهتمامات حزبه، عاد بهم إلى خطاب الثمانينات، الذي كانت فيه التنظيمات الإخوانية منبهرة بشعارات ثورة 1979 في إيران، في تناقض كامل مع مسار تسويق الحركة للغرب ولدوائر النفوذ في الداخل بأنها حركة مدنية تونسية.

الديمقراطية المزيفة

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

عند اندلاع الانتفاضات الشعبية التي أطاحت بالأنظمة في تونس وليبيا ومصر واليمن، تعددت التحاليل بشأنها واختلفت. بعضها ذهبت إلى القول إن تلك الانتفاضات قد تكون شبيهة بتلك التي حدثت في أوروبا في عام 1848 والتي سميت هي أيضا بـ"ربيع الشعوب"، وكان الهدف منها إرساء الديمقراطية في بلدان كانت شعوبها تعاني من الاستبداد وكبت الحريات وسوء توزيع الثروات واضطهاد الأقليات.

وشبّهت تحاليل أخرى الانتفاضات العربية بتلك التي أسقطت الأنظمة الشيوعية في أوروبا الشرقية أواخر عقد الثمانينات من القرن الماضي. وظني أن مثل هذه التحاليل قد تكون مضللة، وبالتالي قد توقعنا في أخطاء وتؤدي إلى استنتاجات لا علاقة لها بالواقع، وتحجب عنا العديد من الحقائق الجوهرية، وتخفي الخصوصيّات التاريخية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

أولى الحقائق هي أن انتفاضات سنة 1848 في البلدان الأوروبية كانت قد سبقتها ثورات وانتفاضات شعبية كثيرة، أطاحت بأنظمة وبعروش مثلما هو حال الثورة الفرنسية. أما الانتفاضات التي أسقطت الأنظمة الشيوعية فقد حدثت في بلدان كانت لها تقاليد عريقة في النضال من أجل الديمقراطية منذ القرن التاسع عشر. كما أن النخب فيها كانت قد مهدت لها من خلال ظاهرة ما كان يسمى في ذلك الوقت بـ"المثقفين المنشقين". وعلينا أن نشير أيضا إلى أن الانتفاضتين المذكورتين كانتا خاليتين من المطالب الدينية. أما البلدان العربية فكان لها مسار تاريخي آخر، بل يمكن القول إن لكل بلد عربي مساره التاريخي الخاص به بحيث لا يمكن مقارنته بالبلد العربي الذي يجاوره، وحركة النهضة التي برزت بتأثير من النخب المنفتحة على الحضارة الغربية بمكوناتها السياسية والثقافية والصناعية وغيرها لم تشمل جميع البلدان العربية.

وطالب المصلحون الذين أبرزتهم حركة النهضة بالفصل بين الدين والدولة. كما قاوموا الكثير من مظاهر الاستبداد والتحجر الفكري والديني. لكنهم منيوا بفشل ذريع عكس النخب الغربية. ومن بين أسباب الفشل هو أن القوى الرجعية والسلفية تصدت بعنف لكل دعوات الإصلاح والتنوير مستندة في ذلك إلى أن تلك الدعوات هي في الحقيقة صادرة من الغرب الاستعماري.

وبعد حصول البلدان العربية على استقلالها، مارست الأنظمة التي صعدت إلى السلطة كل أشكال العنف ضد النخب التي تطالب بالإصلاح، تاركة للقوى الرجعية الطريق مفتوحا للهيمنة على المجتمعات باسم الانتصار للدين. لذلك، تمكنت هذه القوى من استغلال الانتفاضات الشعبية لتهيمن على المشهد السياسي. بل إن هذه القوى المتمثلة في الحركات الإسلامية، تصرفت وكأنها هي المفجرة لتلك الانتفاضات ليحق لها أن تكون مستفيدة من نتائجها أكثر من القوى السياسية الأخرى.

لذا سارعت بمصادرة المطالب الديمقراطية لخدمة أهدافها المتمثلة في جعل الدين مرجعا أساسيا في تسيير شؤون الدولة، مُلغية بذلك عنصرا جوهريا في كل نظام ديمقراطي، أعني بذلك فصل الدين عن الدولة. كما أن هذه القوى اعتمدت على الدين للحد من تأثير النخب التحديثية، زاعمة أن هذه النخب عميلة للغرب، وخادمة لمخططاته المعادية للإسلام.

ومعنى هذا أن هذه القوى تعمل راهنا على إقامة أنظمة ثيوقراطية جديدة قد تكون أشد عنفا من تلك التي أسقطتها انتفاضات ما سمي بـ"الربيع العربي"، جاعلة من الديمقراطية المزيفة أداة أساسية لإنجاح واستكمال مشروعها.

أس–400 يسقط أف–35 التركية

مغادرة الصف الأميركي ستكون مكلفة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لديه مشاكل كثيرة من بينها الارتجال والانفعال والشبق إلى السلطة وعدم معرفته بما تستطيع تركيا عمله وما لا تستطيع عمله وأين يجب أن تتوقّف. لم يسمع بالمثل القائل: رحم الله امرئ عرف قدر نفسه، فوقف عنده.

لكنّ المشكلة الأكبر للرئيس التركي رجب طيب أردوغان تتمثّل في رفضه التعلّم من أخطائه، أخطاء الماضي القريب جدّا. من هذا المنطلق، يبدو طبيعيا خروج تركيا من بين المساهمين في تطوير مشروع طائرة أف– 35 الأميركية، وهي طائرة المستقبل. فعل ذلك من أجل الحصول على شبكة صواريخ روسية مضادة للطائرات من طراز أس– 400. ما الأهمّ بالنسبة إلى دولة مثل تركيا. البقاء على علاقة جيّدة مع الولايات المتحدة ولاعبا أساسيا في إطار الحلف الأطلسي (ناتو)... أو السقوط في الفخّ الروسي مع ما يعنيه ذلك من إسقاط الصواريخ الروسية أف –35 التركية؟

أسقطت مقاتلة تركية قاذفة روسية في تشرين الثاني – نوفمبر 2015 في الأجواء التركية أو السورية. ليس معروفا لماذا يصرّ أردوغان على دفع ثمن غال لذلك الخطأ الذي عرف فلاديمير بوتين كيف يردّ عليه بطرق مختلفة. شملت تلك الطرق حرمان تركيا من السياح الروس. أثّر ذلك كثيرا على الاقتصاد التركي، لكنّه لم يكن مبررا للاستسلام الكامل لموسكو والاعتقاد أنّه صار في استطاعة تركيا أن تكون في حلف الأطلسي ساعة تشاء وفي المعسكر الروسي عندما يناسبها ذلك. كان مفترضا بأردوغان التفكير مرّتين قبل عقد صفقة أس–400 مع روسيا. هل المشاركة في مشروع طائرة أف –35 مجرّد حدث عادي أم لا؟ بالطبع إن تلك المشاركة ليست حدثا عاديا لدولة مثل تركيا، خصوصا بالنسبة إلى الصناعة العسكرية التركية التي كانت ستصبح شريكا في إنتاج الطائرة. فوق ذلك، كان طيارون أتراك يتدرّبون في الولايات المتحدة على أف– 35.

قررت إدارة دونالد ترامب إعادة هؤلاء إلى بلدهم قبل نهاية تموز – يوليو الجاري. فضّلت تركيا الابتعاد عن الولايات المتحدة واعتبار نفسها في غنى عن حلف الأطلسي. هل هي قادرة على ممارسة دور جديد يريده أردوغان لبلده مع ما يترتب على مثل هذا الدور من نتائج؟

مرّة أخرى، تبدو حسابات الرئيس التركي خاطئة. كان عليه التعلّم من درس عمره تسع سنوات عندما أراد تحويل نفسه إلى مدافع شرس عن القضيّة الفلسطينية عن طريق المزايدة على الفلسطينيين أنفسهم بشكل خاص والعرب عموما. انتهت مغامرة الرئيس التركي الفلسطينية بفشل كبير لتركيا بعدما منع الإسرائيليون بالقوّة وصول السفن التي أرسلها مع المواد الغذائية التي فيها إلى غزّة. عادت السفن من حيث أتت. على الرغم من كلّ ما حدث، لم يتعلّم أردوغان شيئا عن ضرورة التوقف عن ممارسة سياسة تقوم على الارتجال.

> **تركيا فضّلت الابتعاد عن الولايات المتحدة واعتبار نفسها في غنى عن حلف الأطلسي. هل هي قادرة على ممارسة دور جديد يريده أردوغان لبلده مع ما يترتب على مثل هذا الدور من نتائج؟**

ما حصل بعد تلك المغامرة غير المحسوبة، التي كانت بمثابة بيع أوهام إلى الفلسطينيين، أن العلاقات تدهورت بين تركيا وإسرائيل. فقدت تركيا بعض النفوذ الذي كان يمكن أن تمارسه على حكومة بنيامين نتنياهو من أجل الحدّ من الحصار الذي هو في نهاية المطاف مصلحة مشتركة بين "حماس" وحكومة اليمين الإسرائيلي.

لم يستوعب أردوغان، المؤمن بأيديولوجيا الإخوان المسلمين، أنّ "حماس" التي يدعمها، إنّما تستفيد من الحصار الإسرائيلي كي تتحكّم أكثر بغزّة وأهلها، فيما تعمل إسرائيل على جعل الملثّم الذي ينتمي إلى "حماس" الصورة التي تريدها للفلسطيني في العالم. نجحت إسرائيل بفضل "حماس" في تحويل نفسها إلى ضحيّة للإرهاب في حين أنّها تمثّل الإرهاب الحقيقي، وهو إرهاب الدولة التي تؤمن بتكريس الاحتلال لأرض الغير.

انتهي الأمر بتحوّل أردوغان إلى مسيء للفلسطينيين وقضيتهم ومجرد مزايد آخر عليهم. هذا ما حدث بالفعل في العام 2010 عندما أرسل أردوغان أسطول مساعدات إلى غزّة مدّعيا أنّه يريد كسر الحصار الإسرائيلي الظالم على القطاع. لم يدر في خلده أنّ أفضل خدمة كان يمكن أن يؤديها إلى الفلسطينيين هو دعوة "حماس" إلى التعقّل والتوقف عن ممارسات لا تصبّ إلّا في مصلحة إسرائيل التي انسحبت من قطاع غزّة بالكامل صيف العام 2005.

ما ينطبق على الفلسطينيين، ينطبق إلى حدّ كبير على السوريين. صحيح أنّ تركيا وفّرت ملاذا وتسهيلات لمئات آلاف السوريين الذين نزحوا إليها ابتداء من العام 2011، لكنّ الصحيح أيضا أنّ الوعود التركية للسوريين بالسعي إلى تحريرهم من النظام الأقلوي، نظام البراميل المتفجّرة، بقيت وعودا.

انتهى أردوغان حليفا لروسيا في سوريا أحيانا وحليفا لإيران في أحيان أخرى. لا وجود لسياسة تركية واضحة تجاه سوريا، لا لشيء سوى أن روسيا وإيران شريكان، كلّ على طريقته، في الحرب على الشعب السوري، وهي حرب مستمرّة منذ العام 2011.

استطاع الرئيس التركي تفويت كلّ الفرص التي كان يمكن أن تسمح لبلده بأن يكون لاعبا إقليميا. أضاع هذا الدور عن طريق الحلف غير المقدّس الذي أقامه مع إيران وعن طريق السعي إلى استرضاء الروسي. مثل هذه السياسة العرجاء لا تدل سوى على أمر واحد اسمه الضياع. بمراهنته على إمكان الجمع بين طائرة أف–35 وصواريخ أس–400، أخذ أردوغان تركيا إلى مزيد من الضياع على الصعيدين الإقليمي والدولي. كيف يمكن تفسير كلّ هذه الأخطاء المتراكمة، التي زاد عددها منذ صار الرجل رئيسا للجمهورية وللحكومة في الوقت ذاته رافضا أن يكون لديه أي شريك في السلطة؟ يكمن التفسير الوحيد في أن أردوغان يرفض الاعتراف بأنه يمكن أن يخطئ وبأن أهمّ ما يستطيع السياسي عمله هو الاستفادة من أخطائه بعد الإقرار بها طبعا.

الأكيد أن أردوغان استطاع إيصال تركيا إلى وضع لا تحسد عليه. من الواضح أنّ الرجل عنيد جدّا وأنّه مصرّ على التفرّد بالسلطة مستفيدا من امتلاكه قاعدة شعبية واسعة في الريف التركي. الأهمّ من ذلك كلّه، أنّه لا يعرف الكثير عمّا يدور في المنطقة والعالم. إنّه أسير الفكر العقيم للإخوان المسلمين. الفارق بينه وبين غيره من داعمي الإخوان في مصر وفلسطين وكلّ مكان آخر في المنطقة أنّه شخص أيديولوجي يؤمن بأنّ للفكر الذي صنعه حسن البنّا مستقبلا في حين أنّه فكر لا ينتمي سوى إلى كلّ ما له علاقة بالتخلّف.

من يفكّر مليّا في كيفية سقوط تركيا مع طياريها في مشروع أف–35 لا يمكن إلّا أن يطرح سؤالا بسيطا هو: تركيا إلى أين؟ الجواب بكلّ بساطة إنّ وضعها الداخلي سيزداد تدهورا ما دام أردوغان يعجز عن الاعتراف بأنّه أخطأ... أي عن الإقدام على تصرّف حضاري يدلّ، ولو لمرّة، على أنّه ليس مجرّد عضو في تنظيم الإخوان المسلمين لا أكثر...

أوراق القوة التركية للتخلي عن الحلف الغربي

رانيا مصطفى

وصلت الدفعة الأولى لقطع منظومة الدفاع الجوي الروسية، صواريخ أرض جو أس– 400 إلى تركيا، وسط استعراض إعلامي كبير من الجانب الروسي، باعتباره انتصارا للنفوذ الروسي في المنطقة، وانتزاعا لتركيا من الحضن الأميركي، وزرع خلافات في حلف الناتو.

ردًا على ذلك، عطلت الولايات المتحدة مشاركة تركيا ببرنامج طائرات أف– 35، فيما تصعّد تركيا عسكريا، مقابل تل أبيض وتل رفعت شرق الفرات، وتحشد الجنود والمدرعات والمدفعية ومضادات الصواريخ بكثافة، وتتفق مع فصائل المعارضة التابعة لها للاستعداد لمعركة محتملة، إضافة إلى زيارة مسؤولين أتراك رفيعي المستوى إلى الوحدات العسكرية المتمركزة على الحدود السورية، في وقت تجدد فيه الضغوط على واشنطن بخصوص المنطقة الأمنية شمال شرق سوريا، وتطبيق خارطة الطريق في منبج الموقعة في 4 أبريل 2018.

لطالما اتبع الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، سياسة خارجية تقوم على عدة تحالفات مع أطراف متنافسة على النفوذ، والاستفادة من تناقضاتها؛ فتركيا عضو في حلف الناتو، وحليف استراتيجي للولايات المتحدة، وفي الوقت نفسه هي شريك لروسيا وإيران في سوريا، عبر حلف أستانة.

لكن أردوغان مضى بتنفيذ صفقة أس– 400 الروسية، رغم التحذيرات الأميركية والتهديدات بتعطيل مشاركة تركيا في برنامج طائرات أف– 35، وخسارة تركيا لـ130 طائرة، وإيقاف تدريب الطيارين الأتراك، ورغم التهديدات الأميركية بالعقوبات الاقتصادية، وإمكانية فرض قيود على الاستثمارات في السندات الأميركية، والطلب إلى صندوق النقد الدولي رفض تقديم قروض لتركيا.

أعادت تركيا حساباتها بشأن تحالفها مع الغرب الأوروبي والولايات المتحدة، باتجاه تعزيز تحالفها مع الشرق، روسيا وإيران؛ الأمر الذي سيعيد خلط أوراق التحالفات في المنطقة، وفي الملفين الإيراني والسوري. ولدى تركيا أوراق قوة وحجج تدفعها إلى اتخاذ موقف حاسم بشأن تعزيز التقارب مع روسيا وإيران، والابتعاد عن الحلف الأوروبي– الأميركي.

أول هذه الأوراق، أن بقاء تركيا في حلف الناتو، وارتباطها ضمن آليات الأمن الجماعي، لم يحققا طموحاتها، ولم يخدماها في موقفه غير المساند حيال حادثة إسقاط تركيا لطائرة سوخوي 24 الروسية في 2015.

وثانياً، إن التحالف التركي– الروسي في سوريا أثمر، بالنسبة لتركيا، عن سيطرتها الكلية على منطقة جرابلس والباب وإعزاز، وعلى عفرين، مقابل تخلي تركيا عن دعم فصائل في حلب الشرقية والغوطة.

بينما الصفقات الأميركية– التركية في سوريا، لم تنجز، بدءا من تطبيق "خارطة منبج" إلى تفاصيل المنطقة الأمنية، حيث لم تقم واشنطن بإخراج الوحدات الكردية من منبج، ولا بتشكيل مجلس مدني من الأهالي، واكتفت بتسيير دوريات مشتركة، ولم تقبل أيضا بدور للجيش التركي في المنطقة الأمنية، ولا بعمق يرضي تركيا (30–35 كم)، بل تستمر الولايات المتحدة بدعم "وحدات حماية الشعب" الكردية، والطلب إلى دول غربية بإرسال جنود لملء فراغ سحب قوات أميركية، وتعزيز التواجد الأميركي في قاعدة التنف، والسماح لدول عربية تعادي أنقرة بالنفوذ ودعم قوات سوريا الديمقراطية.

وثالثا، تأمل أنقرة أن يحقق التقارب مع روسيا تقدما في الملف السوري، خاصة في ما يتعلق بالعودة إلى تطبيق اتفاقي خفض التصعيد، والمنطقة منزوعة السلاح بخصوص إدلب، وأن تمنحها موسكو مهلة إضافية لتفكيك هيئة تحرير الشام ودمجها بالجبهة الشامية، وصولا إلى تحقيق تقدم في الحل السياسي، بتثبيت الواقع على الأرض، خاصة بعد الاختراق الذي تمكّن بيدرسون من تحقيقه في ملف اللجنة الدستورية بعد اتفاق روسي تركي.

ورابعا، تجد تركيا أن من مصلحتها المضي في التنقيب عن مصادر الطاقة في مياه المتوسط الشرقية، وقد وقعت اتفاقيات بخصوص ذلك مع جمهورية قبرص الشمالية (التركية)، غير المعترف بها أوروبيا، ما عمّق الغضب الأوروبي تجاهها، خاصة الفرنسي؛ فاستثمار الغاز المتوسطي سيحل مشاكل اقتصادية داخلية لتركيا، التي تعاني من تدني قيمة عملتها، ومن البطالة والركود الاقتصادي.

خامسا، واشنطن والاتحاد الأوروبي يحسبان حسابا لاستمرار تحالف تركيا مع كل من إيران وروسيا، خاصة في المجال الاقتصادي، كون تركيا هي الرئة الاقتصادية الأوسع لإيران، إضافة إلى اتفاقيات نقل الطاقة عبر الأراضي التركية إلى أوروبا مع روسيا.

سادسا، إن نشر تركيا لمنظومة روسية متطورة على حدودها مع سوريا، هو أمر في غاية الأهمية بالنسبة لروسيا، كون هذه الصواريخ قادرة على رصد تحركات الطيران والأهداف الأجنبية في الأجواء السورية والمناطق المحيطة، حيث يصل مداها إلى 400 كيلومتر، ما يعزز نفوذ روسيا.

سابعا، إن تقوية الحلف الروسي التركي الإيراني، يزعج إسرائيل أيضا، وقد يعطل بعض مرامي الاجتماع الأمني الثلاثي في القدس المحتلة، خاصة ما يتعلق بتقليص النفوذ التركي، إلى جانب النفوذ الإيراني.

ثامناً، تركيا تهدد المجتمع الأوروبي بتفجير ملف اللاجئين، لتقليل ردات فعله تجاه قراراتها الأخيرة، وبالفعل بدأت حكومة أردوغان بالحديث عن ترحيل السوريين من تركيا، والبالغ عددهم 4 ملايين، بحجة تلبية رغبات معارضيها المطالبين بذلك، بعد تقدمهم في المدن الكبرى، خاصة إسطنبول، في الانتخابات البلدية الأخيرة.

التصعيد التركي الأخير والانحياز إلى المعسكر الروسي في ما يتعلق بالتسليح، سيقلبان أوراق التحالفات في المنطقة؛ فقد وضعت أنقرة واشنطن في ورطة تجاه العلاقات مع تركيا. ترامب هدّأ من حدة تصريحاته والتلويح بعقوبات تجاه تركيا، واكتفى بإلغاء صفقة طائرات أف35–؛ وجيمس جيفري، المبعوث الأميركي إلى سوريا، سيزور أنقرة غدا الاثنين، للحديث حول تطبيق اتفاق منبج والمنطقة الأمنية. في حين أن التحضيرات جارية لقمة الدول الضامنة في أستانة، أواخر الشهر المقبل، والتي ستليها جولة ثانية من القمة الرباعية في إسطنبول بين تركيا وروسيا وفرنسا وألمانيا. والتصعيد التركي المستجد، بالتوافق مع روسيا، سيجبر هذه اللقاءات على إفراز نتائج ملموسة في الملف السوري الشائك.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al–Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

الميزانية الجديدة ترفع من سخونة صيف لبنان

اللبنانيون يفقدون إيمانهم بقدرة السياسيين على الإصلاح

أصبح الحديث عن الميزانية الأكثر تقشفا في تاريخ لبنان أمرا واقعا بعد مصادقة مجلس النواب عليها، الجمعة الماضية، في خطوة تضع البلاد على مسار حاسم جديد واختبار لقدرتها على معالجة سنوات من سوء الإدارة الاقتصادية ومواجهة غضب اللبنانيين الذين يشككون في قدرة النخبة السياسية على وضع البلاد على طريق إصلاحات اقتصادية مستدامة، ويرون أنهم سيكونون وقود سياسة التقشف.

الشارع اللبناني لن يعرف الهدوء قريبا

بيروت - على مدى أيام، ظل اللبنانيون يتابعون النقاشات التلفزيونية الحادة بين المشرعين الباحثين عن حلول للأزمة الاقتصادية وتبريرات للخطة التي تقدمت بها الحكومة لإنقاذ الاقتصاد الوطني عبر التقشف، والتي رفعت من حرارة الأجواء في البلاد.

لم يستوعب اللبنانيون الكثير من هذه الأحاديث التي بدا واضحا أنها لن تقودهم في النهاية إلى حل جذري يعالج سنوات من سوء الإدارة الاقتصادية والفساد اللذين أديا إلى تراكم واحد من أكبر أعباء الدين العام في العالم، يعادل حوالي 150 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي.

ويعبّر عن موقف الكثيرين، الشاب محمد بدران، وهو جالس في محل حلاقته الخالي من الزبائن، بقوله بلهجة ساخرة، "لا يعرف هؤلاء المسؤولون حتى ثمن الخبز، إنهم لا يعرفون شيئا عنا". وأكّد مصفف الشعر، البالغ من العمر 33 عاما، أن الأوضاع تدهورت أكثر خلال السنوات القليلة الماضية، حيث ارتفعت الضرائب والفواتير والأسعار بينما لم يزد الدخل الذي يجنيه من محله.

> مشروع قانون الميزانية الذي سيؤثر في الغالب على جيوب اللبنانيين العاديين ويقول النقاد إنه لن يعالج القضايا الهيكلية والفساد الراسخ في جذور الأزمة

بعد دفع ضرائبه وفواتيره، كان الحلاق يوفر حوالي ثلاثة أرباع أرباحه. وانخفضت هذه النسبة إلى حدود الربع خلال الأزمة الأخيرة. ويعاني اقتصاد لبنان منذ نحو 8 سنوات، من أزمات سياسية متكررة، إضافة إلى النزاع في سوريا، الذي أسفر عن تدفق حوالي مليون لاجئ سوري إلى لبنان.

ومع تعمق الأزمة الاقتصادية في لبنان، تتضاءل ثقة الجمهور في قدرة السياسيين الذين ينظر إليهم كفئة "فاسدة" تخدم مصالحها الشخصية وغير قادرة على فرض إصلاحات حقيقية في هذا البلد الذي يواجه أزمات سياسية متشابكة.

ومع إقرار مجلس النواب لميزانية الدولة للعام 2019، يخشى الكثيرون تكرّر السيناريو اليوناني، مشيرين إلى أنه لن يكون هناك اتحاد أوروبي يقف سندا ويمكن الاتكاء عليه.

جذور الأزمة

بعد أسابيع من التأخير بسبب المساومات بين الحكومة والمشرعين، صدر مشروع قانون الميزانية الذي سيؤثر في الغالب على جيوب اللبنانيين العاديين. ويقول النقاد إنه لن يعالج القضايا الهيكلية والفساد الراسخ في جذور الأزمة.

وخلال ثلاثة أيام من النقاش، عارضت مجموعة من المشرعين القانون، وشملت بعضا من أعضاء الحكومة التي اقترحته. وفي خطابه الذي ألقاه الخميس، قال وزير المالية اللبناني علي حسن خليل إن المسؤولين يتعاملون مع الميزانية مثل "طفل متروك" لا يريد أحد أن يعترف بأبوته له. وشدد على حاجة البلاد إلى خطة لإدارة دينها العام "لتحرير الموازنة العامة من عبء تراكمه".

وقال النقاد إن المسرحية كانت مصممة لاستيعاب الغضب الشعبي من الركود الاقتصادي الذي ضرب المواطنين. وبلغ النمو أدنى مستوى له على الإطلاق عند 0.2 بالمئة العام الماضي. وتباطأ أكثر بعد أن أوقف البنك المركزي قروض الإسكان، وقلّص سوق العقارات الذي مثّل محرك النمو الرئيسي منذ سنة 2012.

ووصل العجز إلى 11 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي مرتفعا من الـ8.6 بالمئة المسجلة سنة 2017، وتفاقم الدين العام وأصبح يتخطى 150 بالمئة من الناتج المحلي الإجمالي وهو واحد من أعلى المعدلات في العالم. كما ازداد عمق العجز التجاري اللبناني.

وتأثّر القطاع المصرفي في البلاد، حيث تراجعت احتياطيات النقد الأجنبي للبنك المركزي بنحو 6 مليارات دولار منذ أوائل سنة 2018. وكان نمو الودائع المسجل الأدنى منذ سنة 2005 حيث خيّر البعض تحويل مدخراتهم إلى الخارج.

وفي الوقت نفسه، تمّت تصفية بعض الشركات وأغلقت العديد من المتاجر، وعرضت المزيد من الشقق للبيع. وتهدف الميزانية الجديدة إلى خفض العجز إلى 7.6 بالمئة.

وخلال السنة الماضية، رفعت الحكومة ضريبة القيمة المضافة لتمويل زيادة الرواتب التي وعدت بها لعمال القطاع العام. وقال مسؤول إن الحكومة خلصت إلى أنه السبيل الوحيد الذي سيمكن الدولة المثقلة بالديون من دفع هذه الزيادة.

وأكبر نفقات الحكومة هي خدمة الدين ورواتب القطاع العام والدعم المقدم لشركة كهرباء لبنان. وأقرت الحكومة خطة هذا العام لحل أزمة الكهرباء المكلفة. وخفضت الميزانية الجديدة أجور العاملين في الحكومة والمزايا التي يتمتعون بها وجمدت توظيف القطاع العام لمدة ثلاث سنوات. ويبقى قرار رفع ضريبة القيمة المضافة ساريا كما ترتفع قيمة الضرائب الأخرى.

وقال جاد شعبان، الخبير الاقتصادي والأستاذ المشارك في الاقتصاد في الجامعة الأميركية في بيروت، إن القلق من تكرر السيناريو اليوناني هو الذي دفع المسؤولين الحكوميين إلى البحث عن سبل إصلاحات طارئة بدلا من سن تغييرات أكبر مثل الضرائب التصاعدية أو إعادة جدولة الديون.

كما كتب مؤخرا أن المشكلة الحقيقية تكمن في النخبة السياسية التي تتعامل مع القطاع العام كمكان لتوظيف أنصارها، والتي تتستر على الفساد الذي يثريها ويزيد الديون. وأكد وجوب زيادة الإنفاق العام الفعال للخروج من هذه الأزمة.

ارتفاع الأسعار

بالنسبة لمحمد بدران، كبحت الصعوبات الاقتصادية أبسط أحلامه، فقد تخلى عن خطط بناء صالون شمسي في متجره. وبعد 14 عاما من العمل لحسابه الخاص، ما زال الحلاق يعيش مع والديه، وغير قادر على تحمل أعباء الزواج.

في العام المنقضي، بلغت أرباحه 500 دولار شهريا بينما تواصلت الزيادات في الفواتير والإيجار. مثل كل اللبنانيين، يدفع فاتورة كهرباء للحكومة وأخرى منفصلة لمزوّد خاص يعوض الكهرباء خلال انقطاع التيار اليومي بسبب البنية التحتية المتداعية.

وقال بدران، الذي ولد في أوج الحرب الأهلية اللبنانية التي استمرت 15 عاما، "أنا الآن في الثالثة والثلاثين من العمر، وما زلنا نشكو من نقص في المياه والكهرباء. انظروا إلى جارتنا سوريا التي تتمتع بالإنارة والماء رغم الحرب".

ومع ارتفاع التكاليف، ارتفعت الأسعار مثل كلفة جل الشعر التي زادت بنسبة 30 بالمئة. وقلص هذا من إمدادات الصالون بالإضافة إلى إنفاق بدران الشخصي. كما تراجع عدد زبائنه الشباب وأصبحوا يزورون متجره مرة كل شهر بدلا من ثلاث مرات.

وبمجرد تمرير الميزانية الجديدة، قال بدران إنه سيتعين عليه رفع أسعاره لأول مرة منذ سنوات، مما يزيد من العبء على حرفائه الذين يشغل الكثير منهم وظيفتين.

وعلى امتداد شارع مار إلياس التجاري المزدحم والمعروف بمتاجر المجوهرات، وضعت أربعة متاجر على الأقل لافتة "للبيع". وكان من بينها متجر للذهب. تعمل مها البالغة من العمر 34 عاما في المحل مع عمها. وقالا إن العائلة تمتلك متجرا لتجارة الذهب بالجملة، لكنهما لا يستطيعان الاستمرار في إدارة المحل الذي عرضاه للبيع.

وقالت مها إن الطبقة الوسطى هي الوحيدة التي تشعر بالألم الاقتصادي لأن الأثرياء والمسؤولين الحكوميين يخبئون أموالهم في الخارج. وتابعت "يسأل الناس عن السبب الذي يمنعنا من الاحتجاج. انظروا إلى ما حدث عندما احتجت الشعوب الأخرى من حولنا. انظروا إلى مصر، أو حتى إلى سوريا. ستكون نهايتنا أسوأ منها بالتأكيد".

وفي ظل هذه الأجواء، توقعت مجلة ذو نيويوركر أن يكون صيف لبنان هذه السنة أكثر سخونة، وأن تثير هذه الميزانية المزيد من الاحتجاجات العامة، مشيرة إلى أن الفشل الاقتصادي العميق في لبنان سيبلغ ذروته هذا الصيف، بسبب إخفاق الحكومة والسياسيين في وضع تدابير عملية لتدارك الوضع المنهار، وهو الأمر الذي يزيد الضغط على الشعب.

معاقبة الدوحة لشركة خدمات مالية انتهكت قواعد مكافحة غسيل الأموال
خطوة تجميلية للتعتيم على العمليات الأكبر

باريس - فرضت هيئة تنظيم مركز قطر للمال غرامة مالية قدرها 100 ألف دولار على شركة الخدمات المالية الدولية (قطر) بسبب انتهاكها لقواعد مكافحة غسيل الأموال، في خطوة أثارت جدلا بشأن جدية هذا الإجراء الذي يأتي في وقت تتصاعد فيه الأصوات المنددة بالتسهيلات المصرفية، التي توفرها قطر لأشخاص مدرجين على قوائم الإرهاب الأممية والدولية.

مع تزايد تهديد الإرهاب العالمي، تجد قطر نفسها تحت المجهر، حيث تواجه ضغوطا واتهامات بأنها لا تتخذ إجراءات كافية لمكافحة تمويل الإرهاب وعمليات غسيل الأموال، وفي هذا السياق يقرأ المتابعون القرار الأخير المتعلق بمعاقبة شركة الخدمات المالية الدولية.

بموجب العقوبة، ستدفع شركة الخدمات المالية المبلغ المطلوب والذي يعادل حوالي 80 ألف جنيه إسترليني أو 89 ألف يورو. كما تشمل الغرامة "تكاليف إضافية" غير محددة أدرجت خلال التحقيق المنظم.

ويشير المتابعون إلى أن هذه العقوبة هي مجرّد خطوة شكلية تبدأ بها المديرة التنفيذية الجديدة للشركة، أيكان ريتشاردز، عهدها، لافتين إلى أن للشركة تاريخا قديما مع عمليات غسيل الأموال وتمويل الإرهاب.

واعترفت ريتشاردز بنفسها بأن القرار الأخير يتعلق بقضية سابقة، مشيرة إلى أنها تنوي حل المشكلة نهائيا من أجل المضي قدما. وانتقلت ريتشاردز من المملكة المتحدة إلى قطر سنة 2013 مع شركة غارديان ويلث مانجمنت قطر، قبل أن تتحول إلى شركة بلومزبري للاستشارات الاقتصادية في مايو 2016. ثم انضمت إلى شركة الخدمات المالية كمستشارة مالية في مارس 2019 وتولت منصب المديرة التنفيذية في يوليو.

وخلال الفترة الممتدة من مايو 2016 إلى يناير 2018، فشلت شركة الخدمات المالية الدولية في تنفيذ السياسات والإجراءات والأنظمة والضوابط المطلوبة بموجب قواعد مكافحة غسيل الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب.

وجاء في بيان هيئة تنظيم مركز قطر للمال أنه "تمت التسوية وفرض الغرامة المالية، بعد انتهاء التحقيق الذي قادته هيئة التنظيم، والذي خلص إلى أن شركة الخدمات المالية الدولية (ذ.م.م)، فشلت خلال الفترة الممتدة من مايو 2016 إلى يناير 2018، في تطبيق السياسات والإجراءات والأنظمة والضوابط المطلوبة، بموجب قواعد مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب بشكل مناسب".

وأضاف البيان أن المخالفات شملت عدم وضع السياسات والإجراءات والأنظمة والضوابط الداخلية المطلوبة والكفيلة بمنع عمليات غسل الأموال وتمويل الإرهاب وحفظها. وعدم تعيين شخص مستقل للقيام بمراجعة إطار عمل المكافحة واختبار مدى التزام السياسات والإجراءات والأنظمة والضوابط المطبّقة في الشركة بقواعد مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب الخاصة بمركز قطر للمال.

وعدم توفير مستندات داعمة تُثبت امتثال الشركة لقانون وقواعد مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب.

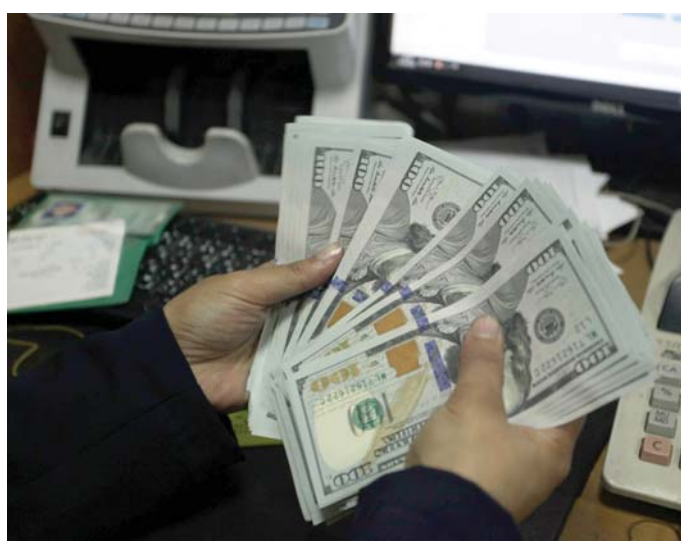
أموال مشبوهة

ووفق موقع قطر ليكس تأسست هذه الشركة في سنة 1998 تحت اسم "سيدات قطر للاستثمار". وأثبتت وقائع سابقة ارتباطها بتنفيذ أعمال مشبوهة، لا تقتصر فقط على غسل الأموال، بل تسهيل حركة الأموال التي يتم من خلالها دعم الجماعات الإرهابية، وهو ما يؤكد تورط أفراد من الأسرة الحاكمة القطرية في دعم الإرهاب.

ولا تبدو الخطوة مقنعة لعدد من المتابعين الذين يرون أن العملية تجميل صورة الدوحة والإيهام باتخاذ خطوات في إطار مكافحة الإرهاب بعد أن اتسعت دائرة الاتهامات بالمساهمة في تمويل الإرهاب ودعم المتشددين.

وتتبع الشركة مؤسسة ناصر بن خالد آل ثاني الخيرية، والتي هي على صلة وثيقة بقطر الخيرية، التي تعد ذراع الدوحة في تمويل التطرف والإرهاب بعدد من دول العالم، لاسيما أوروبا، وفق موقف قطر ليكس.

ويأتي قرار معاقبة الخدمات المالية الدولية، في خضم تصاعد الدعوات الدولية، وخاصة الأوروبية، للحكومات لتتبع ملف قطر وعدم امتثالها للمعايير الدولية لمكافحة غسيل الأموال ومكافحة تمويل الإرهاب بشكل أكثر جدية.

وقالت عضو مجلس الشيوخ الفرنسي ناتالي جوليه، إن بنك قطر الوطني يجب أن يخضع للتحقيق، وذلك في إطار قضية التسهيلات المصرفية التي توفرها قطر للإرهابيين المدرجين على قوائم الإرهاب.

وفي ذات القضية المتعلقة بمتابعة تحويلات بنك قطر الوطني، قالت صحيفة ذو هيل الأميركية إن "شخصيات داعمة لتنظيمات متشددة مثل القاعدة، تمكّنت من استخدام أموالها المودعة في بنك قطر الوطني رغم أنها موضوعة على قائمة الإرهاب العالمية ومن المفترض أن حساباتها البنكية مجمدة".

ونقلت ذات الخبر صحيفة وول ستريت جورنال، التي أشارت إلى أنّ "من ضمن هؤلاء الذين توفرت لديهم المرافق المصرفية كان خليفة السبيعي"، موضحة أن "الولايات المتحدة تقول إنه طالما قدم دعما ماليا لكبار قيادات تنظيم القاعدة، ومنهم العقل المدبر لهجمات 11 سبتمبر، خالد شيخ محمد".

تمتد فروع بنك قطر الوطني إلى جميع أنحاء العالم. ومن المرجح أن يكون السبيعي قد تمكن من الوصول إلى البلدان التي فيها فروع للبنك من خلال هذه الشبكة المصرفية العالمية الواسعة، ما يعني أن شخصيات مثل السبيعي ما زال باستطاعتها الاستفادة من حساباتها المصرفية على الرغم من قرار تجميدها.

ودعت ذو هيل إلى إجراء تحقيق واسع وشفاف، وحثت السلطات المعنية على اتخاذ خطوات عدة، ومطالبة الدوحة بتقديم إجابة واضحة عن سماحها لشخص على قائمة عقوبات الأمم المتحدة بالحصول على خدمات بنكية عن طريق أحد أبرز مصارفها وأكثرها انتشارا في العالم.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

50 سنة

مهمة أبولو 11

كيف رفرف العلم الأميركي على سطح لا رياح فيه

أول هبوط بشري على القمر.. لماذا تبقى نظرية المؤامرة متداولة بعد 50 عاما

واشنطن - أحيت الولايات المتحدة يوم 20 يوليو ذكرى مرور 50 عاما على إرسال إدارة الطيران والفضاء الأميركية ناسا رواد فضاء إلى القمر، وهو واحد من الإنجازات الكبيرة لوكالة الفضاء، وذكرى تأمل ناسا في أن تلهم بعودة إلى القمر واكتشاف ما وراءه ثم إرسال طاقم إلى كوكب المريخ.

تحتفل الولايات المتحدة في كل سنة بهذه الذكرى، التي مازال البعض يشكك فيها ويفضّل تصديق نظرية المؤامرة وتبريراتها على تأكيدات العلماء والمتخصصين. وتحمل ذكرى هذه السنة خصوصية لا فقط باعتبار أنها الذكرى الـ50 لقفزة نيل أرمسترونغ الشهيرة على سطح القمر، بل أيضا من سياقها الدولي العام الذي يذكر البعض بأجواء الحرب الباردة والسباق الروسي الأميركي نحو الفضاء.

مهمة أبولو 11

أصبح أرمسترونغ أول إنسان يسير على سطح القمر في 20 يوليو 1969، بعد نحو ثماني سنوات فقط منذ أن أصبح رائد الفضاء السوفييتي يوري غاغارين أول شخص يطير في الفضاء في 12 أبريل 1961. وكان أرمسترونغ قائدا للمهمة أبولو 11 التي ضمت أيضا رائدي الفضاء الأميركيين إدوين باز آلدرين ومايكل كولينز.

تايلر داوسن

الحجة المضادة الأكثر إقناعا لنظرية المؤامرة هي الآلاف من الأشخاص الذين عملوا في برنامج أبولو، ومن غير المرجح أن يكون جميعهم كاذبين

وقال أرمسترونغ، وهو يخطو بهدوء على سطح القمر، "هذه خطوة صغيرة بالنسبة لرجل وقفزة عملاقة للبشرية". وبعد حوالي 19 دقيقة، تبع آلدرين أرمسترونغ ليصبح ثاني رجل في العالم ينزل على سطح القمر.

وعاد رواد الفضاء إلى الأرض محملين بنحو 21 كيلوغراما من الصخور وعينات من التربة القمرية، لتتم دراستها على الأرض. وأطلقت إدارة الطيران والفضاء الأميركية ناسا بعد ذلك عدة رحلات مأهولة بالبشر إلى القمر.

وفي 14 ديسمبر 1972، أطلقت ناسا المهمة أبولو 17، التي كانت آخر رحلة مأهولة بالبشر إلى القمر، وجادل البعض حينها بأن نهاية الحرب الباردة قلصت الحافز على إرسال مهام جديدة إلى القمر. إلا أنّ مهمة ناسا الأولى لإنزال بشر على سطح القمر، لم تكن خالية من التشكيك ونظريات المؤامرة، حيث يتهمها البعض بأنها "مفبركة".

ويسخر الكاتب الأميركي تايلر داوسن من هذه الأفكار متسائلا، في تحقيق نشرته مجلة ذو ناشيونال بوست، أليس من المعقول أن تزوّر دولة عظمى بعض الإنجازات لتحقيق الانتصار في الحرب الباردة؟. ويستشهد داوسن في تحليله بتصريحات خبراء على غرار روجر لونيوس، مؤرخ الفضاء السابق في وكالة ناسا، الذي يقول "كيف يمكنكم أن تصدقوا هذه النظرية؟".

واستحضر لونيوس، مؤلف كتاب "تراث أبولو: وجهات نظر حول الهبوط على سطح القمر"، مجموعة مماثلة من النظريات مثل تلك التي تدعي أن الفضائيين القدماء هم الذين تولوا بناء الأهرامات، مضيفا "بالنسبة لي، يعد كل هذا نتيجة لحفنة من الناس الذين يصدقون القصص المجنونة التي يسمعونها".

لم توقف تصريحات مؤرخ الفضاء السابق وغيره من الشخصيات عقودا من النقاش المستمر الذي يشكك في هبوط رواد الفضاء الأميركيين على سطح القمر يوم 20 يوليو 1969. ويقول البعض إن العملية بأكملها صوّرت في مكان ما في "المنطقة 51"، وهي قاعدة عسكرية مشهورة تقع في الجزء الجنوبي من ولاية نيفادا. وتعدّ هذه القاعدة مركز نظريات مؤامرة أخرى تتعلق بالفضائيين.

ويجادل أصحاب نظرية المؤامرة بأن رواد أبولو 11 لم يهبطوا مطلقا على القمر وأن العالم شاهد بدلا من ذلك مشاهد مزيفة تم تصويرها في أحد استوديوهات هوليوود.

وحسب تقارير إعلامية أميركية، فإن البعض على قناعة بأن ما حدث قبل خمسين عاما كان مجرد فيلم أميركي باهظ التكاليف أنتج وأخرج برعاية وكالة ناسا بهدف إقناع الاتحاد السوفييتي بتفوّق الولايات المتحدة في مجال الفضاء مما يتيح للأخيرة التفوق العسكري في حال حدوث حرب بين الدولتين.

واستند مروجو تلك النظريات إلى عدة أمور، من بينها أن العلم الأميركي كان يرفرف على سطح القمر، رغم أنه علميا لا توجد رياح على سطحه. ونجح أرمسترونغ في المشي على سطح القمر ونصب العلم الأميركي هناك، إلا أن المركبة القمرية التي هبط بها على القمر أسقطت العلم خلال إقلاعها للعودة إلى الأرض، لكن أرمسترونغ كان قد التقط صورا للعلم قبل أن يسقط.

كما تساءل مروجو نظرية المؤامرة حول عدم وجود نجوم في الخلفيات، حيث أن جميع الصور تظهر السماء كاحلة دون أي آثار للنجوم أو لأي أجرام سماوية. كما أقر علماء فضاء بوجود طبقات إشعاعية حول القمر مما يجعل اختراق الإنسان لهذه الطبقة دون الإصابة بالسرطان أو تقرحات جلدية أمرا مستحيلا، وقد لوحظ أنّه لم يصب أيّ من رواد فضاء رحلة أبولو 11 بأي أذى.

ويعلق على هذه النظريات أوليفر مورتون، مؤلف كتاب "القمر: تاريخ للمستقبل"، بقوله "كواحدة من الأحداث الرئيسية الأولى التي نقلتها شاشات التلفزيون عندما كانت الجماهير مذهولة بالمسلسلات والبرامج التي تعرضها، ألّفت نظرية الهبوط على سطح القمر لإقناع المشاهدين الذين يسهل التأثير عليهم". وتم وصفها بأنها "نظرية غريبة".

وأضاف مورتون "كان الهدف وراء إرسال أبولو إلى القمر يكمن في إظهار قدرة أميركا على تحقيق المستحيل أمام العالم. ومن زاوية غريبة، تبدو نظرية المؤامرة وكأنها جانب مظلم لذلك، لأنها تدعي أن أميركا أظهرت للعالم أنها تستطيع أن تدفع الناس لتصديق المستحيل بدلا من تحقيقه".

نيل أرمسترونغ ومايكل كولينز وإدوين باز آلدرين سطروا أول خطوات الإنسان على سطح القمر

الهيكل المهيمن

مثل كل نظريات المؤامرة، تقوم إدعاءات تزييف الهبوط على القمر على فكرة أن "الهيكل المهيمن (الحكومة أو غيرها) يكذب". وقال لونيوس "تنتشر هذه الروايات مع توفر تفسير بديل للأحداث التي ترتبط مع نقص في فهم العلوم والتكنولوجيا لدى الأشخاص الذين يبدون استعدادهم لتصديق هذا النوع من الإدعاءات". وتقدم نظرية المؤامرة التي تكذّب الهبوط على القمر أنواعا مختلفة من "الأدلة" والحجج. وتشير استطلاعات الرأي المختلفة إلى أنّ معدل انتشار هذا الاعتقاد كان 6 بالمئة في الولايات المتحدة خلال الاحتفال بالذكرى الثلاثين للعملية، و57 بالمئة في روسيا سنة 2018. ويلفت تايلر داوسن إلى أن من بين الأسباب التي أبقت هذه النظرية حية هي أنها كانت مادة دسمة كتب عنها الكثير ثم استفاد أنصارها من الإنترنت، كما أنتج فيلم وثائقي حولها سنة 2001 تحت عنوان "نظرية المؤامرة: هل هبطنا على سطح القمر؟". وأعاد هذا الاهتمام الحديث عن الموضوع ونشر العديد من حججه الرئيسية.

ويقول البعض، من أنصار نظرية المؤامرة، إن الحكومة الأميركية اضطرت لتزوير العملية لأهمية سباق الفضاء خلال الحرب الباردة. إذ لم يكن النصر الأميركي على الاتحاد السوفييتي معركة تكنولوجية فحسب، بل كان صراعا بين "الحرية والشيوعية". ويرد على ذلك لونيوس بقوله "في الحرب، يفوز طرف ويخسر آخر. ويبقى المستقبل ملكا للذي يمكنه إتقان العلوم والتكنولوجيا.. هذا ما كان سباق الفضاء يحوم حوله".

تعود الحجة التي تكذّب الهبوط على سطح القمر إلى بيل كايسينغ، الكاتب والضابط السابق بالبحرية الأميركية، الذي نشر كتابا سنة 1976 بعنوان "لم نذهب أبدا إلى القمر: خدعة أميركية بلغ ثمنها ثلاثين مليار دولار". وأشار العديد من الكتاب إلى أهمية ذلك التوقيت، حيث كان الغضب عارما بسبب حرب فيتنام التي زعزعت الثقة في الحكومة الأميركية.

وقال مورتون "حدث هذا في وقت كانت فيه فكرة تآمر الحكومة على شعبها سرا أكثر جاذبية للأميركيين".

ويضيف داوسن "وحتى يومنا هذا، يبقى الكثير مما كتبه كايسينغ، الذي توفي سنة 2005، حجر أساس نظرية المؤامرة التي تكذب صحّة الهبوط على سطح القمر. واعتمد نهجا قائما على الأدلة أين جادل أن التكنولوجيا التي كانت تمتلكها ناسا لم تكن متقدّمة بما فيه الكفاية للوصول إلى القمر، وأنه لا توجد طريقة آمنة لسفر رواد الفضاء عبر حزام فان آلن الإشعاعي".

لكن "أجسام الهياكل الفضائية صممت لمواجهة هذا، وعلى الرغم من سعة الحوسبة المحدودة مقارنة باليوم، يبقى كمبيوتر ناسا الذي يتجاوز وزنه الثلاثين كيلوغراما قادرا على تكرار المهمة".

الرد العلمي

في تبريرها لحجة أن العلم الأميركي بدا وكأنه يرفرف على سطح القمر حيث لا توجد رياح، أوضحت وكالة ناسا أن قوة الدفع التي صاحبت وضع العلم أدت إلى تشكل تموجات في قطعة القماش.

وفي توضيح لما قاله بعض المتآمرين بخصوص الظلال التي ظهرت في صور رواد فضاء على القمر وأكدوا غياب النجوم في الخلفية، قالت ناسا إن الظلال نتجت عن الضوء الذي ينعكس على سطح القمر وذلك الصادر عن عدسات الكاميرا والمار عبر الغبار القمري. أما بالنسبة للنجوم، فقد كانت مرئية في الطريق إلى القمر، لكن لا يمكن رؤيتها عند الهبوط لأنه حدث أثناء النهار في القمر. وتركز الكاميرات على رواد الفضاء الذين أضاءتهم الشمس.

توجد عوائق تحد من دخول الأفكار المجنونة إلى المجتمع. ولهذا السبب، تنتشر هذه الروايات المتعلقة بنظرية المؤامرة

وبالنسبة لتايلر داوسن قد تكون الحجة المضادة الأكثر إقناعا لنظرية المؤامرة هي أن مئات الآلاف من الأشخاص عملوا في برنامج أبولو الفضائي، ومن غير المرجح أن يكون جميعهم كاذبين، فيما يقول لونيوس "لا توجد عوائق تحد من دخول الأفكار المجنونة إلى المجتمع. ولهذا السبب، تنتشر هذه الروايات".

وقد تزهر روايات أخرى بينما يستعد العالم لسباق الفضاء الثاني والدخول إلى عصر يبحث فيه اللاعبون العالميون والشركات الخاصة مد قوتهم وتجاوز حدود الأرض والغلاف الجوي لتطال أقدامهم كل الكواكب الممكنة.

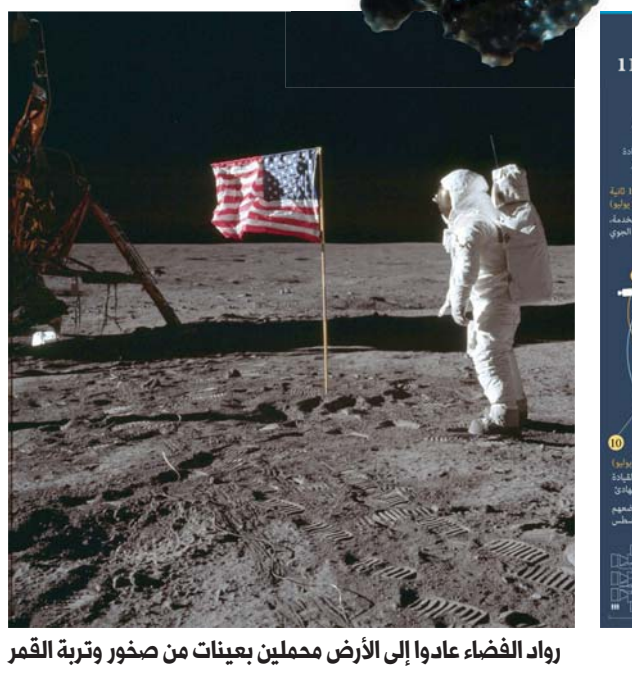

رواد الفضاء عادوا إلى الأرض محملين بعينات من صخور وتربة القمر

الرئيس الأميركي ريتشارد نيكسون كان يودع رواد الفضاء في مهمة أبولو11 وعلى مكتبه خطاب تأبينهم

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

وزير يتهمه اللبنانيون بنبش القبور لصالح حزب الله

جبران باسيل
ضياع الحدود ما بين السياسة والفتنة

صلاح تقي الدين
كاتب سوري

رغم أنّ ما دُرج على تسميتها بـ"المظلة الدولية" هي التي منعت امتداد نيران الحرائق المشتعلة في المنطقة إلى الداخل اللبناني، إلا أن الحادثة التي شهدتها بلدة البساتين في قضاء عاليه والتي ذهب ضحيتها شابان من مرافقي وزير الدولة لشؤون النازحين صالح الغريب، تبدو وكأنها الفتيل الجاهز لإشعال فتنة داخلية قد تتطور لتمتد إلى سائر أنحاء البلد، ولئن كان ظاهرها "خلافاً" درزياً – درزياً بين مناصري رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، ورئيس الحزب الديمقراطي اللبناني النائب طلال أرسلان، إلا أنها كما ظهر من خلال الترددات التي أعقبتها بدت أبعد من هذا الخلاف. إذ لم يكن بطل الحادثة الأساسي أياً منهما، بل كان صهر الرئيس ميشال عون ورئيس التيار الوطني الحر الوزير جبران باسيل.

وقع الحادث فعلياً بعدما اتجه موكب الغريب من بلدته كفرمتى إلى بلدة شملان ليصطحب معه باسيل حيث كان موكبه المدعوم بمؤازرة كبيرة من الجيش اللبناني قد توقف في البلدة بعدما وصلته أصداء الاعتراضات الشعبية "الدرزية" على زيارته والتي توجت بتجمع كبير في ساحة قبرشمون التي تتوسط الطريق بين شملان وكفرمتى.

قبرشمون قبر التفاهمات

إلا أنه واستناداً للمعلومات فإن باسيل كان قد قرّر إلغاء الزيارة إلى كفرمتى كي لا يتعرّض "لإحراج" من المعتصمين وأبلغ الغريب بذلك ما أثار امتعاض الأخير الذي قال إنه على استعداد لاصطحابه لزيارة البلدة مهما كلّف الأمر.

> الحادثة التي شهدتها بلدة البساتين في قضاء عاليه والتي ذهب ضحيتها شابان من مرافقي وزير الدولة لشؤون النازحين صالح الغريب، تبدو وكأنها الفتيل الجاهز لإشعال فتنة داخلية قد تتطور لتمتد إلى سائر أنحاء البلد

ومع إصرار باسيل الذي كان يرافقه وزير الدفاع إلياس أبوصعب، على إلغاء الزيارة، عاد الوزير الغريب، غاضباً، من الطريق نفسها التي سلكها، لكنه فوجئ لدى وصوله إلى مفرق يقع في بلدة البساتين بوجود عائق بشري أمامه، فما كان من مرافقيه إلا أن نزلوا من سيارات الموكب وراحوا يطلقون النار عشوائياً لكي يؤمنوا مرور الموكب، فكان ما كان، حيث سقط الشابان رامي سلمان وسامر أبوفراج من مرافقي الغريب، فيما أُصيب الشاب سامو غصن 17- عاماً- الذي لا ناقة له ولا جمل في كل ما جرى، برصاصة في رأسه جعلته طريح المستشفى في غيبوبة منذ ذلك اليوم وحتى تاريخ كتابة هذا المقال.

الاعتراض الشعبي الكبير على باسيل كان نتيجة طبيعية لخطاباته "الفتنوية" المتنقلة التي يستعيد من خلالها نبش قبور الحرب الأهلية السيئة الذكر، والتي شهدت أقسى معاركها الدموية المنطقة التي كان ينوي الدخول إليها. وبدا أنه لم يأخذ بالاعتبار الحالة النفسية والذاكرة الجماعية لأهالي المنطقة، الذين استفزهم قرار الزيارة، حيث كان عليه أن لا يأتي على ذكر بطولاته التي يصفها البعض بـ"الوهمية" في المحطة الأولى من زيارته إلى بلدة الكحالة، الأمر الذي تسبب بحالة الغليان التي شعر بها أبناء المنطقة.

● الرئيس الحريري يدرك جيدا مضمون رسالة وتوجه باسيل، وكان قد رفض ولا يزال دعوة الحكومة إلى الانعقاد لمنع تنفيذ ما يخطط له.

● خطاب نصرالله الأخير يطرح تساؤلات عديدة حول ضلوع حزب الله في مشروع "محاصرة" جنبلاط وكسر نفوذه بقرار سوري رأس حربته باسيل.

● الاعتراض الشعبي الكبير على باسيل يبدو نتيجة طبيعية لخطاباته التي يعتبرها كثير من المسيحيين "فتنوية متنقلة» يستعيد بها مآسي الحرب الأهلية.

يطالب بعظام الأجداد

ليست المرة الأولى التي يثير فيها باسيل الملقب أيضاً بـ"السلطان" الاعتراضات الشعبية على مواقفه وخطاباته التي تقع على قلوب أبناء المنطقة كالرصاص، فهو في مرحلة الانتخابات النيابية في العام 2018، أعاد نبش القبور والمطالبة بعظام "أجداده" التي لا يعلم أين دفنت و"أجراس الكنائس" التي سرقت، إلى بقية المطالب التي "لا تقف على قوس قزح"، لكن الفريق المؤيد لجنبلاط اعتبرها آنذاك خطابات شعبوية لا تهدف سوى إلى حشد "الغريزة" المسيحية انتخابياً لكي يستفيد منها في صناديق الاقتراع، فتجاهلها ولم يتعامل معها بندية.

غير أن إصرار وزير الخارجية على الإشارة إلى هذا الموضوع في جميع جولاته المناطقية التي دأب على القيام بها، إلى جانب جولاته الخارجية، ترجمه، بفجاجة، في القداس الذي دعا إليه التيار الوطني الحر في بلدة دير القمر في مارس الماضي تحت مسمى "التوبة والغفران" وبحضور جنبلاط شخصياً، فكان بمثابة "الشعرة التي قصمت ظهر البعير"، ولم يعد جائزاً بالنسبة لأنصار رئيس التقدمي السكوت على استفزازات باسيل و"محاصرة" المختارة، رغم دعوات جنبلاط الدائمة إلى التهدئة وعدم الانجرار إلى ما يبتغيه "محدثو النعمة" في عالم السياسة.

وتطوّرت الأمور أكثر بعد حادثة البساتين حيث واصل أرسلان والغريب رفع سقف مطالبهما إلى حدود اعتبار ما حدث بأنه "كمين" عن سابق ترصد وتصميم "لاغتيال" الغريب، وهو وزير في الحكومة، الأمر الذي يحتّم إحالة الحادث إلى المجلس العدلي، ما أعاد إلى أذهان الاشتراكي مؤامرة إحالة قضية تفجير كنيسة "سيدة النجاة" إلى المجلس نفسه والذي برّأ رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع في قضية الكنيسة، لكنه أدانه في ملفات أخرى فتحها بعدما أسقطها قانون العفو العام الذي صدر عقب انتهاء الحرب الأهلية، فكانت النتيجة سجن جعجع 11 عاما وحلّ حزب القوات.

المفارقة هنا أن التحقيقات الأولية إلى جانب الفيديوهات المصورة التي انتشرت عقب وقوع الحادث تنفي قضية "الكمين"، وتؤكد بالمقابل أن مرافقي الغريب كانوا البادئين في إطلاق الرصاص العشوائي باتجاه المواطنين المعترضين على زيارة باسيل، لكن أرسلان ووزير الدفاع يصران على وجود "كمين" وأن الهدف كان اغتيال الغريب، ما يؤكد أن "ما وراء الأكمة" مؤامرة تستهدف جنبلاط بقصد كسر نفوذه.

وأمام هذا السقف العالي من المطالبات، انقسم البلد عمودياً، فعارض جنبلاط مدعوماً من جعجع ورئيس الحكومة سعد الحريري ورئيس المجلس النيابي نبيه بري إحالة القضية إلى المجلس العدلي، في حين كان لافتاً، إصرار الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله على الوقوف إلى جانب أرسلان "المظلوم والمقتول" كما قال في خطابه نهاية الأسبوع الماضي، ما طرح التساؤلات العديدة حول ضلوع الحزب في مؤامرة "محاصرة" جنبلاط وكسر نفوذه بقرار سوري واضح ينفّذه باسيل وأتباعه.

واستناداً إلى الدستور، فإن إحالة "جريمة" إلى المجلس العدلي تتم عبر مرسوم يصدر عن مجلس الوزراء، وهذا المرسوم عادي ولا يحتاج سوى إلى تصويت نصف أعضاء الحكومة، وهو متوفر مع الوزراء الـ11 للتيار الوطني الحر ورئيس الجمهورية، ووزراء حزب الله الـ3 إلى جانب وزير تيار "المردة".

ورقة الثلث المعطّل

لعب باسيل ورقة الضغط بمواجهة الرئيس الحريري عندما تعمّد عقب الحادثة عقد "اجتماع" لوزرائه رغم دعوة الحكومة إلى الانعقاد في السراي الحكومي في جلسة عادية، فكانت بمثابة رسالة للحريري من باسيل بأنه يملك "الثلث المعطل" الذي استخدمه في العام 2010 لإسقاط حكومة الحريري الأولى. لكن الأخير ظل صامداً ولم يعلن تأجيل جلسة الحكومة إلا بعد الاتصالات الكثيرة التي أجريت ودفعت باسيل وفريقه للحضور إلى السراي فتأمّن النصاب لكن الحريري رفع الجلسة بعدها فوراً.

فهم الحريري الرسالة ورفض ولا يزال يرفض دعوة الحكومة إلى الانعقاد لعدم طرح مسألة إحالة قضية البساتين إلى المجلس العدلي رغم أنه أبلغ باسيل "بالواسطة" أن طرح الموضوع على التصويت في مجلس الوزراء "غير مضمون"، أو على الأقل ليس لصالحه. لكن ذلك أدى إلى شلّ أعمال الحكومة، وأثار المخاوف من الدخول في مرحلة تعطيل ليست في صالح "العهد القوي" الذي يدافع عنه باسيل، وليست في صالح البلد برمته الذي ينتظر الإفراج عن أموال المساعدات التي أقرها مؤتمر "سيدر"، وهذا الأمر مرتبط بإقرار الموازنة العامة وقطع الحساب الذي يجب أن يحال من الحكومة إلى المجلس النيابي بعدما كانت أحالت قبل الحادثة قانون الموازنة.

أسئلة كثيرة طرحتها حادثة البساتين منها: هل سيستمر الوضع القائم حالياً على ما هو عليه وبالتالي سيطيح أصحاب الرؤوس الحامية بالسلم الأهلي من خلال الإصرار على الإبقاء على الانقسام العمودي جراء حادثة لا تتعدى ردة الفعل الغاضبة الآنية، خصوصاً أن من يتهم بتركيب "كمين" كان منذ العام 2000 يتعرّض لكمائن من الفريق الذي يتهمه؟.

سقوط ورقة التوت

وإزاء هذا الواقع، هل سيشهد الجبل حادثة أمنية أخرى مفتعلة لكي تستمر مفاعيل المؤامرة التي تستهدف جنبلاط الذي أثبت أنه لا يزال الزعيم الأول لغالبية مطلقة من الموحدين الدروز، كل ذلك بهدف إيجاد حيثية لأرسلان الذي لم يتمكن من الاستمرار في "جنة" النيابة والوزارة لولا المقعد الشاغر الذي تركه جنبلاط لأرسلان منذ انتخابات العام 2009 بعدما كان أذاقه طعم الخسارة في انتخابات العام 2005؟

هل بدأ رئيس النظام السوري تنفيذ التهديد الذي نقل عن لسانه عشية اغتيال الرئيس الراحل رفيق الحريري بأنه على استعداد لتحطيم الجبل على رأس جنبلاط "لديه دروز ولدي دروز"، لكن ليس من خلال الأقلية الدرزية التي يمثلها أرسلان بل من خلال "الهالة" العسكرية التي يمثلها حزب الله الرابض على مداخل الجبل من الناحيتين الجنوبية والشرقية المتمثل مؤخراً بـ"معمل الموت" الذي يقيمه ببار فتوش في أعالي بلدة عين دارة، والذي كان سبباً مباشراً في بداية انهيار علاقة جنبلاط بالحزب؟

يقال "لعن الله من يوقظ الفتنة"، وهي ليست ببعيدة، لكن حادثة البساتين أسقطت ورقة التوت التي كان يتغطى بها باسيل ومن خلفه حزب الله وكشفت حقيقة النوايا المبيتة ضد مكانة المختارة، والفريق السياسي الوحيد الذي لا يزال قادراً على الوقوف بوجه كل مخططات "التسلل" السوري المتجدد إلى لبنان.

● إحالة حادث البساتين إلى المجلس العدلي، تعيد إلى الأذهان إحالة قضية كنيسة "سيدة النجاة" إلى المجلس نفسه الذي برّأ جعجع وأدانه في ملفات أخرى.

موعد مع شمس لن تشرق

تيرانا

مدينة حُرمت من جمالها لتعيش في الروايات

زمن أنور خوجة هو زمن الفكرة الواحدة والرجل الواحد الذي سيج بالأسلاك الشائكة بلدا صار سكانه سجناء أبديين طوعا وكُرها. وبدلا من أن تحررهم الاشتراكية العلمية وضعتهم في قفص كئيب اسمه البانيا.

تيرانا تفاجئك كما لو أنها ليست جزءا من أوروبا. حالها لا تسر. فهي من أفقر القرى هناك. وسيكون ارتباطها بالبلقان بارتباكه عبر التاريخ مؤشرا على اختلافها.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

ما بين الروائي إسماعيل كاداريه والزعيم أنور خوجة خصام الأدب والسياسة. غير أن كل واحد منهما صنع التاريخ بطريقته الخاصة. كل ما أراه من حولي في تيرانا كنت قد رأيته في أوقات سابقة، لكن عن طريق عيني الداخلية. لقد ألف كاداريه الحكاية التي أضفى خوجة عليها طابعا لا ينتمي إلى زمن بعينه.

زمن خوجة هو زمن الفكرة الواحدة والرجل الواحد وهو زمن القسوة الذي سيج بالأسلاك الشائكة بلدا، صار سكانه سجناء أبديين طوعا وكُرها. بدلا من أن تحررهم الاشتراكية العلمية وضعتهم في قفص كئيب اسمه البانيا. ذلك البلد الصغير الذي يمكن أن تمر به الطائرة من غير أن تشير إليه خرائطها وضعه كاداريه على جدول انتظار جائزة نوبل من غير أمل في الحصول عليها غير أن أنور خوجة شكل نهاية ستينات القرن الماضي خرقا في فهم الشيوعية الدولية وهو ما جعل البعض يرنو إلى الأفق في انتظار أن تشرق شمس العدالة الأخيرة من تيرانا.

> الألبان لدى أديبهم الكبير كاداريه أجوبة عديدة على أسئلتهم. فهو قرأ تاريخ بلاده الصغيرة. عرفها مثلما يعرف باطن يده. الكثير من أحلامها لا تزال مخفية بين سطور رواياته

أنا في تيرانا ولا أصدق أن جيلا من الشعراء الغاضبين كان يحلم بزيارتها باعتبارها أرضا مقدسة. الحقل الذي يثمر فيه عرق العمال والفلاحين فاكهة ذهبية. تفاجئك تيرانا كما لو أنها ليست جزءا من أوروبا. حالها لا تسر. فهي من أفقر القرى هناك. سيكون ارتباطها بالبلقان بارتباكه عبر التاريخ مؤشرا على اختلافها. غير أن البانيا التي عاشت في ظل خوجة أكثر من أربعة عقود أنشأت أنفاقا سرية لكآبة البلقان التي ستكون مصدر سحر في الكتابة والحكم على حد سواء.

مَن ينسى ذلك الأب؟

ليس بالضرورة أن يكون البلد جميلا لكي تحبه ويأسرك. البانيا ليست جميلة مثل نسائها. ولكن كيف حافظت المرأة الألبانية على جمالها في ظل كل تلك القسوة؟ سيضحك خوجة في قبره. فهو يعتبر ذلك أحد منجزاته. شيوعيته الخاصة تهب الجسد جمالا من نوع آخر.

خوجة الذي لا يعرفه أحد يمكن التعرف عليه من خلال المباني التي لا تزال قائمة. وهي مباني الاشتراكية المتجهمة التي هي أشبه بالمعاقل. لا يمكنك أن تفرق بين المدرسة والمصنع والمكتبة والمعسكر والمقر الحزبي. بنايات متشابهة تراها في كل مكان وعليك أن تسأل عن وظيفتها. لم تكن لدى خوجة فكرة عن الخيال المعماري. كل الأبنية التي تعود إلى عصره وهي لا تزال ماثلة لا تفصح عن نزعة خيالية. فهي بالرغم من تحصنها بهيبة الدولة العنيفة لا تخفي سوقيتها وابتذالها الذي يذهب إلى نهاية الشارع كما لو أنه طفل معتوه يتباهى بعريه. إنها في أحسن أحوالها تصلح أن تكون سجنا. ربما كانت تلك الفكرة هي ما تروق لخوجة الذي لا يذكره أحد الآن.

"كما لو أنهم نسوه" أقول لنفسي بشيء من السخرية. "لا يُنسى الأب" أضيف بقدر من اللوعة. لو أنه استمر بائع تبغ وقد كانت مهنته في واحدة من مراحل حياته أو اتبع والده في تجارة القماش. تلك جملة لا قيمة لها. فالرجل صار اليوم جزءا من تاريخ البانيا التي أخرجها من العصر العثماني ليدخلها إلى عصره. لقد فعل خوجة أشياء، فتحت أبواب العصر الحديث أمام بلاده. مساواة المرأة والتعليم والعناية الصحية. غير أنه في المقابل فعل أشياء أغلقت على باب أبواب العزلة، ما سبب لها الكآبة المزمنة.

البانيا بجمال طبيعتها ونسائها بلد كئيب. يحبها المرء لأنها بلد كئيب. كان إسماعيل كاداريه شقيا في البحث عن أسباب تلك الكآبة التاريخية. غير أن خوجة "لقب يعني الحاج" وقد طابت له فكرة أن يتسلى شخصيا باختراع أسباب جديدة لتلك الكآبة عرف أن الخوف من العالم الخارجي يمكن أن يعينه على الحكم. لقد أجهد نفسه في ابتكار الوسائل التي تخلق شعبا خائفا. بحيث قضى الألبان أربعة عقود وهم لا يعرفون شيئا عن تلك القوى التي تخيفهم. أشباح ليس لها شأن في الحياة سوى الحديث بلغة العقائد.

الذهاب المبكر إلى النوم

هناك جيل لا يعرف مَن هو خوجة. ليس هناك ما يُشير إليه. إسكندر بيك أكثر شهرة منه. تلك واحدة من الحكايات التي يمتزج فيها الوهم بالحقيقة. لا يكذبها التاريخ، غير أنه لا يؤكد مبالغاتها. تمثال إسكندر بيك يقع في وسط المدينة. هناك ساحة تحمل اسمه. في محيط تلك الساحة تنتشر المقاهي والحدائق والحانات والمطاعم والمخازن التجارية والنافورات وشوارع المشي. المدينة التي هي ليست هي. قليل من ريفيتها يتدثر بالكثير من مظاهر المدنية التي يسعى شباب تيرانا إلى الانغماس فيها بحثا عن حياة معاصرة، تبدو الطريق إليها طويلة بسبب خراب، لا تبدو ملامحه واضحة. هو ذلك الخراب الذي تركته لمسة الأب الميت الذي لم يرثه أحد.

تيرانا ليست مدينة متصلة. لا تترابط أحياؤها بعضها بالبعض الآخر. إنها تكوين عشوائي مفكك. البيوت التي لا يبدو عليها ترف كثير في ضواحيها لا يلتصق بعضها بالبعض الآخر. هناك مسافة واضحة تفصل بين البيت والآخر. أعتقد أنها مسافة نفسية. هل هو الخوف منعكسا على هيأة سلوك جغرافي؟ قلت لحسونة المصباحي "التقط لي صورة على الجسر" وكان جسرا صغيرا. ومن أجل أن يثبت مهارته في التصوير استغرق وقتا طويلا من أجل أن يلتقط صورتين. في تلك الأثناء لم يمر أحد كما يحدث عادة في المدن الأوروبية. قلت له "ألم تلاحظ أن ليس هناك ازدحام مروري؟" قال "عدد السيارات قليل في البلد". تيرانا مدينة هادئة، يغلب عليها السكون في كل أنحائها. فإذا كان مركز المدينة لا يعمه الصخب فكيف هي الحال في الضواحي؟ يذهب الألبان إلى النوم مبكرين وليست لديهم عادة التلصص من خلف النوافذ. علينا أن نستعيد حكايات الأطفال. يُحيل إلي أن تيرانا لا تزال طفلة. إنها طفلة البلقان التي أدارت ظهرها للعالم.

> قليل من ريفية تيرانا يتدثر بالكثير من مظاهر المدنية التي يسعى شبابها إلى الانغماس فيها بحثا عن حياة معاصرة، تبدو الطريق إليها طويلة بسبب خراب، لا تبدو ملامحه واضحة

ولذلك فإن كل الوصف الخارجي قد يخونها. يخون حقيقة المدينة التي تجنبت الحروب عن طريق العزلة. وهو ما يمكن أن يُحسب لأنور خوجة لا عليه.

أين يختبئ الجمال؟

أمشي في دروب المدينة التي كانت تُسمى في الماضي مدينة المساجد ولا أرى أثرا لتلك المساجد إلا في الضواحي. أربعون سنة من الحروب العقائدية المغلقة لم تبق شيئا من العلاقة بالسماء.

لقد اكتشف الألبان أن الأنفاق التي أنشأها نظام خوجة استعدادا للحرب النووية لم يكن لها معنى. أما أن يصنعوا منها متاحف فهي فكرة لا تنطوي هي الأخرى على معنى من نوع ما. ولكن العبث الذي دمر علاقتهم بالسماء لا يزال قائما بل ومهيمنا على طريقة تفكيرهم.

كان من الممكن أن تكون تيرانا جميلة. ولكن كيف؟

لدى أديبهم الكبير كاداريه أجوبة عديدة على سؤال من ذلك النوع. فهو قرأ تاريخ بلاده الصغيرة. عرفها مثلما يعرف باطن يده. الكثير من أحلامها لا تزال مخفية بين سطور رواياته. الألبان محظوظون إذ وهبهم القدر روائيا كبيرا هو مفاجأة قياسا لعدد السكان ومساحة البلاد. غير أن العبقرية تفلت من المعايير الجاهزة. غير أن ما يمكن قوله إن بلدا مثل البانيا حُرم من الحياة الطبيعية لعقود طويلة وهبه القدر كاتبا يلهمه حياة على الورق.

العرب الثقافي
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

الراديكاليات السياسية الجديدة في فرنسا

نقاش فكري فرنسي حول الفاشيات والراديكاليات والفوضويات المستجدة يميناً ويساراً

لا حرب بين الناس.. لا سلم بين الطبقات.. شعار في الشارع الفرنسي

لم تكن حركة "السترات الصفراء"، التي تواصل تظاهراتها الاحتجاجية كل سبت منذ 17 تشرين الثاني 2018 برغم القمع البوليسي الشرس، سوى جزء من الغضب المجتمعي العارم الذي زادت في تأجيجه كتل متطرفة من الراديكاليين، من اليسار واليمين على حدّ سواء، فضلا عن مجموعات نضالية أخرى ليس لها من غاية غير التصادم مع النظام القائم. فمن "البلاك بلوك" الكتل السوداء إلى الفاشيين الجدد، ومن الزاديست إلى طالبي النجاة دون أن توحّد بينهم أيديولوجيا معينة؛ فبعضهم يعادي الرأسمالية، وبعضهم يعادي اليهودية أو الإسلام، فيما يجاهر غيرهم بعدائه للاتحاد الأوروبي، ولكنهم يلتقون جميعا في رفض رهانات اللعبة الديمقراطية، والاحتجاج العلني، وحتى العنف كوسيلة تعبير.

أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

هذا الموضوع يمثل هاجس المفكرين والباحثين في العلوم السياسية والاجتماعية في الوقت الراهن، من ذلك مثلا أن مجلة "العلوم الإنسانية" أفردت في عددها الأخير ملفا عن الراديكاليات السياسية الجديدة في فرنسا، لمعرفة مدى نموّها وانتشارها في أوساط الشبيبة، وتساءلت هل تعكس أزمة سياسية، وهل يشكل عنفها تهديدا للسلطة، فضلا عن أساليب تنظيمها.

يعرّف معجم لاروس الراديكالية بأنها "كل مذهب متصلّب في كل ما يتعلق بالمعتقد السياسي"، ولكن التعريف اتسع منذ القرن الماضي ليشمل التطرف ومشتقاته، كالأصولية والإرهاب، ويمثل في كل الحالات قطعا مع المجتمع الذي ينشأ فيه التزام راديكالي، ما يفتح المجال أمام أشكال غير معروفة للعمل السياسي. وهو ما يؤكده أوليفيي غالان إذ يعتقد أن "الراديكالية السياسية تتبدى من خلال شريحة واسعة من الأعمال والسلوكيات التي تعبّر عن إرادة القطع مع المنظومة السياسية والاجتماعية والثقافية، وحتى مع المعايير والأعراف القائمة".

والقطيعة في حد ذاتها ليست مأخذا، ففرانسوا ميتران، كان حتّ رفاقه، خلال مؤتمر إيبيني الذي انعقد عام 1971، على قبول "القطيعة مع النظام القائم والمجتمع الرأسمالي، وإلا فلن يكون لهم مكان في الحزب الاشتراكي". وإيمانويل ماكرون استعمل المصطلح نفسه عندما نشر عام 2016 كتابا بعنوان "ثورة"، ضمّنه أسس برنامجه الرئاسي. ورغم أن الرجلين شجعا صراحة على انتهاك الوضع القائم قبل الوصول إلى هرم السلطة، فلا يمكن بحال أن تنطبق عليهما صورة "المتطرف"، لأن المشروع السياسي الذي يمثلانه ينضوي تحت مسعى انتخابي يحترم المؤسسات. ومن ثَمّ، فإن الراديكالية، بمعناها الأشمل، تتسع لمختلف الممارسات والمعتقدات، الجماعية والفردية، اليمينية واليسارية، الدينية والسياسية، الإرهابية والسلمية، السرية والعلنية.

أما الراديكاليات مثار الجدل فتخصّ أولئك الذين يرفضون المنظومة بشكل أو بآخر. وإذا كانت المقاربة القانونية قد وضعت منذ ثلاثينات القرن الماضي الحدود التي يُعدّ انتهاكُها خرقا للقانون، يعاقَب عليه مرتكبوه، أفرادًا أو جماعات أو تنظيمات، فإنها تعجز عن الإلمام بشتى الراديكاليات، لا سيما تلك التي لا تملك تنظيما ولا دعاية أو برنامج نشاط، إذ غالبا ما تنتأ دون سابق إنذار. لذلك اختارت السوسيولوجيا السياسية مقاربة أخرى تقوم على وصف الأعمال والمشاريع السياسية، بيّنت وجود ممارسات مشتركة بين الراديكاليين يمكن إجمالها في المساس بالنظام العام، وإرادة إضعاف الإطار الديمقراطي، وتكوين تنظيم شبه عسكري، واستفزازات عنصرية أو حاقدة. ويتبدى من خلالها نزوع تلك التنظيمات إلى العنف. فهل أن ذلك مؤشر حاسم على الراديكالية السياسية؟

في الواقع ليس من السهل تحديد ما يمكن نسبته إلى العنف السياسي، فلئن كان عالم الفكر السياسي الأميركي هارولد نيورغ (1927–2001) يربطه بكل أعمال الشغب والفوضى، والحرق والتكسير، وإلحاق الأضرار الجسدية، التي يكون لغاياتها أو ضحاياها أو ظروفها وتنفيذها وأثرها معنى سياسيّ، أي تلك التي تنحو إلى تغيير سلوك الآخر في وضعية مساومة لها تأثير على المنظومة الاجتماعية، فإن عددا من علماء الاجتماع يتفقون اليوم على أن الراديكالية السياسية تفترض، ولو نظريا، مباركة اللجوء إلى هذا النوع من السلوكيات، لأن اعتناق أفكار راديكالية ليس بالضرورة دليلا على نية استعمال العنف، فقد "يكون الفرد راديكاليا دون أن يكون عنيفا، والعكس صحيح" كما تقول عالمة الاجتماع إيزابيل صوميي، التي تميز بين "الراديكالية المعرفية" و"الراديكالية السلوكية"، أو بين "راديكالية الرأي" و"راديكالية الأفعال" بعبارة أوليفيي غالان.

بيد أن آخرين يعتقدون أن الحركات الحالية، سواء أكانت منظمة أو عارضة، أقل عنفا مما شهدته فرنسا في القرن الماضي، وأن أغلب الراديكاليات السياسية اليوم تعتمد أعمالا، عنيفة أحيانا وغير شرعية لا محالة، ولكنها لا ترقى إلى الأعمال المسلحة التي كانت ترتكبها منظمة "العمل المباشر" في السبعينات. وفي رأيهم أن الأعمال الحالية تتراوح بين العصيان المدني، واحتلال المقرّات أو الأراضي، والتخريب، وركوب الأحداث، واقتحام مواقع حساسة، وإضراب الجوع، وتحويل المعلومات أو قرصنتها. وكلها تهدف إلى عدم الانصياع إلى القواعد التقليدية للعبة الديمقراطية، أو إدانة قيم ومنظومات مخصوصة، تتغير بتغير الانتماء إلى اليسار أو اليمين. تقول إيزابيل صوميي "الممارسات العنيفة لا تزال قائمة لدى متطرفي الفريقين، ولكن دون استحضار الأيديولوجيا لتبريرها."

من جهة اليسار، كانت الراديكالية حتى نهاية السبعينات حكرا تقريبا على تنظيمات صغرى، تروتسكية وماوية، تتموقع يسارَ الحزب الشيوعي الفرنسي، وتقدم نفسها كبديل للشيوعية الأرثوذكسية يروم إحياء الروح الثورية، بالعنف إن لزم الأمر. ثم ما لبثت تلك التنظيمات أن توارت تماما، أو تخلت عن العنف ولم تعد تظهر إلا من خلال المساهمة السياسية المشروعة، بدءا بالانتخابات، وصولا إلى الاحتجاجات الروتينية. أما اليسار المتطرف في صيغته الحالية، فيستمدّ جذوره هو أيضا من تيار نقد اللينينية المتفرع عن اليسار الشيوعي في عشرينات القرن الماضي، وكان من رموزه روزا لوكسمبورغ (1871–1919) في ألمانيا، وأمادو بورديغا (1889–1970) في إيطاليا وأنطون بانكويك (1873–1960). وقد ابتعد هو أيضا تدريجيا عن الشيوعية ليأخذ طابع الفوضويين إذ ينكرون المنظمات، ويدعون إلى تخفيضات يتولّون أمرها بأنفسهم (كأن يدفعوا قسطا بسيطا من فواتير الماء والغاز والكهرباء، أو يرفضوا دفع أثمان تذاكر السينما والنقل العمومي)، ويستولون على شتى الفضاءات ليتخذوها سكنا. هذه الحركة اختفت تدريجيا في بداية التسعينات، ثم عادت إلى الظهور لتلتحق بالمحتجين ضد كل أشكال العولمة الليبرالية في فرنسا وخارجها.

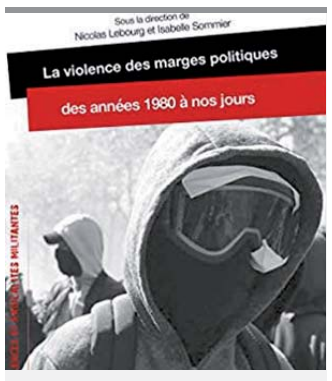

الراديكاليات مثار الجدل تخص أولئك الذين يرفضون المنظومة بشكل أو بآخر

ولما كانت هذه التنظيمات متنافذة، لا نستغرب أن نجد بعض ناشطيها في التيار الراديكالي لمناهضة الفاشية الذي عاد إلى الظهور عقب اعتداءات جماعات من اليمين المتطرف، وتفكك شبكات مقاومة حزب الجبهة الوطنية وأيديولوجيته العنصرية. من هذه التنظيمات أيضا "الزاديست" الذين يدينون "فرض المشاريع الكبرى عديمة الجدوى" إشارة إلى عمليات إنشاء بنى تحتية ضخمة، محدودة الجدوى ومكلفة اقتصاديا أو بيئيا في أواسط الثمانينات، مثل مشروع مطار "نوتر دام دي لاند" في مقاطعة لوار، تحت شعار "ZAD" أي "مناطق التهيئة المؤجلة" (Zones d'Aménagement Différé)، فحولها المدافعون عن البيئة إلى "مناطق ينبغي الدفاع عنها" (Zones A Défendre)، ومنها اسمهم الذي صاروا يعرفون به "Zadistes"، ورابطوا فيها سنوات إلى أن تراجعت الحكومة عن مشروعها، كما تراجعت عن مشروع سنتر بارك في غابة رويبون بمقاطعة إيزير، وأوروبا سيتي في مقاطعة فال دواز.

كذلك "منتقدو التقنية" وهي حركة إيكولوجية راديكالية تقاوم المشاريع الصناعية، وتندد بالتقدم والمجتمع الصناعي، وتستمد جذورها من حركة "الأنارشية البدائية" للأميركي جون زرزان الداعي إلى العودة إلى مجتمع من الصيادين الملتقطين، يعيشون بمعزل عن الحضارة التي يعتبرها استلابا. وتنحصر أعمال هذه الحركة في فرنسا في عمليات تخريب ضد شركات بتهمة المسّ من الحريات العامة.

ولكن أخطرها جميعا هي الكتل السوداء "black blocs" أو "Schwarzer Block" حسب التعبير الذي ابتكرته الشرطة الألمانية لتسمية أفراد ملثمين يسترون أجسادهم بالأسود ويقومون بتكسير الممتلكات ومناوشة قوات الأمن وإثارة الشغب. وخطرها يكمن في عدم خضوعها لتنظيم أو جمعية أو حركة، فهي تتكون من أفراد تجمعهم صلات قربى أو صداقة، وحساسية "أنارشيست" يبررون بمقتضاها اللجوء إلى العنف ضدّ رموز السلطة كالشرطة والمحاكم والإدارات الحكومية، ورموز الرأسمالية كالبنوك ووكالات التشغيل المؤقت، ووكالات الإشهار، والشركات متعددة الجنسيات مثل "نايك" و"ليفيس" و"ماكدونالد"، وكل ما له علاقة بالعولمة الليبرالية، مثلما يبررون نهب المحلات التجارية بكونه "استعادة ما نهبه لصوص الرأسمالية". وقد تزايد عدد الكتل السوداء منذ 2016 وتزايدت أعمالهم العنيفة التي بلغت ذروتها خلال المظاهرة الثامنة عشرة للسترات الصفراء، يوم 16 آذار 2019، حيث حولوا قلب باريس إلى محرقة. ما دفع الحكومة إلى المسارعة بسن قانون "ضدّ المكسّرين" في 10 نيسان 2019.

على اليمين، يوجد أرخبيل من التكتلات السياسية الصغرى يتجاور فيه غلاة الكاثوليك والفاشيون والنازيون الجدد والقوميون ومعادو كلّ من الساميّة والإسلام وأوروبا، ولم يبرز منها سوى حزب الجبهة الوطنية، الذي شكل حجم منافس حقيقي على الحكم وصار يعرف الآن بالتجمع الوطني.

هذا التفتت هو سمة اليمين الراديكالي الفرنسي الذي لم يفلح منذ بدايات القرن الماضي في تشكيل كتلة موحّدة، حتى في عهد حكومة فيشي زمن الاحتلال النازي، حيث توزعت تلك الحركات بين الدعوة إلى قومية أوروبية يكون أفقها نهر الأورال، وبين التأكيد على تفوق الرجل الأبيض، ولم تستطع أن تعمّر طويلا، فقد اندثرت عقب الحرب العالمية الثانية، ولم يصمد منها سوى "النظام الجديد" الذي انبعث، بعد حلّه بسبب أفكاره النيوفاشية، في شكل حزب يتوق إلى المساهمة في الحياة السياسية وشروطها الديمقراطية هو حزب الجبهة الوطنية.

ومنذ مطلع الثمانينات، لم يبق من تلك الجماعات الراديكالية سوى عدد ضئيل كـ "البايكرز" Bikers (سائقي الدراجات النارية) و"السكينهيدز" Skinheads (ذوي الرؤوس الحليقة)، يبث أعضاؤه خطابهم المعادي للآخر عبر الإنترنت، بإيعاز من بعض الكتاب العنصريين أمثال آلان سورال، وهيرفي ريسّان، وجيروم بوربون.

من تلك الفئات الراديكالية القليلة أيضا "القلعة الاجتماعية" التي استلهمت تجربة كازاباوند الإيطالية، وحاولت بعث التيار الوطني الراديكالي، و"الدم والشرف"، و"قتال 18" وكلاهما من النازيين الجدد، والحزب الوطني الفرنسي الذي يتماهى مع حركة الكتائب الإسبانية، ويطمح إلى جلب كل الغاضبين من الأحزاب الحاكمة، والتيار الهووي الذي يضم عدة جماعات من الألزاس ورابطة الجنوب، والهوويون الذين يجعلون الهجرة الإسلامية قبلة سهامهم، ويعتقدون أن استيطانهم يستوجب حركة "روكينكيستا" أي استرداد الأراضي المغتصبة وطرد الغاصبين تمثلا لأفكار مُنظّرهم الكاتب غيوم غاي، الذي يحلم باتحاد عالمي للبلدان التي لا يعيش فيها إلا العرق الأبيض، وكذلك الكاتب رينو كامو الذي يحذر من "التعويض الأكبر"، أي احتلال المهاجرين، العرب والمسلمين بخاصة، للبلاد الفرنسية، وتعويض سكانها الأصليين تدريجيا.

ورغم الخلافات، تلتقي تلك الحركات في بعض النقاط كالخوف من الآخر (altérophobie) وتعظيم الـ"نحن" (autophilie)، وهوس الحرب التي سوف تأتي. وهو ما يدفع عددا منها، المتبقية على الأقل لأن أغلبها تمّ حلّه، إلى اتباع طالبي النجاة (survivalistes)، مثلما تلتقي في رفض المجتمع متعدد الإثنيات، والرغبة في إقامة جاليات قروية متجانسة عرقيا، ولكنها تميل في معظمها إلى العنف، كحل وحيد لطرد المهاجرين. سيرا على خطى جماعة "قوى التدخل" التي كانت تدعو إلى مواجهة الإرهاب الإسلامي بالإرهاب.

وقد بينت وثائق المخابرات العامة أن عنف اليمين المتطرف يفوق عنف اليسار المتطرف، منذ عام 1982، عندما مكنت ثيمة الهجرة حزب الجبهة الوطنية بالظهور في الانتخابات. ومنذ ذلك التاريخ، تحول العنف من صراع ضد المتطرف المقابل إلى صراع عنصري ضدّ الآخر المختلف عرقيا وثقافيا.

وليس الإسلام بمعزل عن تلك الحركات المتطرفة، ففي أعطافه هو أيضا تيارات راديكالية يعزوها أغلبهم إلى السلفية، والحال أن السلفية في فرنسا، كما يصنفها أوليفيي روا، ثلاث فئات، أولاها سلفية التقوى التي يرفض أتباعها كل صراع أو التزام سياسي، ويمارسون حياتهم على هدي تعاليم القرآن والسنّة.

والثانية هي السلفية السياسية كما تتجلى في خطاب الإخوان المسلمين الذين يسعون للوصول إلى السلطة لفرض الشريعة وإقامة دولة الخلافة. وثالثة تلك الفئات هي السلفية الجهادية، التي ترفض شعائرية سلفية التقوى وقبول الإخوان اللعبة الديمقراطية، وتدعو إلى إسلام محارب، يفرض نفسه على الجميع بحدّ السيف.

يتحرك أنصار هذه الفئة غالبا في سرية تامة، لارتباط أعمالهم بالعنف، لا سيما بعد العمليات الإرهابية التي تعرضت لها فرنسا منذ 2015، وقد قدم المتورطون فيها أو المتعاطفون معهم تبريرات يمكن إيجازها في ثلاث نقاط: الأولى نابعة من التأويل الحرفي للرسالة الدينية، إذ أن عددا من الجهاديين يعتبرون أنفسهم أذرع الله في صراعهم ضد أعدائه.

والثانية ذات منحى سياسي يرى أصحابها أن عنفهم ما هو إلا ردّ فعل على الاعتداءات التي يتعرض لها الإسلام السنّي في الشرق الأوسط، وأن قتل المدنيين مبرر هو أيضا ما داموا قد صوتوا لحكومات مسؤولة عن قتل الأبرياء في ديار الإسلام. والثالثة قراءة سياسية دينية لبعض المفاهيم الخاصة بالإسلام كالجهاد، بوصفه في نظرهم فرض عين على كل مسلم ضد دار الكفر والحرب.

إن قياس قوة التزام راديكالي ما يمرّ إذن عبر علاقته بالعنف، ولكنه يمرّ أيضا عبر تحسس عدد من الممارسات التي تسبقها، سواء أكانت عدوانية أم مسالمة، لأن الراديكالي لا يدخل طور العنف الفعلي فجأة، وإنما يأتيه بعد إعداد ذهني وطقوسي، على انفراد أو وسط مجموعة.

وجملة القول إن الراديكاليين، سواء أكانوا معادين للسامية، أو عنصريين، أو معادين للإسلام، يعطون صورة عن وضع المجتمع الفرنسي، فما هم في النهاية سوى علامة على تحلل المجتمع الليبرالي والتوترات الإثنية الثقافية الراهنة، وإرهاصات تنذر بعودة الفاشية.

أحلم بالجزائر التي حلمت بها قصيدتي

نصيرة محمدي: شعراء الهامش هم جوهر الشعرية الجزائرية

ولد شعرنا من الغياب ومن الهامش.. وشكل شعراء الهامش جوهر الشعرية الجزائرية

تنتمي الشاعرة الجزائرية نصيرة محمدي إلى جيل عرف بجيل الهامش واليتم، برزت في ظرف استثنائي عاشته الجزائر، وحملت في نصوصه جينات مواجهة آلة الموت والإرهاب والقتل التي كانت تعصف بكل شيء، واجهت كل هذا بشعرها النابض بالحياة والحب والجمال. في هذا الحوار الخاص تتحدث الشاعرة نصيرة محمدي عن البدايات التي شكلت النضج والوعي والكتابة، وتبوح ببعض هموم وهواجس ونظرتها إلى الواقع والمستقبل في ظل ما تشهده الجزائر من حراك وثورة وآفاق جديدة. نصيرة محمدي اشتغلت في الصحافة والتعليم بالجامعة، وأسست مع مجموعة من الكتاب "رابطة كتاب الاختلاف" وترأستها خلال التسعينات، كما شاركت في مهرجانات وملتقيات وطنية ودولية، وقد أصدرت مجموعة مؤلفات منها: غجرية / كأس سوداء / روح النهرين / جسد الغياب / نسيان أبيض / سيرة كتابة / بجوارهم: حوارات، وترجمة بعض أشعارها إلى اللغة الفرنسية.

أبوبكر زمال
شاعر جزائري

تعود الشاعرة الجزائرية نصيرة محمدي إلى سؤال البدايات في دروب الكتابة بالكثير من النوستالجيا، تقول "السؤال يجعلني ألتفت إلى تلك التجربة الإنسانية التي تقاطعت مع تجارب آخرين وإلى قراءة مسار معقد وملتبس مع الحياة والكتابة والأشياء. أشياء سقطت، وأخرى تغيرت، وما بقي هو الجوهر لا أعرف حجم الألم الذي رافق كل ذلك؛ ولكن بوعي مجروح نقطع تلك المسافات الغامضة والغريبة ونتعارك معها. ذلك الغموض ليس إلا نحن، وتلك الغرابة قدر الكائن المنذور للسؤال والقلق واللااطمئنان. لم أطمئن في حياتي إلى شيء. لم يخلق الشاعر ليعرف السكينة واليقين هو متوثب ومشتعل وملتاع. تلك اللوعة التي تنتهي في كتابة تتجاذبها المخيلة والمعرفة والتجربة ولعنة أن تولد وتتخبط في كل منعطف، وجهة، ومنعرج، وزاوية باحثا عن مسارب جديدة، وأبواب، ومفاتيح لتتسلل روحك نحو النور. تلك الكثافة الإنسانية والجمالية التي تلتحم فيها بالكون". "هذه هي اللحظة الأعمق في حياة الشاعر"، تقول الشاعرة نصيرة، فنحن "لا ننتبه إلى كلماتنا؛ الكلمات التي تحرق، والتي تسكر، والتي تضيء، والتي تقتل. لولاها لانتفى وجودنا وكان العدم. إننا نولد في كلماتنا ورؤاها الممزوجة بأجسادنا ونظراتنا ولمساتنا وأذواقنا وكل تلك الروائح والأصوات المنبثقة من جهات العالم".

الموت والكتابة

"لطالما ارتبطت الكتابة بالموت أكثر من الحياة".. فبالكتابة تقول الشاعرة نصيرة "نواجه موتنا في كل لحظة. ليس علينا أن نفهم ذلك، ولكن علينا أن نبدأ في كل مرة من جديد. نبدأ من موتاتنا الكثيرة في الحياة. الكتابة تهديد وخطر على الموت. هي عملية قتل لما يروعنا، ويلوعنا، ويحجب عنا الجمال والضوء. الشعر ربما هو ثمرة العزلة والصمت والهامش. لا ارتواء من نبعه، ولا امتلاء من روحه، ولا وصول أبدا. كيف أنظر إلى الشعر والذاكرة معا؟ كيف أرى الأشياء تلتحم بالأشياء؟ كيف أكتب الشساعة بأصابع مرتعشة؟ كيف أقرأ ما غاب وسقط مني، ما تراءى لي أنه النسيان. جزء مني هنا، وأجزاء أخرى لا أعرف أين مضت؟ أنا المتروكة، أو أنا التي جعلت الترك هبتها الأخيرة في الكون؟ هذا حس المتناقضات التي تتكثف في ذاتي. وهذا حدس الكائن الذي عليه أن يتخلص من الوثوقيات واليقينيات والجاهز. يدمر ربما ليبني ربما ليعبر عبوره الكبير. نحن نتعلق بالكلمات أم بظلالها؟ نحن نحدس الأشياء أم نهايتها؟ أنا في كل يوم امرأة أخرى. رائحة أخرى. صوت آخر، وحياة أخرى. كيف يكون الشعر معي بعد كل الذي قطعته وحيدة وعارية ويتيمة".

هامش لأصوات اليتم

كتبت الشاعرة نصيرة محمدي مثلها مثل العديد من الأصوات الشعرية آنذاك على هامش زمن الرعب والموت الذي ضرب الجزائر وأعطى ولادة شعرية حارقة، تقول عنها "ولد شعرنا من الغياب ومن الهامش.. وشكل شعراء الهامش جوهر الشعرية الجزائرية". هم، تضيف "أبناء الخوف والدم والنار التي خلفت كل هذا الرماد ضحايا ومعطوبين ومجانين ومنفيين وقتلى. كانت البطولة الكبرى أن تنجو وتبقى حيا. لا زلت لم أشف من تلك المرحلة القاسية من حياة الجزائر". وقد كانت "الكتابة عملية تطهير وعلاج للمآسي التي عشتها، لم تكن سوى محاولة للنهوض من جديد. الندوب باقية. الشروخ الكبيرة اتسعت. كان الشعر ملاذا. الشعر الذي تعثر عليه صباحا بعد ليلة دامية في ابتسامة طفل راكض نحو المدرسة. في خطوات امرأة واثقة رغم الموت. في عيون رجل يشد على روحك وأنت تتهاوى في المنحدرات. ظلت روح اليتم ملازمة لشعراء جيلي وظلوا مكسورين، نصوصهم مثلهم تشبه ضوء رجال مقتادين إلى مناف بعيدة".

عن نظرة البعض إلى أهم مواضيع النصوص التي تكتبها وماذا يقولون فيها، تقول "وجهات القارئ مختلفة ولا وصي على القارئ. القراءة بعيون خاضعة لمعايير الجاهز والمنمط والآلي لن تحيل على جوهر النص، وجوهر الشعر. في اللغة مكابدة، وفي الكتابة كثافة التجربة ورؤية الأشياء والعالم بحرية. داخل الهامش تعاد قراءة ورؤية الشعر بمنظور مختلف. الشعر دائما في مكان آخر". "وأنا أنزع إلى الحرية في كل ما أكتب. ما عدا ذلك هي أحكام حراس المعابد وعبيد المركز".

مع تنوع ما تكتبه الشاعرة نصيرة لا تعرف مدى ما خلفه هذا التنوع عليها، تقول "ولا أعرف ماذا أضافه لي خلال ممارسة هذه الكتابة. كنت أنا في كل ما خطته يدي. كنت الأسر والتحرر. كنت البناء والهدم. كنت أرواح أصدقائي الكونيين من كتاب وفلاسفة وفنانين ورحالة. ومجانين وعشاق. كنت ما يبهج وما يقلق وما يسائل ويحرر وما يتألم وما ينكسر وما ينبعث في كل هذا".

ظلت تيمة الموت ملازمة للكثير من النصوص الجزائرية بسبب عشرية الدم التي عرفتها الجزائر، وقد تجلت بوضوح عند الشاعرة نصيرة وهي ترجع ذلك إلى رغبة في "أن أكتب عن الموت.. عن الفقد المرعب الذي خلفه موت والدي، فقد كتبت قرابة الخمسين صفحة ولم أستطع العودة إليها أبدا. لامست تيمة الموت في النصوص السردية الجزائرية وفق رؤية فلسفية وصوفية وانتهيت إلى ذات القلق الوجودي والتوتر الذي يرافق حالة الكتابة". جيل كامل، تشرح بإيجاز "متخف وراء نصوص صادمة بالموت والدم والوحشية. ونصوص حارقة كانت شاهدة وشهيدة لزمن ما زال خزانا كبيرا للكتابة وإبداع حالة ليست جزائرية ولكنها حالة إنسانية عالية الجرح ودامية الأثر".

قوة وعي ونضج رافقت المسيرات المتحضرة كل جمعة، ومحت من ذاكرتي الجمعات السوداء الحزينة في فترة التسعينات. آمنت بهذا الشعب من جديد وبروحه الثورية. وتزعجني نخبه الجبانة والمستلبة والانتهازية التي استفادت من كل المراحل

إضافات تجربة الاختلاف

كان للشاعرة نصيرة محمدي أثر بالغ في مرافقة وترأس واحدة من أهم الجمعيات الثقافية وهي تجربة تكشف عن بعض خطوطها قائلة "كانت تجربة الاختلاف جزء من مساري الصعب والغني أيضا. في مشهد قاتم ومأساوي كنت في أتون النار بين عملي في الصحافة وانخراطي في جمعية ثقافية واجهت تحديات قاسية، وراهنت على الثقافة والكتاب كحل لأزماتنا الكثيرة ومحاولة مقاربة أسئلة جوهرية وملحة في حياتنا الجزائرية. سؤال الثقافة والمرأة واللغة والديمقراطية والحريات في ظل هيمنة الديني والسياسي، وفي ظل ظروف اقتصادية قاهرة، وغلق لكل أوجه الحياة. كانت الجزائر معزولة عن العالم تواجه قدرها وحيدة وكان علينا أن نقاوم ونحيا. عشنا بالقليل وحلمنا كثيرا وكانت هذه التجربة اختبارا لقوتي وصلابتي". "وقد أنجزنا القليل، ولكن كان ذلك استثناء وبطولة في صحراء قاحلة. كان الهم الثقافي هاجسا. وكانت التهديدات والاتهامات فوق طاقة التحمل. لكننا آمنا بفكرة نبيلة حققت ثمارها". "كنت أكثر تفاؤلا في مراحل سابقة لبناء ثقافة مغايرة ومختلفة تحتفي بالتعدد والحداثة والاختلاف والتنوير".. تجيب عن سؤال حول واقع الثقافة في الجزائر؟ "بؤس النخب وغياب مشروع حقيقي، وهشاشة واقعنا تجعلني متعبة وعدمية في الكثير من الأحيان".

الحراك الجزائري ثورة أخرى

تنظر الشاعرة نصيرة محمدي إلى الحراك الذي هب في ربوع الجزائر على أنه "ثورة الجزائر الثانية وهي هزة حقيقية في روحي التي حملت عبء بلد غني وخصب ويشكل قارة بخيراته، وشبابه، وثرواته". "كنت من البداية مع هذه الثورة، واكبتها بعقلي وحضوري وانغماري في يوميات الحراك حالمة بدولة مدنية حديثة ومتطورة، ديمقراطية وحرة. كان وعي الشباب سلاحا لاستكمال هذا المسار الخطير والموجع. قوة وعي ونضج رافقت المسيرات المتحضرة كل جمعة، ومحت من ذاكرتي الجمعات السوداء الحزينة في فترة التسعينات. آمنت بهذا الشعب من جديد وبروحه الثورية. وتزعجني نخبه الجبانة والمستلبة والانتهازية التي استفادت من كل المراحل". "ومع ذلك سأظل أحلم بجزائر أخرى وبإمكانية انبعاث الحياة من جديد".

في الأخير ترى الشاعرة نصيرة محمدي أن نص هذه الثورة لم "يكتب بعد.. إنها حالة تأمل، وقراءة جديدة لكل ما كتب وما سيكتب. عين الثورة ترى ما يتجاوز السطحي، والظاهر، والعابر". "نحن نتوارى خلف النصوص. الغبار هو ما يبقى منا. خبراتنا ومعارفنا تترسخ في ما يمكن أن يتم بالقراءة والكتابة معا. هما السر والرؤية ليفيض الجمالي والإنساني بقوة الروح والحياة".

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

هكذا يُصنع المفكرون في الغرب

يوفال نوح هراري نموذج جديد من المفكرين الذين يجيبون القارئ عن كل الأسئلة

حميد زناز
كاتب جزائري

يوفال نوح هراري.. كاتب يؤرخ للجنس البشري بلغة الأحكام النهائية مستهدفاً القارئ العادي

ما هي الأسباب الحقيقية التي جعلت من المؤرخ الإسرائيلي الشاب نجما في عالم الثقافة والفكر منذ حوالي 4 سنوات؟ ولئن كان الأمر عاديا في بقية بلدان العالم المتعود أغلبها على الموضات الفكرية العابرة، فمن الغريب أن يصبح مرجعا وأستاذ فكر في فرنسا، بلد العلوم الإنسانية والفلسفة والنقد المتعدد. فمنذ صدور "العُقال ـ موجز تاريخ الجنس البشري" كتابه الأول مترجما إلى اللغة الفرنسية سنة 2015 مرورا بثاني كتاب له تحت عنوان "هومو ديوس" أو "الإنسان الإله، موجز تاريخ الغد" سنة 2017 ووصولا إلى آخر كتبه "21 درسا للقرن الحادي والعشرين" الصادر في شهر سبتمبر الماضي والصحف والمجلات والقنوات التلفزيونية الفرنسية تحتفي بالرجل كأنه المهدي المنتظر الذي طال انتظاره، ولكن من يتمعن في أطروحات كتبه الثلاثة بعيدا عن التقديم اللطيف والسطحي الذي يحظى به في وسائل الإعلام، لا يعثر على ابتكار متناسب مع الشهرة التي حققها كشخص والمبيعات التي حققتها كتبه عبر العالم وفي فرنسا تحديدا. بكلمة واحدة هل يستحق ما جاء في ثلاثيته كل هذا الاهتمام والاحتفاء إلى حد القول إنه أهم وأكبر مفكر في الوقت الحالي في صحف عالمية عديدة، من بينها أسبوعية لوبوان الفرنسية التي وصفته بـ"المفكر الحالي الأكثر أهمية في العالم"؟. أما الماغازين ليتريير الشهرية الفرنسية الشهيرة فقد وضعته في عددها الأخير يناير 2019 على قائمة "الـ35 مفكرا الأكثر تأثيرا في العالم" وهو العنوان الذي يتصدر صفحتها الأولى.

كيف يمكن لأستاذ تاريخ مغمور في إسرائيل متخصص في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى أساسا أن تجد "أفكاره" صدى في موضوع "ما بعد الإنسان" ومستقبل النوع البشري وغيرهما من الإشكاليات التقنو-علمية الراهنة التي يطرحها العبر-إنسانيون في السيليكون فالي؟ واختصارا ما هو سر نجاح مؤلفات تزخر بالأخطاء التاريخية والفلسفية؟

حكي أم تاريخ؟

لقد تم رفض كتابه الأول "العقال ـ موجز تاريخ الجنس البشري" من قبل 25 دار نشر في الولايات المتحدة الأميركية قبل صدوره سنة 2014 ببريطانيا، ثم الحصول على ذلك النجاح الكبير في أميركا ذاتها بعد ذلك وترجم إلى حوالي 30 لغة وهو نجاح غير معهود، فالكتب التي تبحث في التاريخ قلما يكون لها مثل هذا النجاح الخارق للعادة. وفي الحقيقة لا يعود ذلك النجاح إلى إضافات جديدة وإنما بسبب تناوله لموضوع يجعل القارئ يحلم بالقبض على تاريخ الإنسانية كله في قبضة واحدة، علاوة على اعتماده الأسلوب السردي المتحرر من المرجعية العلمية الصارمة. فهو يتتبع تاريخ الجنس البشري منذ أن كان في مرحلة الصيد والقطف في العصر الحجري القديم ووصولا إلى الملاعب الرياضية في القرن الحادي والعشرين. وليس هذا فحسب بل يسمح "المؤرخ" لنفسه بالتحول في فقرات كثيرة إلى قارئ فنجان يتنبأ بمستقبل الإنسان ويصف ما سيكون عليه بالتفصيل الممل. وإن جمع الكاتب كمية هائلة من المعطيات والأفكار من مختلف التخصصات كعلم الأحياء والأنتروبولوجيا والاقتصاد والتاريخ الخ، فإنه لم يتمكن من الوصول إلى تركيبة مقنعة بل بقي الكتاب في الغالب عبارة عن مجموعة من الحكايات، يقفز الكاتب عبرها من موضوع إلى آخر وكثيرا ما يتيه القارئ مع استطراداته المجانية. ما الفائدة من تخصيص صفحات وصفحات لاستحضار ما هو بديهي واضح كالقول إن "إجراء البحوث العلمية يكلف غاليا" وهل يحتاج القارئ لكي يفهم أن الإنسان هو الذي يسيطر في العالم أن يعرف أن وزن مجموع الحيوانات الآليفة هو 700 مليون طن وأن هناك 80 ألف زرافة على وجه الكرة الأرضية و200 ألف من الذئاب الرمادية؟ ولكن ما يدعو للتساؤل أكثر هو تساهل الكاتب الكبير مع التوثيق وشح المصادر. يغامر في التأكيد مثلا على بعض الأطروحات ويعللها بطريقة سريعة سطحية ودون ذكر لأي مصدر أو نقاش في الموضوع كقوله إن "التطور جعل من الإنسان العاقل ومعه كل الثدييات الاجتماعية مخلوقا كارها للأجانب"! هو في النهاية كتاب حاول أن يعالج قضايا مثيرة للغاية ولكن دون اكتراث كبير بمتطلبات البحث العلمي والحقيقة العلمية.

أخطاء فادحة

من "هومو ديوس" (الإنسان الإله)، تنبعث رائحة عالم الاجتماع الفرنسي أوغست كومت. فهو يعيد طبخ أطروحة هذا الأخير الشهيرة بكل توابلها ولكن دون أن يذكره. تلك النظرية التي قسمت تاريخ البشرية إلى ثلاث مراحل كبرى: الدينية، الميتافيزيقية والوضعية.

يرى يوفال نوح هراري أن التاريخ الغربي ينقسم إلى العصر اللاهوتي حيث كانت تأتي المبادئ التي تحدد الأخلاق ومعنى الحياة من الإله. والعصر الميتافيزيقي-الإنساني الذي افتتحه جان جاك روسو والذي يترسخ فيه انسحاب الإله والسعي لنقل السلطة إلى قلب الإنسان وإرادته الحرة وحساسيته وأناه العميقة. وقد تولّدت حسب هراري عن الإنسانوية أو المذهب الإنساني أمور ثلاثة: أولا الليبرالية الفردية وثانيا الاشتراكية التي يرى أنها وصلت إلى أوجها مع فلاديمير لينين وماو تسي تونغ! ومن الغريب أنه لا يفرق بين الاشتراكية والشيوعية. وثالثا السياسة التطورية والتي يقول بالحرف الواحد ودون أن يخشى لا من إثارة السخرية ولا الشفقة إنها بلغت الذروة مع "النزعة الإنسانية النازية"! أما العصر الثالث فكما هو الحال لدى أوغست كومت فهو عصر العلم الوضعي ولكن متمثلا اليوم حسب هراري في البيو-تكنولوجيا والذكاء الاصطناعي.

من المدهش حقا أن تكون لدى مؤرخ أصبح نجما عالميا رؤية خاطئة ساذجة لتاريخ أوروبا الحديثة، أليس مأساويا أن يرى في الفيلسوف جان جاك روسو أب إنسانوية عصر الأنوار بينما هو أول نقادها الراديكاليين! أليس من الغريب أيضا أن يجعل يوفال نوح هراري من ماركس ونيتشه وفرويد الممثلين للإنسانوية في حين أن "فلاسفة الارتياب" هؤلاء هم الذين دمروا قواعد الإنسانوية قبل علماء الأحياء بتطوير نقد جذري لفكرة حرية الإرادة. فليس العلم الحديث هو الذي أثبت أخيرا أن مفهومي "حرية الإرادة" و"الشخص" مجرد خيال كما يعتقد هراري، فالتعارض بين الحتمية والحرية فكرة قديمة قدم الفلسفة ذاتها ولم ينتظر مارك أوريل، ابن رشد، سبينوزا أو سيغموند فرويد البيولوجيين المعاصرين ليطرحوا الإشكالية ويفهموا أنها مستعصية الحل ولا يمكن أن تحل عن طريق العلم لأنها مسألة ميتافيزيقية لا تجريبية. أليس من الغريب أن تغيب هذه البديهية عن ذهن مثقف من هذا الطراز؟

أليس من العبث واستغباء القارئ اعتبار أدولف هتلر وماو تسي تونغ الرجلين الأكثر تمثيلا لإنسانوية عصر الأنوار؟ أيتطلب الأمر جهدا ليعرف الكاتب المؤرخ أنهما النفي المطلق لها؟ يتنبأ يوفال نوح هراري بأن الإنسان سيطاح به مثلما حدث للإله في أوروبا بفضل التقدم العلمي وخاصة البيولوجيا والمعلوماتية والخوارزميات الإلكترونية.

يدخل الإنسان في عصر "الداتايزم"، بمعنى معالجة وامتلاك تدفقات البيانات الهائلة التي يخلفها أي مرور على الإنترنت تجعل السلطة التي كانت قديما ملك الإله ثم الإنسان تنتقل من الآن فصاعدا إلى الخوارزميات غير الواعية التي تعرف الإنسان أحسن من معرفته لنفسه والتي تبدأ في حرمانه من حريته شيئا فشيئا. فالذكاء الاصطناعي حسبه هو الآن أقوى بكثير من الذكاء الطبيعي أو البيولوجي، فهو يتفوق على أي طبيب متخصص في مرض السرطان في تقديم تشخيص واقتراح علاج، ولكن ما لا ينتبه إليه المؤرخ المغامر في مجال العبر-إنسانية أن هذا لا يعني فقدان الحرية فالطبيب يبقى هو العنصر الأساسي في العملية الطبية لأنه سيبقى دائما هو الذي يستعمل الذكاء الاصطناعي لصالح المريض، ما دام الأمر لم يصل بعد إلى الذكاء الاصطناعي القوي المجهز بوعي، بمعنى الواعي بذاته. ومن الغريب ألا يذكر يوفال نوح هراري هذه الفرضية الشهيرة المرعبة! والتي تثير نقاشا كبيرا بين العبر-إنسانيين والبيو-محافظين. ألا يعرف أن في السيليكون فالي التي تبجله تصرف الملايير من الدولارات من أجل الوصول إلى هذا الذكاء الاصطناعي القوي الذي سيتفوق نهائيا على الذكاء الطبيعي ويستقل بذاته في حدود 2045 إذا ما صدقنا رأي كوروزويل صاحب كتاب "كيف نصنع عقلا؟" والذي كلفته شركة غوغل لتحقيق هذا الحلم؟

لماذا هذا الشغف؟

في كتابه الأخير "21 درسا للقرن الحادي والعشرين"، يثير يوفال نوح هراري الضحك عندما يحث المجتمعات على أن تحمي نفسها. ولا يحصّل سوى الحاصل عندما يقول إن الإنسانية المعاصرة تواجه تحديات عديدة أهمها: الانفجار التقنو-علمي، الأزمة البيئية! أما تنبؤه بالصعوبات التي قد تعترض الفرد في النظام الليبرالي والديمقراطي الغربي وأمام تفوق الذكاء الاصطناعي فما هو سوى استنساخ غير مباشر وتحيين "1984" كتاب جورج أورويل الشهير المنشور سنة 1949.

لم ينل كتابه الأول "العقال ـ موجز تاريخ الجنس البشري" نجاحا فوريا ولم تهتم به وسائل الإعلام ومن ثم اهتمام القراء سوى بعدما وضعه مدير عام فايسبوك مارك زوكربيرغ على قائمة كتبه الخاصة وإشادة الرئيس الأميركي الأسبق باراك أوباما وكذلك الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي دعاه لمأدبة غذاء في قصر الإليزيه وإطراء مؤسس شركة مايكروسوفت بيل غيتس على صفحة نيويورك تايمز الأولى والكثير من الفنانين النجوم.

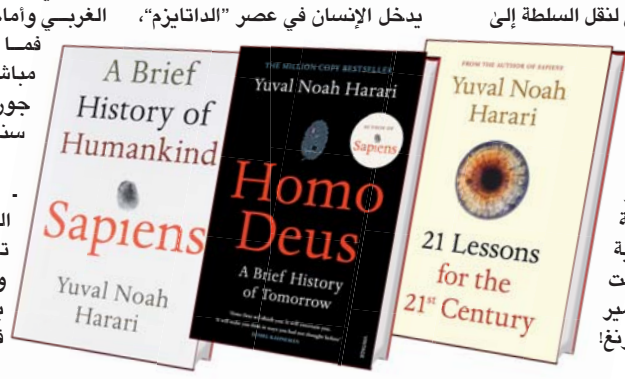

> **أليس مأساويا أن يرى في الفيلسوف جان جاك روسو أب إنسانوية عصر الأنوار بينما هو أول نقادها الراديكاليين! أليس من الغريب أيضا أن يجعل يوفال نوح هراري من ماركس ونيتشه وفرويد الممثلين المثاليين للإنسانوية**

لقد وجد جبابرة التكنولوجيا في السيليكون فالي وكل العلماء والمهندسين والمبدعين الرجل الذي يؤكد لهم أنهم إذا ما أرادوا تغيير العالم جذريا فالسلطة لا تزال بين أيديهم وينصحهم ولو بطريقة ملتوية أو لاواعية أن يتجنبوا تحول حلمهم التكنولوجي إلى كابوس مرعب سيكونون فيه هم أول الخاسرين.

وما ساعد أيضا في إنجاح طريقة يوفال نوح هراري هو الأحكام النهائية التي يطلق على الأحداث والظواهر التاريخية والمستقبلية والاستنتاجات والتفسيرات السريعة التي يقدم وهو ما يتناسب مع القارئ العادي عكس الأعمال التاريخية الأكاديمية الصارمة منهجيا وتوثيقيا والتي كثيرا ما تحبط بل تثبط من عزيمة هذا القارئ لصعوبة متابعتها وعدم اقتراحها لحلول مباشرة للمشكلات المطروحة بسبب حذرها واعترافها بعدم الإلمام الشامل بكل حيثياتها. ومن هنا يجد القارئ العادي في يوفال نوح هراري ما لم يجده لدى علماء التاريخ: البساطة والسهولة واليقين. وهو ما تجده الجماهير الغفيرة في ملاعب كرة القدم فتملؤها ولا تجده على ركح المسرح المعاصر فتهجره. وأخيرا ألا يحق لنا أن نطرح هذا السؤال الذي قد لا يطرحه غيرنا وقد يراه البعض في غير محله: ألم تتوفر في يوفال نوح هراري ثلاث صفات يستلطفها إنسان الطبقة المتوسطة في فرنسا ساعدت على انتشاره: كونه إسرائيليا، مثليا وبوذيا؟

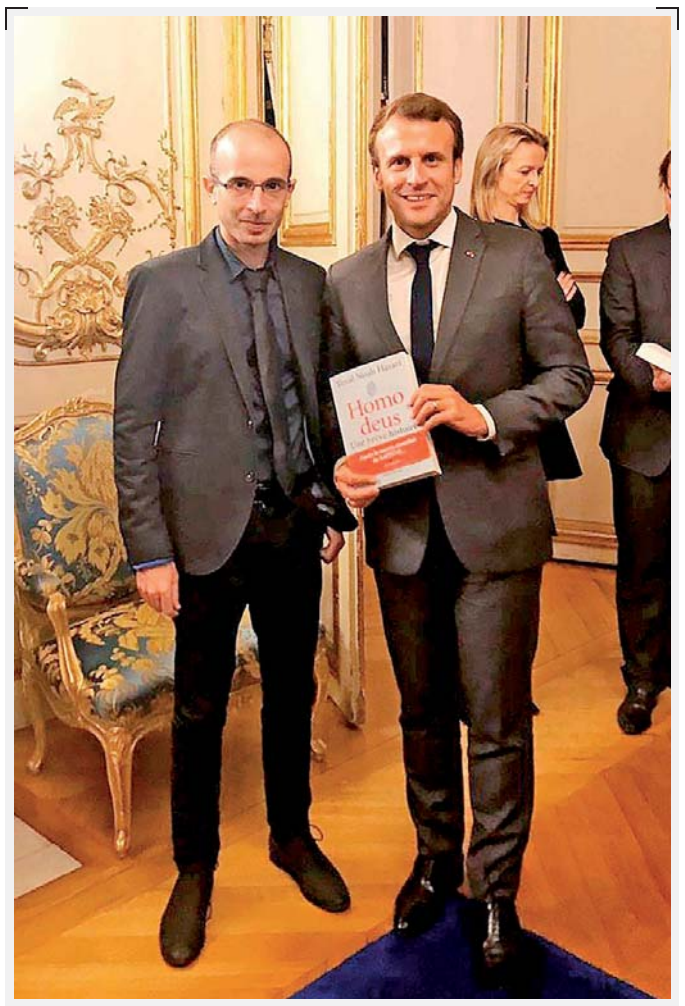

نوح يوفال بجوار الرئيس الفرنسي ماكرون الذي يحمل كتابا للمؤلف... خلال استقباله في الإليزيه.

تجربة إماراتية لافتة في أدب الطفل

اليازية خليفة: مشروعي لأدب الأطفال يقوم على التأليف والترجمة والرسم بلغة جديدة

اليازية خليفة.. تغامر مع الأطفال عن قرب لتلتقط حساسية الطفل بإزاء الفن والكتابة

تُطلقُ الأسماء على الناس أو على الأشياء بسبب الشغف والحب، بالشخص أو بالشيء أو بالأسماء ذاتها؛ لكن الحبّ والشغف، على أهميّتهما، ليسا الحافزين الوحيدين للتسمية، فهما، وإنْ كانا ظاهرين للعيان، يكتنزان في داخلهما حوافزَ أكبر، ذات ارتباط وثيق بهدف تلك التسمية، وليسَ هناك من مثال أدقّ على ما أقول من الاسم الذيً اختارته الأديبة والناشرة الإماراتيّة اليازية خليفة لدار النشر التي أسّستها في أبو ظبي منذ بضع سنين: «الفُلك»، أي ما يعبر النهر ويمخر عباب البحر، وما يُحمّل على متنه لإيصاله إلى الضفة الأخرى، التي قد تكون ضفة الوصول إلى الدار أو إلى أرض النجاة، وهو، أي «الفُلك»، حسب جميع الكتب السماوية ونصوص الأساطير القديمة، ما أنقذ البشرية من الغرق والهلاك خلال الطوفان. التقينا اليازية خليفة في معرض الكتاب بتورينو الإيطالية، التي استضافت الشارقة، في هذا العام كـ«ضيفة شرف».

عرفان رشيد
كاتب عراقي

اختارت هذه الناشرة اسم «الفُلْك» انطلاقا من الالتزام والسعي لتعبرَ بالنشء الجديد والأطفال واليافعين من الجهل إلى المعرفة عبر الكتاب بأنواعه، مُمسكةً برأس الخيط في العُقدة، فلا تقدّم دون التعليم والمدرسة والكتاب، ولا مجتمع قادراً عَلى الحياة فِي العصر الحديث دون ومضة النور المشعّة من الثقافة، ورغم ما يدّعيه البعض في الكتاب، أو الثقافة بشكل عام، ليس خبزاً يعتاش به البشر، لكنّهما في حقيقة الأمر، أي الكتاب والثقافة، مفتاحان ثريّان لإيصال البشر إلى مستويات أعلى ولتمكينهم من ضمان المستقبل الأفضل والكرامة والقدرة على الدفاع والذود عن تلك الكرامة وذلك المستقبل.

نشر مستقل

تقول اليازية خليفة الفلك للترجمة والنشر دار نشر مستقلّة، تأسّست في عام 2015 في أبو ظبي، وجاء ميلادها لسدّ فجوة الفراغ في إطار كتب للأطفال واليافعين تحديداً، وهذا ما دفعنا إلى التفكير بإثراء المكتبة العربية بإصدارات مترجمة من اللغات المتنوّعة، مثل الآيسلنديّة والإسبانية والهولندية والإيطاليّة والكوريّة والفرنسيّة، وفي المستقبل القريب اللغة الألمانيّة واليابانيّة”، وتضيف ”الهدف هو أثراء المكتبة العربيّة وتوعية الطفل العربي وتعريفه بتنوّع الثقافات على المستوى العالمي، كما أنّ هدفنا الرئيسي هو تعليم القرّاء الناضجين والوالدين بكيفية تحبيب القراءة إلى الأطفال الصغار من إلى حدود 4 سنوات؛ لأنّ أبناء وبنات هذه الفئة العمرية يحتاجون إلى حضن، وإلى شخص يجلس معهم ليقرأ لهم قصة، وإذّاك يُصبح ارتباط القصة والقراءة ارتباطاً عاطفياً، وليس مجرّد ارتباط مدرسي أو منهجي، وبالتالي يبدأ الطفل بالانفتاح على القراءة والكتاب ولا يمانع ولا يهاب تصفح الكتاب”.

وتُضيف اليازية بأن ”فكرة الدار جاءتنا لأننا لمسنا هذه الحاجة، فسعينا إلى تحقيقها، اخترنا اسم ’الفُلك‘ لأننا نؤمن بأن سيدنا نوح تمكّن في يوم من الأيام من إنقاذ البشرية، لذا فإنّ الآصرة مع العلم والكتاب والتمعّن في القراءة هو ما سيُنجي المجتمعات اليوم، فالقراءة الواعية تُتيحُ تفهّم وضع الآخر وتسمح لنا بإدراك سبب وجودنا في هذه الحياة”.

بحثا عن الفانتازيا

تلك أهميّة القراءة والكتاب، وكان بمقدور اليازية أن تواصل الكتابة وإنجاز الكتب للنشء الجديد ولليافعين، لكنّها اجتازت ذلك لتُصبح ناشرةً لهذا النوع من الكتب، ولم تكن مدفوعةً في ذلك فقط بالرغبة لإنجاز مشروع استثماري، بل بضرورات ذات صلة بشغفها وباحتياجها إلى فضاء جديد لهذا النوع من الكتاب، وتقول ”قبل أن أكون ناشرة، أنا في حقيقة الأمر قارئة ومُطّلعة، أتممت الدكتوراه في عام 2013 عدْتُ إلى البلاد وشعرت بفجوة، لأنّ الدكتوراه تتطلب الكثير من قراءة وإعادة تحرير الكلام والكتابة، وشعرت مباشرة بالحاجة، فمنذ أن رجعت افتقدت المراجعة والكتابة، وافتقدت الورقة والقلم؛ بعد ذلك شاركت في ورشة عمل ’كتب صنعت في الإمارات‘ بتنظيم كل من ’المجلس الإماراتي لكتب اليافعين‘ ومعهد ’غوته‘ الألماني، وكانت الورشة تحديداً عن كتابة روايات ’الفانتازيا‘، ولكوني أساساً أكاديميّة فقد بحثت عن تلك الكتب ولم أحصل على أيّ عنوان عربي في ’الفانتازيا‘، لا أبالغ إن قلت –في تلك الفترة– لم تكن هناك كتب لهذا الصنف الإبداعي لدينا إطلاقاً، وقد كانت هذه هي الصدمة الأولى بالنسبة إليّ، أما الصدمة الثانية فقد كانت عندما قرّرت الاطلاع على محتوى أدب الطفل العربي، أولاً في مكتبتي، فوجدت بأنّ تلك الكتب باللغة العربية قليلة للغاية، كان أهمها سلسلة ’الليدي بيرد‘ وهي سلسلة مترجمة لكلاسيكيات أدب الطفل العالمي، مقارنةً بما تضمّه مكتبتي من عناوين إنكليزية وألمانية، وعثرت أيضاً على مجموعة فرنسية أيضاً، فصُعقت أنْ أكتشف بأنّ مكتبتي الخاصة لا تحتوي على كتب عربية متميّزة في هذا الإطار. ثانيًا، انتقلت للبحث في المكتبات المجاورة، تواصلت مع دور النشر وبدأت بالكتابة للأطفال، قرّرت أن أبدأ بكتابة مجموعه قصص قصيرة مصورة وأخرى في فصول، كما بدأت برواية ’الفانتازيا‘ التي لم أنشرها حتى الآن.

– لكن هناك موقف مُحدّد حفّزك إلى المبادرة بتأسيس دار النشر؟

– نعم، لقد حدث ذلك عندما قدّمت مسوّدة القصة الأولى إلى ناشر، نظر إليها بينما كان يتحدث معي، وأنا مُتعجّبة لِمَ لا يدخل في صميم الموضوع ويناقشني في مسوّدتي، ولكنه لم يفعل، فسألته ما إذا كان قد قرأها أم لا، فأجابني، ’كلاّ، أنت إماراتيّة وسننشر لك القصّة‘، فأجبته، ’لأنني إماراتية، لن تنشر لي قبل أن تقرأها! وسأعود إليك مرّة أخرى‘. بعدها عُدتُ إليه حاملة معي مجموعة من القصص المصوّرة التي كنت أحتفظ بها في مجموعتي الخاصة، وهي إنجليزية، ألمانية وفرنسية فنظر إليها وشعر أنّه بإزاء مستوى عالمي وليس مستوى محلّي أو عربي”.

خوض المغامرة

تضيف اليازية قائلة ”في تلك اللحظة جُرحت، فإذا لم يكن بمقدوري أن أرفع سقف أهدافي وطموحي وأن أُنتج كتاباً بهذا المستوى، فلماذا ينبغي أن أكون في السوق، فاختلفنا، ثمّ بدأت بالبحث عمّن يستطيع نشر قصتي عبر ترجمتها إلى لغة أخرى، وانتهى الأمر بي إلى اتخاذ قرار بتأسيس دار نشر متخصصة بالترجمة، لطرح محتوى متميز متنوع برسوم مختلفة، ولتكون هناك ترجمات لهذه القصص العالمية باللغة العربية، كي تكون مرجعًا لمن أراد الكتابة أو الرسم لأدب الطفل”.

لم يقتصر عمل اليازية خليفة على تأسيس الدار أو الترجمة، بل تعدى ذلك إلى البحث عن الطاقات الفنّية والإبداعية التي يمكن أن تُسهم في تحقيق مسار متكامل، وتروي عن كتاب اقتنت حقوقه من دار نشر «لاتيرتسا» الإيطالية، حين اكتشفت عجز الرسّام الإيطالي عن تحقيق رسم وجوه أبطال القصّة، وتقول ”كانت جميع الشخصيات مرسومة إمّا بشكل جانبي أو من الخلف فانتقيت الكتاب ليرى الرسام العربي أنه قادر على تجاوز نقاط ضعفه في الرسم عن طريق التركيز على أشياء أخرى كرسم تفاصيل البيئة المحيطة مثلاً”، وتُطلق الناشرة الإماراتية ما يُشبه النداء إلى جميع رسّامي الكتب المصوّرة للأطفال ”أناشدكم بألا تحصروا أنفسكم في نمط مُحدّد من طرائق الرسم، بل أوجدوا نمطكم الخاص”.

وتُشير اليازيّة خليفة إلى كتابٍ آخر اقتنت حقوقه وهو «أوتولاين» للرسّام والكاتب البريطاني كريس ريديل ”وقد تمّ اختياره ضمن المجموعة الأولى من إصدارات الفُلك لأنني لمست في جميع ورش العمل التي شاركت فيها بأن الأغلبية الساحقة من العاملين في هذا الإطار متأثرة إمّا بـ ’المانغا‘ اليابانية أو بـ«الكوميكس» الأميركي، لكن من يتصفح كتب كريس ريديل يدرك تماما بأن هذا الشخص بريطاني ومعنيٌ بالنمط البريطاني في تفاصيل رسومه، حيث يغلب عليها وجود كلمات وجُمل متناثرة ضمن الرسم ذاته، كما أنك حين تتصفّح أحد كتبه ترى شوارع لندن، وساعاتها، وشاي ما بعد الظهر!”.

بين النشر والكتابة

بالإضافة إلى شراء الحقوق وترجمة الكتب، تميّزت دار «الفُلك» عن غيرها أيضاً بكونها صارت تبيع هي الأخرى حقوق النشر، فتقول اليازية ”في جميع لقاءاتي مع دور النشر الأجنبية كنتُ أُواجهُ بهذا السؤال ’أنت تأتين إلينا لشراء الحقوق، وماذا عنك؟ لماذا لا تبيعين الحقوق؟‘. لذا قرّرت الإقدام على الخطوة التالية وهي أن أبيع الحقوق من دور نشر أخرى، فالفلك في تلك الفترة لم تكن تنتج محتوى خاصا بها، فأصبحت وكيلة أدبية، والآن لدينا ما بين ثلاث أو أربع دور نشر نمثّلهم على المستوى العالمي”.

وتُضيف ”وقد قرّرنا في ’الفلك، للترجمة والنشر‘ بالبدء بإصدار منشوراتنا، انطلاقًا من مسودّاتي التي كانت جاهزة ما بين 2013 و2014، ولا أعلم، بعدُ، ما إذا كان ذلك إيجابيّاً أم سلبيّاً”.

لم تكتب اليازية في الآونة الأخيرة كثيراً، ويبدو أن العمل على تأسيس دارها وتكوينها وتمكينها من دخول معترك سوق الكتاب، قد أخذ من وقتها الكثير وتقول ”أنا اليوم لم أكتب شيئا جديداً، وما نُشِرَ في ’الفُلك‘ هو من كتاباتي السابقة، وما ركزت عليه في الشهور الماضية هو البحث عن رسّامين، وسعيتُ إلى العثور على رسامين إماراتيين للعمل معهم”.

تجربتها الأولى، بكتاب «عندما يُفكّر الهواء» لم تكن بمستوى ما تطمح إليه ”لكنّ التجربة الثانية، وكانت مع الرسامة علياء البادي ذات الرسم المتميز والشخصية المتطورة جدا، والتي تتقن رسم صور لأفكار متسلسلة للقصة، بينما كُنتُ أُنهك في إفهام الرسّامين الآخرين بشرح أهمية التسلسل البصري عند الرسم للأطفال، واختزال النص في حد ذاته في هذه الرسومات”.

مشروع ريادي

تفخر اليازية بأن تكون «الفُلك للترجمة والنشر» لها قدم السبق في الإمارت أو في الخليج، وربّما العالم العربي لإصدار ”الكتب الصامتة” وهي كتب مرسومة من دون كلمات، بدءا بكتاب لرسامة بريطانية عام 2016، ثم إصداران صامتين من كوريا الجنوبية عام 2017، وحول هذا تقول ”وبعد ذلك وُفّقْنا في إنتاج ثلاثة إصدارات إماراتية من الكتب الصامتة لعلياء البادي وعائشة البادي ولي كذلك”، وتُضيف ”قصتي الصامتة ’أبي لا تكسر قلبي‘، رسمتها بنمط خربشات الأطفال الصغار، والفكرة بسيطة أيضًا، لأن الرسالة الحقيقية هي للآباء؛ فبطلة القصّة فتاة تحاول الرسم، لكنّها عصبية المزاج، ينكسر القلم وهي ترسم صورة قلب إلى جانب صورة والدها، ما يدفعها ذلك إلى تقطيع وتمزيق الورقة التي رسمت عليها، وحينما أدركت بأنّها مزّقت صورة والدها سعت إلى إعادة ترميم الصورة، فبدأت في تصميم كولاج ممّا مزّقته، ثمّ فكّرت بأنّ تترك رسالة إلى والدها على كرسي القراءة خاصته، فألصقت ما قطعته من رسمتها، مع عدد من القلوب، لتصل في النهاية إلى خُلاصة القول: أبي لا تكسر قلبي واقرأ لي”.

تفخر اليازية بأن تكون «الفُلك للترجمة والنشر» لها قدم السبق في الإمارت أو في الخليج، وربّما العالم العربي لإصدار «الكتب الصامتة» وهي كتب مرسومة من دون كلمات، بدءا بكتاب لرسامة بريطانية عام 2016، مع إصدارين صامتين من كوريا الجنوبية عام 2017

وتختتم اليازيّة خليفة حديثها معنا بالتأكيد على أهميّة هذا الكتاب بالنسبة إلى الدار وتقول ”لقد قدّمنا الكتاب في عدّة جلسات للقراءة، فوجدنا بأنّ الأطفال باشروا في الحال برسم رسائل إلى آبائهم، فحدث ما لم أتوقعه، عندما وصلني رسم من طفلة لأفراد متناثرين على الصفحة، لا يجمعهم شيء وعلى ركن الصفحة كتبت جملة ثم لونتها بالبني والكحلي والرمادي، تطلب فيها من والديها أن ينظروا إليها! هذه الصورة جعلتني أشعر بالمسؤولية أكثر، فعلى الآباء أن ينظروا إلى رسوم أطفالهم، وما أطمح إليه هو أن يُدرك الآباء بأنّ القراءة مع الأبناء ليست مُجرّد تصفح لكتاب، بل هي مشاعر من الاحتواء والحنان والحب بينك وبين ابنك”.

الصفحتان 10 و13 تنشران بالاتفاق مع «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

وجوه وأشجار وبيوت في معرض جماعي بأوبرا القاهرة

استكشاف شخصية مصر بالتصوير والنحت وخامات الطبيعة الأمّ

وجه مصري صميم (أحمد شبيطة، مراسم باريس في الوادي الجديد)

شريف الشافعي
كاتب مصري

استلهم المعرض التشكيلي الجماعي "من وحي مصر" الذي شهدته القاهرة مؤخرا روح الأمكنة العريقة والبريئة مستكشفا من خلالها حوارات التاريخ والجغرافيا والبشر بأعمال تصويرية ونحتية اتسمت بالجدّة وأبحرت بطلاقة في الموروث الحضاري والشعبي.

في إمكان الألوان والتكوينات المجسّمة أن تتحسس "شخصية مصر" بمقوّماتها المتعددة الظاهرة والكامنة وعناصرها البشرية والتاريخية والجغرافية والمزاجية والفنية المتنوعة، فالتشكيل لا يكتفي بأبعاد الواقع الراهن بقدر ما ينشغل بالغوص في الأعماق الإنسانية وهضم خصوصية المشهد بجذوره وطبقاته العميقة الضاربة في الزمن وتفاعلاته المعقّدة مع حركة الحياة والأحداث وتوجهاته الآنية والمستقبلية في خارطة الوجود.

ومن هذه الفلسفة، انطلق المعرض الجماعي في مركز الهناجر للفنون بدار الأوبرا المصرية بالقاهرة على مدار شهر مايو، محتضنا تجارب ثرية خصبة لمصوّرين ونحاتين من أجيال وتيارات مختلفة، التقوا على استيحاء مصر كقبلة توجهوا إليها بأبصارهم وبصائرهم واستقوا خيالاتهم من منابعها المتدفقة.

"من وحي مصر"، عنوان عريض لثيمة عامة شكلت ملتقى للألوان الحرة والتشكيلات الانسيابية في معرض جماعي انبنى على فكرة إعادة صياغة الموروث الشعبي والحضاري بروح جديدة نابضة، بهدف الوصول إلى استكشاف شخصية مصر بأناسها وبيوتها وترابها وعناصر قوتها ووهجها الروحي وما تبقى من حضارتها وما انطمس، من خلال مجموعة متميزة من أعمال التصوير والنحت والسرد البصري المرتكزة على فيوضات الطبيعة الأم وخاماتها الطيّعة.

تضمّن المعرض، الذي نظّمته الهيئة العامة لقصور الثقافة، إبداعات ثلاثة مراسم متنوعة، هي: "حكاوي نخلة"، من أجواء واحة الخارجة بالوادي الجديد في صحراء مصر الغربية، بمشاركة عشرة فنانين، و"النوبة"، من طقوس بلاد النوبة في أقصى جنوب مصر، بمشاركة خمسة عشر فنانا، و"هضبة باريس"، من فضاءات هضبة باريس بالوادي الجديد، بمشاركة عشرين فنانا.

تنوعت أعمال المعرض الزاخم بين بورتريهات الوجوه المصرية الصميمة، للرجال والنساء والأطفال، ومشاهد الحياة وتفاصيلها اليومية في البيوت الطينية والحجرية والأسواق التقليدية والشوارع والساحات، وتشكلات الطبيعة وكائناتها وأشجارها وتفجراتها وأسرارها اللانهائية، واتسمت الأعمال بذاكرة غنية لاقطة، وقدرة على التجسيد والحكي والتعبير الحركي، بالإضافة إلى توسيع الرؤية وتعميقها من خلال الرموز والتجريد.

إذا كانت الطبيعة هي أم الإنسانية الرؤوم، فإن النخلة هي أم الطبيعة والإنسانية والحضارات والفنون، وأم الأمهات جميعا، فهي شجرة ولود، ذات طبيعة خاصة في نموها وتكاثرها، ولا يمكن حصر مجالات الاستفادة منها من مأكل ومشرب وظل وحطب وخشب بالإضافة إلى الاستعمالات الواسعة لنواة البلح، فهي شجرة الأساطير وحارسة الخلود وقرينة الخميرة الآدمية النقية.

في أعمالهم المجسّمة والنحتية، تفاعل فنانو "حكاوي نخلة"، ومنهم أحمد صالح وأسامة القاضي ومعاوية هلال وغيرهم، مع النخلة بوصفها إنسانا مكتملا، وهي أنثى في معظم الأحوال، ولود مثمرة خصيبة، معطاءة وحكّاءة، تنفتح قصصها على ما لا يندثر من قيم راسخة نبيلة، ووجوه للخير لا حصر لها.

تعاطى الفنانون مع الخامات الطبيعية من أخشاب وسعف ونوى، وهي خامات لها قدرة فائقة على التطويع والانسيابية، بالإضافة إلى أنها تبدو كما لو أنها تستشعر، وتنبض، وتقيم علاقات تبادلية (في الاتجاهين) مع البشر من عشاقها وأصدقائها وجلسائها.

من خلال الوجوه المنحوتة بعناية من خشب النخيل، فتح فنانو "حكاوي نخلة" نوافذ مضيئة للإطلال على التركيبة البشرية المصرية عبر العصور، منذ العهد الفرعوني ومراكب الشمس، حتى يومنا هذا.

> «من وحي مصر»، عنوان عريض لثيمة عامة شكلت ملتقى للألوان الحرة والتشكيلات الانسيابية في معرض جماعي انبنى على فكرة إعادة صياغة الموروث الشعبي والحضاري بروح جديدة نابضة

قدّم فنانو مراسم "النوبة" و"هضبة باريس" في المعرض أطروحاتهم الخاصة حول خرائط الأمكنة والبشر في الجنوب المصري والوادي الجديد، من خلال أعمال تصويرية، تعبيرية وتجريدية، للفنانين إيمان قدري وأحمد صالح ومرفت شاذلي وأحمد عباس ونجاة فاروق والمأمون سيد وعمر سنادة، وغيرهم.

عكست اللوحات ملامح الحياة الكائنة في الوقت الحالي في الحقول والبيوت الطينية والحجرية، والأسواق، والورش الحرفية، وقوارب الصيد، وغيرها، ورسمت بانوراما شاملة للطقوس والمناسبات الاجتماعية والممارسات اليومية، خصوصا في الاحتفالات والمراسم، مثل الزواج والميلاد وسبوع الطفل والأعياد الدينية مثل حلقات الذكر في ليالي رمضان والمولد النبوي.

اختط الفنانون ببراعة قسمات الوجوه المصرية الشعبية الأصيلة، للكبار والصغار على السواء، في حالات متباينة من السعادة والحزن، والتهلل والوجوم، بما شكل بوصلة أمينة للنفاذ من خلال الملامح الظاهرية إلى الشخصية المصرية ومزاجها الحاد المتقلب، وقدرتها على التجدد والتغير والصمود والتحدي والمقاومة ومواجهة الصعاب بصلابة الصخور ودفء الأمل.

امتلأت اللوحات بالكثير من النقوش والتصاوير الرامزة إلى الموروث الشعبي في الجنوب والوادي، ومفردات الحضارة النوبية القديمة الغارقة، وتوهجت الأعمال بصخب الألوان وسحر الذهب واللآلئ والحلي والطقوس الزاهية المعبرة عن حب البشر للحياة وتفننهم في نثر ورود البهجة والاستمتاع بجماليات الطبيعة الصافية.

جاءت فكرة العودة أو حلم الرجوع إلى الأرض من بين السمات المميزة للوحات مبدعي الجنوب والوادي، حيث يظل النوبي كذلك البدوي مهما طالت رحلاته وامتدت تنقلاته في الربوع المصرية مشتاقا إلى موطنه الأصلي وبيئته الأولى، حيث وجدانه الحي وذاكرته البصرية ومعينه الفني الذي لا ينضب.

مهرجان الألوان المبهجة (نجاة فاروق، مراسم النوبة)

خصوصية جنوبية (أحمد سليم، مراسم النوبة)

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

مرثية حزينة لنهاية عصر الغرب الأميركي

فيلم «الصحبة المتوحشة» بعد 50 عاما

تحتفل الأوساط السينمائية في العالم بمرور خمسين عاما على إنتاج وعرض الفيلم الأميركي "الصحبة المتوحشة" الذي أصبح حاليا من كلاسيكيات السينما في العالم، وكان يؤرخ لنهاية عصر الغرب الأميركي، الذي جعله المخرج سام بكنباه، عصر البطولة الفردية والتضحية.

في الطريق إلى المواجهة النهائية

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

أخرج سام بكنباه (1925–1984) "الصحبة المتوحشة" The Wild Bunch عام 1969 بعد فترة قلقة في حياته، فقد كان لا يزال يعاني من الآثار النفسية السلبية بعد أن منع من استكمال تصوير فيلم "سنسيناتي كيد" وطرد من العمل (استعانت الشركة المنتجة بالمخرج نورمان جويسون)، ثم المشكلات الكثيرة التي أحاطت بتصوير فيلم "ماجور دندي".

أما "الصحبة المتوحشة" فقد كان محاولة من جانب مخرجه لتقديم أفضل ما لديه، واستعادة سمعته. ومشاهدة الفيلم اليوم تعيد إلى الأذهان ليس فقط هذا الحس الخاص الذي تميز به بكنباه في علاقته بهذا النوع الشعبي من الأفلام أي فيلم الويسترن، بل وتجعلنا أيضا نستعيد التقاليد التي كانت تتبعها هوليوود في تلك الفترة.

كانت المفاهيم السائدة للفيلم السينمائي لدى الجمهور، رغم التعديلات التي أدخلت على قواعد الرقابة في أميركا قبل ظهور الفيلم بفترة قصيرة، أن العنف يجب أن يكون "معقولا"، وأن تتم إدانته واستنكاره على الشاشة، خشية أن يصبح مجالا للإعجاب من جانب الجمهور، أو يدفع إلى محاكاته.

وكان ما تعرض له الفيلم من هجوم من جانب كثير من النقاد، يستند إلى فكرة أن الفيلم يجب أن يكون مخلصا للواقع، بينما كان نقاد الجماليات يرون أن الفيلم يمكن أن يكون كيانا فنيا قائما بذاته مستقلا عن الواقع. هذا الجدل هو ما يصبغ ذلك الصراع الممتد بين دعاة الواقعية، ودعاة الأسلوبية، بين الفيلم كأداة لتفسير الواقع، وبينه كأداة للتعبير عن رؤية الفنان للواقع من خلال نظرته الخاصة، وبين الفيلم كمضمون-اجتماعي وسياسي، والفيلم كشكل سينمائي يتطور ويخضع للتجريب باستمرار.

كانت الستينات فترة النقد القائم على الواقعية والتفسير السياسي للسينما ولكنها كانت أيضا فترة ازدهار كبير لمفهوم "الأسلوبية الفردية" التي أطلق عليها "سينما المؤلف" أو المخرج صاحب الرؤية. ولا شك أن "الصحبة المتوحشة" يقع تحت هذا التصنيف. إنه فيلم مؤلف سينمائي بامتياز.

صورة جديدة

كانت أفلام الغرب الأميركي (الويسترن) تتضمن الكثير من مشاهد القتل وإطلاق الرصاص، لكن كان من النادر أن نرى آثار القتل أو إطلاق الرصاص، أي الدماء أو مكان اختراق الرصاصات للوجه أو للصدر، إلى أن جاءت أفلام "الويسترن الاسباجيتي" الإيطالية وعلى رأسها أفلام المخرج سيرجيو ليوني، وفيها نسمع صوت طلقات الرصاص ليس كما نسمعها في الواقع بل مضخمة كثيرا بشكل فني بحيث أصبحت لها موسيقاها الخاصة، ونرى اختراق الرصاصات للجسد وللوجه أحيانا بشكل يبدو مبالغا فيه كثيرا، وهو ما يؤكد أن الإخلاص للأسلوب يطغى على فكرة محاكاة الواقع.

شاهدنا أيضا استخدام آلات القتل الحديثة مثل المدفع الرشاش سريع الطلقات وكيف يستخدم في القتل الجماعي في فيلم "من أجل مزيد من الدولارات" (1965).

ولم تكن أفلام الغرب الأميركية قد عرفت بعد هذا المستوى من العنف. وقد تأثر سام بكنباه في "الصحبة المتوحشة" بأفلام سيرجيو ليوني "الاسباجيتي" خاصة "ذات مرة في الغرب" الذي ظهر في العام السابق مباشرة على "الصحبة المتوحشة". وقد أراد بكنباه أن يقدم رؤيته "الأميركية" الخاصة للويسترن ردا على موجة أفلام الاسباجيتي وتأكيدا على أصالة النوع الأميركي.

انقسم النقاد والجمهور انقساما حادا حول فيلم "الصحبة المتوحشة"، بين من اعتبره عملا يستغل العنف ويوظفه من أجل الإثارة والصدمة وابتزاز المشاعر، ومن اعتبره عملا سينمائيا كبيرا من أعمال الفن، بل إن هناك من بلغت به الحماسة أن اعتبر تصويره للعنف بكل تفاصيله، دعوة لمناهضة العنف.

كان بكنباه يرغب في جعل فيلمه مرثية كبيرة لعالم الويسترن، لأبطاله الذين استقروا في الخيال الشعبي الأميركي وأن يقدم تصويرا حزينا شفافا لغروب عصر، وبداية عصر جديد سيبرز فيه كثيرا دور الآلة (نشاهد في الفيلم السيارة كما نشاهد البنادق المتعددة الطلقات والمدفع الرشاش).

نحن في عام 1913 أي قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى مباشرة قبل أن ينتقل العالم إلى مستوى جديد من القتل الجماعي. أمامنا ستة من أفراد عصابة واحدة: قتلة ولصوص وقاطعو طرق وأوغاد، لكنهم يتمتعون أيضا بروح المرح، أهم ما يميزهم إخلاصهم الشديد لبعضهم البعض. هناك أيضا ذلك "النبل" الخفي الذي يكمن تحت قشرة التوحش والقتل عند الضرورة بدم بارد. هؤلاء الأشقياء تقدم بهم العمر الآن.

العملية الأخيرة

هؤلاء الرجال يرغبون في القيام بعملية أخيرة تكفل لهم تحقيق ثروة يتقاعدون بعدها ويعيشون حياة هادئة. في المشهد الأول الذي يستغرق 7 دقائق، نراهم يغيرون على مكتب للسكك الحديدية في بلدة في ولاية تكساس، يستولون على أكياس من القطع الفضية سرعان ما يكتشفون أنها مجرد قطع معدنية عديمة القيمة بعد أن ينجحوا في الفرار من المصيدة التي نصبها لهم "ثورنتون" (روبرت ريان) الرفيق القديم لزعيمهم "بايك" (وليم هولدن) فهو الآن يعمل تحت إمرة صاحب مكتب بريد السكك الحديدية، الرأسمالي الثري الذي يستأجره ورجاله لحماية ممتلكاته. تدور معركة عنيفة بالأسلحة النارية، يقتل خلالها عدد كبير من سكان البلدة الأبرياء، ويفر أفراد الصحبة إلى المكسيك حيث يلتقون هناك بجنرال منشق عن الحكومة المكسيكية يقنعهم بالاستيلاء لحسابه على حمولة من الأسلحة يحملها قطار في طريقه لإحدى فرق الجيش الفيدرالي، مقابل الحصول على خمسة آلاف دولار من الذهب.

الصحبة المتوحشة تخوض مغامرتها الأخيرة

هنا تصبح الصحبة المتوحشة مطاردة من طرف ثورنتون ورجال تنفيذ القانون الذين يرغبون في الحصول على مكافأة مالية ضخمة رصدتها الحكومة لمن يأتي بجثثهم، ومطاردة أيضا من جانب الجيش الأميركي، والجنرال الذي يريد أن يضمن وصول الأسلحة إليه.

تتمكن الصحبة من القيام بالمهمة، وتقوم بتسليم الأسلحة واستلام الذهب ثم تضليل ثورنتون ورجاله. هنا كان يمكن أن ينطلق الجميع بالثروة التي حصلوا عليها، لكن الجنرال المكسيكي يصر على الاحتفاظ بأحد أفراد الصحبة ومعاقبته لكونه مكسيكيا، وكان يمكن أن يغتدر أفراد الصحبة البلدة وينجون بحياتهم، خاصة بعد أن أصبح الجنرال في حماية المئات من الجنود المدججين بالأسلحة الحديثة وبالمدفع الرشاش الذي قامت الصحبة بتسليمه لهم. إلا أن هذا إن حدث يكون تخليا عن المسؤولية الأخلاقية وقيم الشهامة. لذلك يقرر الرجال البقاء وخوض مواجهة دامية حتى لو كانت المواجهة الأخيرة قبل الموت. وكأن الموت قدر لا فكاك منه، بل وربما يكون قد أصبح أيضا هدفا بعد أن لم يعد هناك هدف حقيقي في الحياة.

الصراع في الفيلم ليس صراعا بين الخير والشر، بل مع النفس، فهناك شعور بعبثية الحياة يجعل المرء يقبل على نهايته بل ويصنعها بنفسه. أفراد الصحبة يتحركون بدافع الخوف أكثر من الشجاعة. والخوف الداخلي يجعلهم لا يترددون في استخدام العنف. بعد أن تتمكن الصحبة من الفرار عقب سرقة مكتب محطة القطارات يقوم بايك بقتل أحد أفراد المجموعة الذي أصيب ولم يعد قادرا على امتطاء حصانه، وذلك دون رحمة أو شفقة أمام عيون باقي أفراد المجموعة، لكن بايك نفسه هو الذي يأسى لعاهرة مكسيكية فقيرة تعول طفلا رضيعا في المشهد الذي يسبق مشهد النهاية في البلدة المكسيكية، فيمنحها بعض القطع الذهبية.

يصمم بكنباه المشهد النهائي بحيث يجعل رجاله الأربعة يتجهون في مسيرة طويلة نسبيا (أكثر مما توحي المسافة بين موقعهم خارج المأخور وبين مقر الجنرال) وبينما هم يسيرون حاملين بنادقهم في وضع الاستعداد، على جانبي الطريق يصطف العشرات من المكسيكيين، بعضهم من الجنود والبعض الآخر من الأهالي الفقراء والأطفال، هناك من يعبرون أمام الرفاق الأربعة، من اليسار إلى اليمين، فرادى أو في ثنائيات، يتفرسون في وجوههم، وتستمر الموسيقى شبه العسكرية وكأنها مقدمة للمواجهة القادمة. في البداية يرفض الجنرال أن يترك لهم زميلهم "أنجلو" المكسيكي ثم يوافق ويتأهب الجميع لما سيحدث وهو يسوقه إليهم بنفسه، لكنه يفاجئهم بقطع رقبته بالسكين فينهال الرصاص من كل صوب وتبدأ المعركة الفاصلة التي تستمر عشر دقائق كاملة.

الطابع السياسي

هناك نوع من النبل في علاقة أفراد المجموعة ببعضهم البعض وولائهم لبعضهم حتى النهاية. نحن نرى مثلا كيف أن المجرم القديم ثورنتون، صديق بايك السابق قبض عليه في الماضي وقضى سنوات في السجن بعد أن تخلى عنه بايك، ثم أطلق سراحه بموجب اتفاق يتعين بموجبه أن يقبض على بايك وعصابته، إلا أنه يتقاعس عمدا عن قتل بايك عندما تلوح له الفرصة، فالرباط القديم بينهما لا يزال موجودا. وقبيل النهاية بعد أن يصل إلى البلدة المكسيكية ويرى جثث جميع أفراد الصحبة، يجلس حزينا على الأرض، يتذكر الماضي الذي كان في أسى وحزن، وعندما يطلب منه زملاؤه العودة معهم بجثث الرجال، يرفض، لكنه يقبل الالتحاق في النهاية بالعضو الوحيد من أعضاء العصابة الذي ظل على قيد الحياة مع رفاقه الثوار المكسيكيين الذين أنقذوا حياته. لقد تغير الهدف الآن، فبعد أن كان القتال في الماضي من أجل السرقة، أصبح الآن من أجل الثورة. أي من أجل هدف إنساني نبيل. وكانت هذه هي رسالة الفيلم تأثرا بسينما سيرجيو ليوني ذات الطابع السياسي.

يتضمن الفيلم جميع مفردات سينما الويسترن: السعي للحصول على الذهب سواء بالسرقة أو بالمقايضة، اللهو في أحد بيوت المتعة، الحفل الليلي وسط سكان القرية المكسيكية التي ينتمي إليها أحد أعضاء الصحبة بعد أن حصل لهم على صندوق من الأسلحة مقابل التخلي عن نصيبه من الذهب، عبور النهر بالجياد، مطاردات عبر الحدود بين تكساس والمكسيك، تفجير جسر، سرقة قطار، مونتاج متواز على محورين: الصحبة مطاردة من قوة من الجيش الأميركي، ومن ثورنتون ورجاله.. الخ

"الصحبة المتوحشة" عمل من أعمال "السينما الخالصة"، فيه يستخدم سام بكنباه أدوات السينما: الكاميرا والمونتاج والموسيقى والمؤثرات البصرية، ليس فقط لرواية قصة ذات مغزى ما، بل للتعبير عن واقع سينمائي خاص، رؤية لعالم ينتهي وعالم جديد يبدأ.

يعتمد بكنباه على التصوير بكاميرات عدة من أكثر من زاوية، للحصول على أكثر التفاصيل دقة، ويلجأ لاستخدام الحركة البطيئة في تصوير مشاهد سقوط الخيول والأفراد من أعلى البنايات ومن أعلى صهوات الجياد، ويصور في مشهد بديع تفجير الجسر وسقوط فريق ثورنتون ومعه جنود الجيش بجيادهم في النهر بالحركة البطيئة. كل هذه التفاصيل تأتينا من خلال بناء سريع للمشهد يعتمد على مونتاج دقيق يستفيد من كل تفصيل ومن كل زاوية، ويخلق إيقاعا متدفقا مليئا بالحيوية والإثارة.

«الصحبة المتوحشة» عمل من أعمال «السينما الخالصة»، فيه يستخدم سام بكنباه أدوات السينما: الكاميرا والمونتاج والموسيقى والمؤثرات البصرية، ليس فقط لرواية قصة ذات مغزى ما، بل للتعبير عن واقع سينمائي خاص، رؤية لعالم ينتهي وعالم جديد يبدأ

ويحتفي الفيلم بالعناصر التي تميز أفضل أفلام الويسترن فيجعل أحد أهم المشاهد يدور داخل وعلى سطح قطار يحمل شحنة الأسلحة التي تنجح الصحبة في الاستيلاء عليها بعد فصل العربة والقاطرة عن العربة التي يجلس فيها الحراس، ثم دفعها إلى الخلف لتصطدم بالأخرى لتحدث الارتباك والصدمة، ثم كيف تنجح العربة التي يجرها الخيول في نقل الأسلحة عبر جسر داخل الحدود المكسيكية. ويعتبر مشهد نسف الجسر من أهم مشاهد الفيلم وأكثرها براعة من حيث التصوير أو المونتاج وهما أساس البناء في الفيلم، مع ما تضفيه الموسيقى التي أعيدت كتابتها من أجل النسخة الجديدة، من روح الجلال والرهبة والأسى على تلك المرثية السينمائية الممتعة.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

زيارة الأولياء الصالحين سياحة تُغري البسطاء

مصريون وأجانب في رحلات دائمة عبر المُدن المصرية تيمنا بأصحاب المعجزات

سياحة الروح

كما يتمدد السياح على الشواطئ أو يسبحون في البحر، يزور آخرون الأولياء الصالحين لأيام ليعودوا بعدها بمعنويات وكأنهم كانوا في إجازة صيفية.

مصطفى عبيد
كاتب مصري

القاهرة - تظل زيارة الأضرحة وقبور أولياء الله الصالحين سياحة دائمة في مصر، لا تتأثر بارتفاع تكلفة التنقل أو اشتداد حرارة الطقس أو تصاعد مخاطر الإرهاب. هي سياحة الجميع. أغنياء وفقراء، متعلمون وبسطاء، شيوخ وشباب، منتعشة دوما ومُغرية للكثيرين للقيام برحلات السفر الداخلي عبر محافظات مصر.

قبل أيام أعلنت وزارة الأوقاف المصرية وضع خطة لاستقبال زوّار عرب وأجانب يفدون لزيارة العارف بالله أبي العباس المرسي بمدينة الإسكندرية للاحتفال بمولده. وتضمّنت الخطة أمسيات يومية تقام على مدار شهر يوليو في المسجد والمساجد الملحقة به، مثل مسجد البوصيري، ومسجد ياقوت العرش يتم خلالها تلاوة القرآن وغناء التراتيل والأناشيد الدينية، وبردة البوصيري.

ما جرى مع مولد الإمام أبي العباس المرسي يجرى بشكل دوري كل عام مع موالد باقي أولياء الله الصالحين المعروفين في مختلف أنحاء البلاد، مثل السيد البدوي في مدينة طنطا، شمال القاهرة، والإمام الحسين، والسيدة نفيسة، والسيدة زينب بوسط القاهرة، وأبي الحجاج في الأقصر، وغيرهم من الأولياء المحبوبين من قبل الناس.

تمتد السياحة الدينية لتشمل عديد الكنائس القبطية في القاهرة والمنيا وأسيوط وسيناء، علاوة على الأديرة التاريخية التي تنتشر في أماكن مختلفة. وبعد إدخال تطوير كبير عليها أصبحت مزارا سياحيا لأفواج كبيرة من السياح الأجانب، وبعد التحديث التي أدخل على مسار العائلة المقدسة، زاد الجذب السياحي للكنائس المصرية.

كما أن احتفالات الأقباط في بعض الكنائس تجذب إليها الآلاف من الزائرين، وتضم مسيحيين ومسلمين، وهي ظاهرة تكاد تكون فريدة في مصر، إنها سياحة من نوع خاص.

مواسم للسفر الداخلي

يرى البعض أن موالد أولياء الله الصالحين مواسم سياحة متكررة، خاصة على المستوى الداخلي، ويفد مئات الآلاف وربما الملايين من المصريين صيفا وشتاء من كافة المحافظات للمشاركة فيها، اعتقادا أنها فرصة لتكريم أولياء صالحين يحبونهم ويجلونهم، فضلا عن الدعاء خلالها لتحقيق تمنياتهم وأحلامهم.

المثير في الأمر أنه لا يوجد مولد واحد لكل ولي من الأولياء، ولكن هناك عدة تواريخ يقام فيها احتفالات على مدار العام، وهو ما برره أحمد الجعفري، موظف مقيم بالقاهرة، وأحد مريدي الطرق الصوفية لـ"العرب"، بأن هناك تاريخا للمولد محدد هجريا، وآخر ميلاديا، وهناك احتفال بيوم القدوم على مصر بالنسبة للأولياء المهاجرين من بلاد أخرى، ويعتبره البعض مناسبة جديرة بالاحتفال.

هناك أيضا من يحتفل بموعد آخر للمولد يمثل موعد ميلاد الولاية والتي لا يوجد لها تفسير علمي سوى الحكايات الشعبية.

ويجد أصحاب مكاتب وشركات السياحة في الموالد فرصة سانحة للتشغيل المثالي خلال أوقات قد تعاني فيها السياحة من كساد وركود نسبي.

كشف ناصر أبوالخير، صاحب شركة سياحة بالقاهرة، لـ"العرب" أنه ينظم رحلات منتظمة خلال موالد مشاهير الأولياء لبعض الأسر الريفية لزيارة أضرحة هؤلاء الأولياء، اعتقادا منهم أن الدعاء أكثر استجابة لديهم وخلال أوقات مولدهم.

وقال إنه يشارك بانتظام في تسيير رحلات لنقل الكثير من الرجال والنساء إلى مولد أبي العباس المرسي الذي يقام كل عام خلال شهر يوليو، وكثيرا ما نقلت سياراته مجموعات من الزوّار قادمة من مُدن الوجه القبلي بجنوب مصر، لزيارة أضرحة في القاهرة والإسكندرية والدلتا.

يتنوّع زوار الأولياء والمشاركون في موالدهم بين نساء ورجال وأطفال من مختلف الفئات العمرية.

وينقسم الزوار إلى قسمين: الأول يمثّل العوام من البسطاء الذين يعتقدون أن أضرحة الأولياء أماكن مستجابة الدعاء، والثاني يمثّل مجموعات من المتصوفين المؤمنين بأن الأولياء أحياء في قبورهم ويزورونهم اتباعا لطريقتهم بعد أن رأوهم في المنام ودلوهم على طريق الهدى. وأوضح ناصر أبوالخير، "أن السياح يقضون مدة تتراوح بين ثلاثة أيام وأسبوع، يشاركون فيها في فعاليات الاحتفال ويمكث البعض في المساجد يتلون القرآن وينشدون، بينما يفضّل آخرون الجلوس في غرف الأضرحة يذكرون الله ويدعونه".

وتتعاقد المكاتب السياحية التي تنظم الرحلات مع فنادق صغيرة وشقق مفروشة لتسكين زوّار الموالد والأضرحة، بينما يحصل بعض التجار على تراخيص حكومية للسماح ببيع مأكولات أو مشروبات أمام المساجد خلال تلك الفترة، وهناك آخرون يقومون ببيع مسابح وسلاسل وعطور وبخور وحناء وخواتم فضية ومعدنية وإكسسوارات للزينة. بخلاف هؤلاء هناك الكثير من منظمي الألعاب الترفيهية الأخرى مثل الرماية، دفع ورفع الأثقال، دق الوشم، وغيرها من الألعاب التي تستهوي الناس.

> السياح يقضون مدة تتراوح بين ثلاثة أيام وأسبوع، يمكث البعض في المساجد يتلون القرآن وينشدون، آخرون يجلسون في غرف الأضرحة يذكرون الله ويدعونه

انتعاش سياحي

تنتعش الأماكن المحيطة بمساجد الأولياء سياحيًا ومن ثم تجاريًا بشكل ملحوظ ينعكس إيجابيا على أسعار تأجير السكن والمحلات التجارية بتلك المناطق.

وأكد أنور حسين، صاحب محل ملابس مجاور لمسجد السيدة زينب بالقاهرة، لـ"العرب"، أن "حركة البيع والشراء في المنطقة المحيطة بمسجد السيدة زينب لا تنقطع، لذا فإن متوسط إيجار بعض المحلات المتخصصة في بيع الملابس يصل إلى 50 ألف جنيه شهريا، أي ما يعادل ثلاثة آلاف دولار".

لا تقتصر سياحة الأولياء على فترات الموالد، إذ توجد حركة دائمة واهتمام كبير لدى البسطاء وأصحاب الحاجات بالسفر إلى أماكن الأضرحة في كافة الأوقات بسبب حاجات ماسة يعتقد البعض قضائها بالتوسل بالأولياء، مثل مرض أحد الأقارب أو الأهل، أو طلب الهداية لشخص آثم، أو تفريج مشكلة عويصة، أو سداد دين، أو تسريع الإنجاب للمتزوجين حديثا.

أشار محمد غانم السيد، مُدرس رياضيات بمدينة المنشاة، بمحافظة سوهاج، جنوب القاهرة لـ"العرب" إلى أن هناك شعورا لدى زوّار الأولياء بطهر المكان ونقائه يدفعهم للسفر لزيارة ضريح ولي بعينه، وهناك كثيرون يعتبرون الزيارة نوعا من التبجيل اللازم للصالحين الذين أفنوا أعمارهم في هداية الناس وإرشادهم إلى الخير. وأضاف أن أهل الريف بشكل خاص مولعون بزيارة مساجد الأولياء، وعندما يزورون القاهرة يجب أن يزوروا الأهرامات، لكنهم يزورون كذلك مساجد الحسين، والسيدة زينب، والسيدة نفيسة، باعتبارها أماكن مباركة.

ولا يكترث المصريون بشكل عام لمقولات السلفيين المتكررة التي تعتبر زيارة أضرحة الأولياء شركا بالله، ويقتنع معظمهم بفتوى دار الإفتاء المصرية والصادرة قبل أعوام بأنه، لا مانع شرعًا من قصد رياض الصالحين لزيارتهم.

وتساهم أساطير وحكايات متداولة بين العامة بشأن بعض الأولياء في الترويج الدائم لزيارة مساجدهم تعبيرا عن الإجلال والمحبة. وتتوارث الأجيال حكايات تتناول خوارق ومعجزات قد تصطدم مع العقل، ما يولد نوعا من الفضول بين المتعلمين والمثقفين للتعرف على أصحابها عن قرب.

زوار أجانب

تتجاوز سياحة الأولياء المصريين، وهناك زيارات يقوم بها سياح أجانب من بعض الدول الإسلامية عند قدومهم إلى مصر، خاصة من المغرب والسودان ونيجيريا وإندونيسيا وماليزيا.

ويهتم الكثير من الباحثين والمهتمين بالدراسات الأجنبية من الأوروبيين بمساجد أولياء الله، باعتبارها تمثل جانبا من جوانب التصوف التي تستحق الاهتمام والدراسة.

قال نبيل فريد، مهندس معماري يعيش بمدينة الإسكندرية، إن زوار مجمع مساجد أبي العباس المرسي، يتنوعون بين أتباع الطريقة الشاذلية، والباحثين في مجال التصوف، والمهتمين بفنون العمارة الإسلامية.

تدرك الحكومة أهمية مساجد الأولياء كمزارات مهمة للسياحة الداخلية والخارجية على السواء فتعتني بترميمها ومتابعتها، وبحث شكاوى روّادها ومخاوفهم. فضلا عن تنظيم الاحتفالات الشعبية بموالد أصحابها، لذا لم يكن غريبا أن تكون قضية ترميم بعض المساجد أحد الاهتمامات الملحة لأعضاء البرلمان تنشيطا للسياحة.

حكى أحمد الطاهر، أحد رواد مسجد أبي الحجاج بمدينة الأقصر، لـ"العرب"، أن لجنة من البرلمان زارت المسجد قبل بضعة أشهر استجابة لشكاوى قدّمها بعض أهالي الأقصر، وقرّرت تنفيذ أكبر عملية ترميم للمسجد، المبني بالقرب من معبد فرعوني يعود إلى 1400 عام قبل الميلاد.

وأوضح أن المسجد يستقبل يوميا الآلاف من الزوار من مختلف الفئات، ما يجعله محل اهتمام الجهات الحكومية والشعبية.

أهم المزارات الدينية في مصر

مسجد السيدة نفيسة

يقع بالقسم الجنوبي من مدينة القاهرة، ويخصّ السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وكانت محلّ محبّة المصريين.

ويعتقد الكثير من المصريين المكان من أنقى بقاع مصر، حتى أن معظم الناس يوصون أن تخرج جنائزهم من هذا المسجد.

مسجد السيدة زينب

يقع في وسط القاهرة، وهو من مساجد الرؤية إذ لا يعرف تاريخيا إن كان يوجد محله قبر السيدة زينب أم لا، غير أن البعض ادعى أنه أقيم فوق قبرها.

ويقام مولد السيدة زينب في كل عام خلال شهر رجب ويفد إليه الآلاف من القادمين من القاهرة ومن باقي المحافظات.

مسجد الإمام الحسين

يُسمى المشهد الحسيني ويقع بوسط القاهرة وأنشئ في القرن الثاني عشر الميلادي.

ويعتقد البعض أنه يضم رأس الإمام الحسين بن علي المقتول في كربلاء بالعراق سنة 60 هجرية، ولا يوجد ما يثبت أو ينفي ذلك. وقد تعرض المسجد للتهدم عدة مرات، حتى تم ترميمه في العصر العثماني ثم جدده خديوي مصر عباس حلمي سنة 1894.

مسجد السيد البدوي

يقع بمدينة طنطا، شمال القاهرة ويضم ضريحه جثمان الشيخ الصوفي أحمد البدوي.

واهتم الولاة والملوك على مر التاريخ بتجديد وترميم المسجد. ويمثل المسجد أهم مزارات طنطا، ويفد عشرات الآلاف كل عام إلى المدينة للاحتفال بميلاد الشيخ البدوي في منتصف شهر أكتوبر، وهناك احتفال آخر يقام له في شهر أبريل.

مسجد أبي العباس المرسي

يقع في الإسكندرية شمال مصر، بين مجموعة مساجد أخرى.

وقد أحب الناس الرجل وآمنوا بكراماته، حتى اهتم السلاطين بالمسجد والضريح وقاموا بتجديده عدة مرات، حتى عصر الملك فؤاد الأول ملك مصر (1920 – 1936) والذي قرر بناء مجموعة مساجد ضخمة تضم ضريح الشيخ وأضرحة باقي الشيوخ، وأصبح المكان مزارا سياحيا دائما بالإسكندرية.

مسجد إبراهيم الدسوقي

يقع بمدينة دسوق بمحافظة كفر الشيخ شمال القاهرة، ومدفون به القطب الصوفي الشيخ إبراهيم الدسوقي، والذي عاش في عصر السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، وعمل شيخا للإسلام وقتها وكان له مريدون كثر، وبعد وفاته بنيت على قبره زاوية صغيرة لم يلبث أن قام الولاة بتوسيعها إرضاء للعامة. ويعدّ المسجد أهم مزار سياحي للمصريين في شمال الدلتا.

جبهة منافسة فنية بين البشر والروبوتات

هل يمكن للذكاء الاصطناعي إنتاج أعمال فنية تنسجم مع ذائقة البشر؟

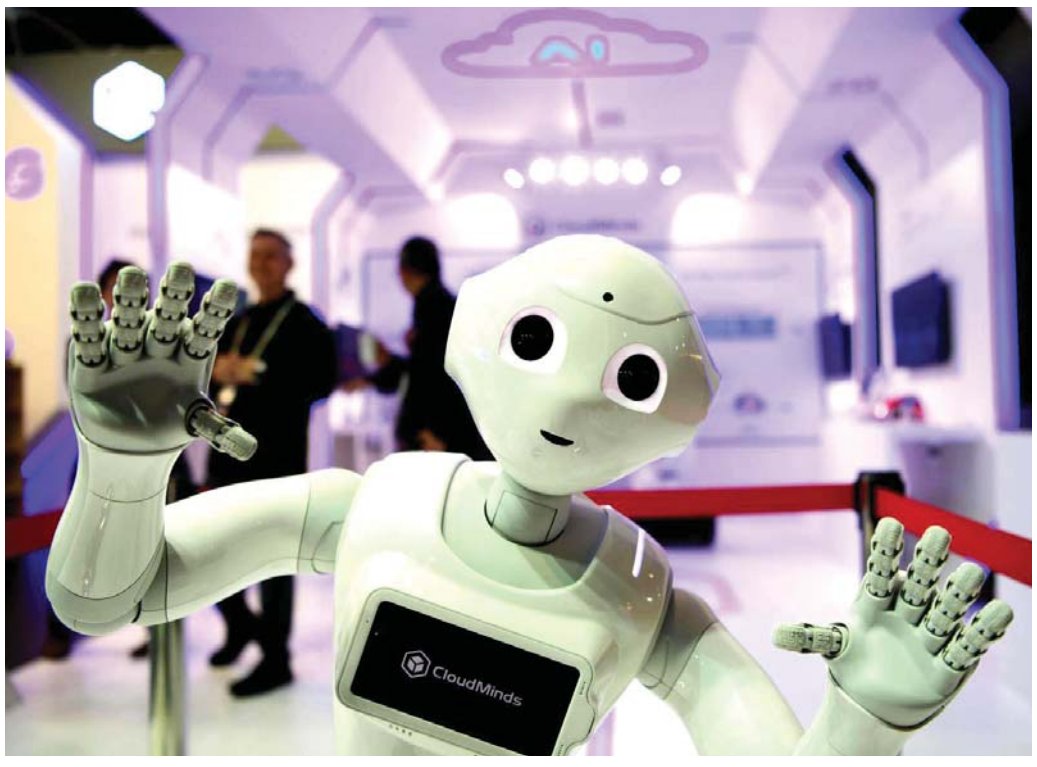

هل ستملك الروبوتات الفضول والرغبة في منافسة البشر

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

لا تزال جبهة المنافسة بين الإنسان والروبوت في ميدان الأعمال الفنية في بداياتها، لكنها ستتسع مع الزحف المتسارع للذكاء الاصطناعي إلى جميع الأعمال التي يقوم بها البشر، وبضمنها النشاطات الفنية وصناعة الأخبار وربما تأليف الكتب الإبداعية.

ليس هناك من جدل بشأن مستقبل الأعمال اليدوية والإدارية والمصرفية، لكن الأمر يختلف تماما في الميادين الفنية والإبداعية، وينطوي على جدل فلسفي بشأن قدرة الروبوتات على إنجاز أعمال تحظى باستحسان البشر وتلائم ذائقتهم.

من المؤكد أن قدرات الروبوتات ستتضاعف بسرعة صاروخية وسوف تكتسب درجة ما من الوعي، القريب من وعي البشر وتكون لديها قدرة على اتخاذ قراراتها المستقلة والمتفاعلة مع المحيط.

إيدن ميلر:
كبار الفنانين هم الذين تلقفوا روح عصرهم والذكاء الاصطناعي هو روح القرن الحالي وقادر على التعبير عنه

لكن التساؤلات كثيرة في ما يتعلق بإنتاج الروبوتات للأعمال الفنية، وأولها: هل ستشعر تلك العقول التجريدية، البعيدة عن الشغف والحماس والرغبات، بالحاجة إلى خلق أعمال فنية؟

متاهة أسئلة

إذا كانت أعمال البشر لا تحظى غالبا باستجابة جمهور واسع، فمن هو الجمهور الذي تستهدفه أعمال الروبوتات؟ وهل سنكون قادرين على فهم أعمالها الفنية؟ وهل ستكون قادرة على فهم حاجتنا للفن، التي لا نستطيع نحن تعريفها بشكل نهائي؟

قد نحتاج لطرح أسئلة أخرى كثيرة للإجابة قبل أن نتمكّن من الإجابة عن تلك الأسئلة، لنجد أنفسنا في متاهة فلسفية عميقة. لكن الأسئلة الأساسية هي متى تصل الآلات إلى مرحلة إنتاج الأعمال الفنية؟ وكيف يمكننا وضع أسس لفهم هذا الفن؟

ويستبعد بحث أعدّه الأكاديميان البرتغاليان روي بنها الأستاذ في المدرسة العليا للموسيقى والفنون المسرحية وميغيل كارفالهايس الأستاذ في جامعة بورتو في البرتغال، أن تقترب أعمال الروبوتات من الأعمال الفنية للبشر، وأن تبقى منفصلة من حيث التقييم والقدرة على الوصول إلى الجمهور.

ويقولان في بحث نشر في موقع aeon.co إن من المسلّمات الأساسية، أن العاطفة هي الطاقة الكامنة وراء قدرة البشر على إبداع وفهم الأعمال الفنية، وهو لن تكتسبه الأعمال الفنية.

ويشير البحث إلى أننا حين نتأمل عملا فنيا ونحاول فهمه أو التفاعل معه فإننا ننطلق من تجاربنا الشخصية وتراكم خبراتنا ولا يمكن لنا أن نحدد بوضوح الخط الفاصل بين خبراتنا وتجاربنا وعواطفنا.

الأهم من كل ذلك هو أن استقبالنا وتفاعلنا وفهمنا للعمل الفني حالة شخصية وفريدة وتختلف اختلافا كبيرا عن فكرة الفنان، وكذلك عن تجربة جميع الأشخاص الآخرين.

وحتى لو كانت لدى أحد الأشخاص خبرات ومراجع ثقافية قريبة جدا أو مطابقة لخبرات ومراجع الفنان فإن نظرتنا لن تكون مطابقة لنظرته. كما أن استقبالنا وارتباطنا بالعمل الفني ينقلب كليا إذا علمنا بأن العمل مزيّف أو مقلّد ويرتبط كذلك بشخصية الفنان.

هوية الفنان

معظم الأعمال الفنية تكتسب أهمية تفوق قيمتها التجريدية المباشرة من ملامح حياة الفنان وشخصيته، ومن ثم تكتسب أهميتها التاريخية وموقعها في تاريخ الفن. كيف إذن سنستقبل أعمال روبوت بلا تجارب عاطفية وحياتية؟ وهل ستبرع روبوتات معينة بإنتاج أعمال فنية دون أخرى؟

هناك عنصر أكثر أهمية من المراجع الثقافية المشتركة مع الفنان، وهو أن جميع البشر يشتركون في التجربة والأسئلة والدور الوجودي والعواطف الاجتماعية، التي تشترك في أننا نولد وننمو ونواجه أسئلة البقاء والموت.

كما أننا نشترك في دوامة واحدة من الحاجات الجسدية والبيولوجية، التي تفرز أحاسيس ومقاسات متقاربة للزمان والمكان والشهوات والرغبات.

هنا نتساءل ما الذي سوف تجسده الروبوتات، مهما بلغ وعيها، من أشكال فنية لا تنطلق من تلك القواعد البشرية وكيف سنتمكن من فهمها؟ وكيف ستفهم الروبوتات ما هو الفن دون تلك التجارب البشرية. نحن قادرون على التعاطف مع شخصيات غير إنسانية أو آلات ذكية في الكتب وأفلام الخيال لأنها جاءت من تصور بشر آخرين ومن منظورها الشخصي، الذي نستطيع أن نفهمه ونتواصل معه.

نحتاج، لكي نفهم الأعمال الفنية للروبوتات، إذا اعترفنا بها في المقام الأول، إلى بعض الفهم لتجربة تلك الآلة. وهو أمر مستبعد لأن البشر يفشلون غالبا في فهم البشر المحيطين بهم، وكذلك في فهم الكائنات الحية التي تربطنا بها قواسم مشتركة، فكيف بآلة مجردة!

إذا حدث وتعاطفنا مع الأعمال التي تنتجها الروبوتات، واعتبرناها أعمالا فنية، فإن ذلك سيكون من إنتاج مخيلتنا وافتراضاتنا لمقاصد ذلك الروبوت.

انتظار التحولات المستقبلية

ماذا لو منحنا الروبوت إمكانية الوصول إلى طرق تفكيرنا وإدراكنا، وإلى أمثلة وبيانات واسعة من الثقافة الإنسانية؟ ربما يتمكّن الكمبيوتر من صنع فن يستطيع الإنسان فهمه، ويجعله يصنع أعمالا بشرية وليست افتراضية واصطناعية.

هناك من يقول إن جميع الفنون التي تصنعها "الآلات" هي أعمال فنية إنسانية، وإن المبرمجين والمبتكرين هم الفنانون الحقيقيون في مستويات عميقة، رغم أنهم لم يتحكموا في إنتاجه؟ وهو افتراض ليس جديدا.

حين نستمع مثلا إلى سيمفونية بيتهوفن السابعة، التي وضعها قبل أكثر من مئتي عام، فإنه ليس مسؤولا مباشرا عن الأصوات التي نسمعها، لكننا نحيل ما نسمعه إلى بيتهوفن، رغم أن التجربة التي نتلقاها تعتمد على العازفين والظروف المحيطة بالعازفين.

هل ينبغي تطبيق ذات المبدأ وافتراض أن كل ما تنتجه الروبوتات من فنون ترتبط وتعود إلى المبرمجين، الذي وضعوا إحداثيات الوصول إلى تلك الأعمال الفنية. قد لا يكونون قادرين على التنبؤ بها، لكن تلك الأعمال تعود إليهم من خلال خيط طويل يمتد إليهم.

يطلق بعض الخبراء على الفنون التي تنتجها الآلات "الفن الميكانيكي" أي الفن المصنوع من إرادة عقل صناعي، وليست الأعمال القائمة على وجهة نظر بشرية عن الفن.

ويصل البحث إلى اقتراح أن نتجنب اعتبار ما تنتجه الروبوتات أعمالا فنية مبتكرة حين يكون إنتاجها مستقلا تماما عن فنان بشري، لأنها في نهاية المطاف أعمال لوغاريتمية وحسابية ولا تنطلق من قرارات وتجارب بشرية.

مشكلة مدى قدرة الآلات على إنتاج الفن وكذلك قدرتنا على فهمه، لا تكمن في إمكانية أن تطور الآلات وعيا وشعورا يمكن أن يقود إلى إنتاج

أيدا أول روبوت تعرض أعمالها في صالة، وقد تم بيعها بنحو مليون دولار

كيف يمكن أن تشعر الروبوتات التجريدية، البعيدة عن الشغف والحماس والرغبات بالحاجة إلى خلق أعمال فنية؟

الفن، بل في أن ذلك الفن سينبثق عن تجربة أو نظرة مختلفة، لن يكون البشر قادرين على الارتباط بها.

ويصل البحث إلى خلاصة بأنه سيكون نوعا من الفن الميكانيكي في نسق بعيد عن تجاربنا وقدرتنا على فهمه، لأن حدود فهمنا للفن، محدودة بتجربتنا البشرية الخاصة.

صرعة مؤقتة

في الشهر الماضي أقيم في لندن أول معرض في العالم لأعمال فنية من إنتاج الروبوت "أيدا"، لكن الإثارة والجدل التي صاحبت المعرض لم تكن لها علاقة بتقييم الأعمال الفنية، بل اقتصرت على تأمل الظاهرة وما يمكن أن تعنيه في المستقبل.

المعرض أثار تساؤلات المراقبين دون أن يبحثوا عن إجابات نهائية، عما إذا كانت الأعمال الفنية للروبوتات ستنتشر على نطاق واسع في المستقبل، وتحظى باهتمام مقتني الأعمال الفنية واهتمام النقاد. أعمال الروبوت أيدا، التي ضمت 8 رسومات و20 لوحة وأربعة أعمال نحتية، جمعت للغاليري نحو مليون دولار، لكن ذلك يعود لقيمتها التاريخية كأول معرض لروبوت في العالم، وليس بسبب قيمتها الفنية.

ومن المرجح أن تنخفض قيمة أعمالها حين تتكرر معارض أيدا، التي أخذت هيئة سيدة شابة، وحين يزداد عدد الروبوتات، التي تنتج أعمالا فنية، أي حين لا تعود ظاهرة جديدة.

إيدن ميلر مخترع أيدا وصاحب صالة العرض، التي قدمت أعمالها، قال إن القاسم المشترك بين كبار الفنانين هو أنهم "تلقفوا روح عصرهم" وأن روح القرن الحادي والعشرين تتجلى في الذكاء الاصطناعي، الذي سيكون قادرا على التعبير عنها.

وأشار إلى أن أيدا "مزوّدة بتقنيات ومهارات فائقة التطوّر لإنتاج أعمال رائعة تتميّز بطابعها الابتكاري"، مؤكدا أنه ما من عمل صنعه الروبوت أيدا يشبه الآخر.

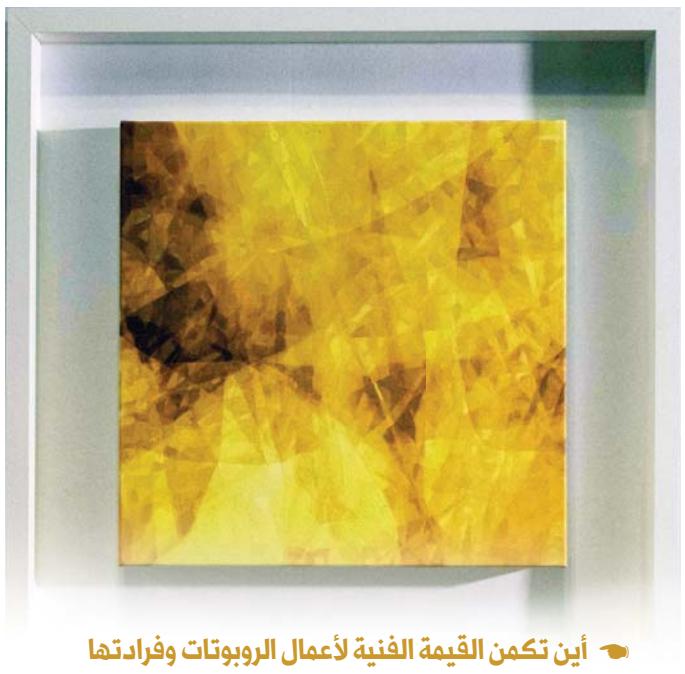

أين تكمن القيمة الفنية لأعمال الروبوتات وفرادتها

بحث مستحيل عن مبررات أعمال الروبوتات

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

الشراهة وسوء التغذية يعيقان كسر الحلقة المفرغة للبدانة

الوجبات السريعة الزهيدة تقوّض جهود تخفيض الوزن

تعد البدانة والزيادة في الوزن من أكثر المعضلات التي يصعب على الفرد والهيئات الصحية السيطرة عليها وعلى عواقبها. فالبدانة ليست مجرد ظاهرة عابرة وإنما هي نتيجة عوامل متشابكة ومعقدة لا تزال إلى اليوم محل الدرس والبحث. وكثيرا ما يرجع الباحثون تنامي هذه المعضلة إلى العادات غير الصحية والجينات الوراثية وتنوع المذاقات "المغرية" للوجبات السريعة وانخفاض أسعارها.

البدانة قد تكون نتيجة عوامل وراثية

تونس - كشف التقرير السنوي الجديد لحالة الأمن الغذائي والتغذية في العالم الذي صدر عن منظمة التغذية والزراعة (الفاو) عن تواصل معدلات زيادة الوزن والسمنة وارتفاعها في جميع المناطق، وخاصة بين الأطفال في سن المدرسة والبالغين. وشدد التقرير على أن هذه الظاهرة تمثل تحديا كبيرا يضاف إلى التحديات الأخرى التي تواجه هدف تحقيق التنمية المستدامة المتعلق بالقضاء على الجوع بحلول عام 2030.

وحذر التقرير من تزايد عدد الأطفال دون سن الخامسة الذين يعانون من زيادة الوزن (الوزن الزائد بالنسبة إلى الطول) إذ يصل عددهم إلى حوالي 40 مليونا، فيما بلغ عدد الأطفال والمراهقين في سن المدرسة ممن يعانون من زيادة الوزن مليونا. أما البالغون الذين يعانون من البدانة فقد بلغ عددهم 672 مليونا (13 بالمئة أو 1 من كل 8 بالغين).

وكانت منظمة الصحة العالمية قد أشارت في تقرير سابق لها إلى أن 39 بالمئة من البالغين على مستوى العالم يعانون من الوزن الزائد، فيما يعاني 13 بالمئة منهم من مرض البدانة. وتقول المنظمة إن 42 مليون طفل في العالم دون الخامسة كانوا يعانون من زيادة الوزن أو البدانة في عام 2013.

> الخبراء يدعون إلى تشديد الرقابة على مصادر الغذاء واستحداث معايير عالمية لتسويق الأغذية لحماية صحة الأطفال

ويتفشى وباء السمنة بشكل خطير في جميع أنحاء العالم وأعداد المصابين به في تزايد مستمر ولا يبدو أن الأمر مرتبط بالشراهة في الأكل بقدر ما هو مرتبط بالوجبات السريعة الرخيصة التي تزيد فيها نسبة الدهون، وفق ما يؤكده عدد من خبراء التغذية.

وتعد السمنة سببا رئيسيا للموت المبكر وواحدة من أكثر مشكلات الصحة العامة في القرن الحادي والعشرين خطورة لمعظم دول العالم، وفق ما يؤكد الأطباء وخبراء الصحة على حد سواء.

وقال معهد أبحاث السرطان في بريطانيا إنه من المتوقع أن تصبح السمنة من أكثر العوامل المسببة لمرض السرطان لدى النساء متجاوزة بذلك التدخين وذلك بحلول عام 2043.

وأضاف المعهد أن 12 بالمئة من النساء المصابات حالياً بالسرطان بسبب التدخين و7 بالمئة بسبب السمنة الزائدة، إلا أنه من المتوقع اختفاء هذه الفجوة في غضون 35 عاما بسبب توقع انخفاض عدد المدخنين وارتفاع معدلات السمنة. وتشير تقديرات معهد الأبحاث إلى أنه بحلول عام 2035، يمكن أن تكون 10 بالمئة من حالات السرطان لدى النساء (نحو 25 ألفا) لها علاقة بالتدخين، و9 بالمئة (حوالي 33 ألفا) مرتبطة بالوزن الزائد.

وأضافت أنه في حال استمرار الأمر هكذا، فإن الوزن الزائد والسمنة المفرطة قد يكونان وراء ظهور المزيد من حالات الإصابة بمرض السرطان لدى النساء أكثر بكثير من التدخين.

ويسود الاعتقاد بأن وباء السمنة مرتبط بالشراهة في الأكل، إلا أن البعض من الخبراء قد ربط البدانة أيضا بالوجبات السريعة الرخيصة التي تزيد فيها نسبة الدهون.

وقالت الباحثة كرستينا روبرتو التي تعمل في معهد تشان للصحة العامة التابع لجامعة هارفارد "ينبغي تغيير فهمنا لمشكلة البدانة بشكل جوهري إذا كان لنا أن نوقف وباء البدانة العالمي وندحره". وأضافت "فمن جانب، ينبغي لنا أن نعترف بأن الناس يتحملون مسؤولية صحتهم، ولكن من الجانب الآخر يجب أن نعترف بأن البيئات الغذائية السائدة في عالم اليوم تستغل نقاط ضعف الناس البيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية وتسهل عليهم تناول الأغذية غير الصحية".

كما دعا الخبراء إلى تشديد الرقابة والسيطرة على مصادر الغذاء بما في ذلك استحداث معايير عالمية لتسويق الأغذية من أجل حماية صحة الأطفال، والتأكد من نوعية الأغذية المقدمة للتلاميذ في المدارس، وفرض ضرائب على الأغذية غير الصحية، ودعم أسعار الأغذية الصحية للأسر الفقيرة، وإجبار المنتجين على وضع علامات واضحة على منتجاتهم لإجبارهم على إنتاج أغذية ذات منافع صحية أكثر.

وحثّت دراسة جديدة لمنظمة الصحة العالمية، نُشرت في دورية "لانسيت" العلمية، الحكومات على اتخاذ إجراءات فورية للحد من تسويق الأطعمة والمشروبات غير الصحية والمليئة بالسعرات الحرارية والسكريات والموجهة للأطفال ومنع توافرها في المدارس.

ونصحت أيضا بمساعدة الفقراء من أجل الحصول على أطعمة صحية واتخاذ إجراءات تضمن أن يكون الجهد البدني جزءا من "النظام اليومي والدراسي" في المدارس وغيرها من منشآت رعاية الأطفال.

وترتفع معدلات البدانة في مصر بشكل كبير إذ احتلت مصر المرتبة 17 بين قائمة الدول الأكثر بدانة في العالم، حيث يعاني 33 بالمئة من الشعب المصري من البدانة، تليها الكويت وقطر والسعودية والبحرين.

ولا تشذ تونس عن بقية دول العالم في مجابهتها لظاهرة السمنة، حيث أكد تقرير "الفاو" أن عدد المصابين بها بلغ 2.3 مليون في الفترة الممتدة بين 2016 و2018.

وقد كشفت رئيسة الجمعية التونسية للعلوم الصيدلية، شاذلية فندري، أن نسبة زيادة الوزن في صفوف التونسيين تقدر بـ50 بالمئة. وأشارت إلى أن الزيادة في الوزن والسمنة تسجل نسبا أكثر ارتفاعا لدى الإناث مقارنة بالذكور. وأضافت أنه جرى تصنيف تونس في مراتب متقدمة عالميا في قائمة الشعوب الأكثر بدانة في العالم.

وأوضحت فندري أن انتشار السمنة يعود بالأساس إلى تغير نمط العيش وتدهور العادات الغذائية لدى التونسيين وعدم ممارسة الرياضة واختلال أوقات الأكل وتناول الوجبات الغذائية السريعة. كما حذرت من أن زيادة الوزن والسمنة تؤديان إلى الإصابة بأمراض القلب. من جهتها أكدت الأستاذة الجامعية بكلية الصيدلة بالمنستير، أسماء أم الزين، أن ظاهرتي زيادة الوزن والسمنة سجلتا زيادة هامة في السنوات الأخيرة نتيجة تغير سلوكات وأنماط المجتمع معتبرة أن العوامل الجينية تؤثر بصفة مباشرة في انتشارهما.

وأكدت مريم المشري، أخصائية التغذية لـ"العرب"، ارتفاع نسبة السمنة لدى التونسيين، خاصة في صفوف الأطفال البالغين من العمر بين 3 و4 سنوات. وأرجعت المشري ذلك إلى العادات الغذائية والسلوكية السيئة التي يعتمدها الأولياء تجاه أطفالهم.

وقالت إن الأمهات يصررن على إدخال مواد غذائية تزداد فيها نسبة السكريات في غذاء أطفالهن في سن مبكرة مثل الحلوى بأنواعها والشوكولاتة وحتى المشروبات الغازية ودعت إلى تعويضها بالغلال ذات المنافع الأكثر والأقل احتواء على السكريات.

وأضافت أخصائية التغذية أن عددا من الآباء يمنعون أطفالهم من المشي حتى لمسافات قصيرة، عن غير قصد عبر اصطحابهم في السيارات.

وقالت إن ذلك من شأنه أن يقلل حركتهم وبالتالي يجعلهم غير قادرين على حرق الدهون التي اكتسبوها من أكل اللمجات أو الأطعمة الجاهزة والسريعة، هذا إضافة إلى ما أنتجته التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال (الهواتف الجوالة واللوحات الرقمية) التي ارتهنت الأطفال وجعلتهم يقضون مجمل الوقت أمامها.

ونصحت المشري الأولياء بأن يتركوا أطفالهم يمارسون أنشطتهم الحركية لوقت أطول مثل اللعب بالكرة مع الأقران أو المشاركة في الألعاب الجماعية التي يبذل فيها الطفل مجهودا مضاعفا للتنافس فتكون نسبة حرق الدهون لديه أكثر.

وقالت من الأفضل أيضا أن يشرك الأولياء أطفالهم في نواد تمارس فيها الرياضة أو بعض الألعاب الأخرى.

أما بالنسبة للمتقدمين في السن، توصي الأخصائية الغذائية بممارسة رياضة المشي وشرب كميات هامة من الماء والابتعاد عن التوتر وقلة النوم وأخذ نصيب من الراحة ما من شأنه أن يقلل من نسبة الدهون المكتنزة بالجسم.

كما أشار رئيس الجمعية التونسية للجراحة الأيضية والبدانة، مراد علالة، إلى أن البدانة أو السمنة تعتبر السبب الأول للأمراض التنفسية والقلب والكبد والسكري وغيرها من الأمراض المزمنة. وبين أن مرض السمنة يعتبر تحديا كبيرا في تونس خاصة وأن 30 بالمئة من التونسيين يعانون من أمراض السكري. ودعا علالة إلى إيلاء هذه الأمراض الاهتمام اللازم عبر المزيد من تنظيم المؤتمرات العلمية والندوات.

وقال إن الجراحة تظل إجراء وقائيا يساعد المريض على تعويد معدته "الجديدة" على خلق نظام غذائي جديد. وشدد على أن الفرد يبقى هو المسؤول الأول عن علاج نفسه ولا يتحقق ذلك إلا عبر التزامه بنظام غذائي معين.

وشددت آمنة المعمري الأخصائية النفسية للجمعية على ضرورة توفير الإحاطة النفسية اللازمة لمريض السمنة حتى يكون قادرا بعد إجراء العملية على الالتزام بنظام غذائي متوازن يحول دون العودة إلى الأنظمة غير الصحية التي ساهمت في إصابته بالبدانة.

ويبقى الحل الأمثل بالنسبة إلى بعض خبراء التغذية ممارسة التمارين الرياضية فور الاستيقاظ من النوم بدلا من التوجه مباشرةً إلى المطبخ لتناول الأطعمة غير الصحية والإفراط فيها.

وأشادت الدراسات العلمية الحديثة بأهمية ممارسة التمارين الرياضية بانتظام ودورها الفعال في تقليص الرغبة في تناول الطعام وكبح الشهية، وخوصا تمارين القوة، فهي تعد من أفضل التمارين الرياضية التي يمكن أن تساعد في منع زيادة الوزن، وتعمل على بناء العضلات التي تحفز بدورها عملية الأيض وتستهلك الكثير من السعرات الحرارية.

ربط الرياضة بالمتعة يساعد على المواظبة عليها

الحماس والمرح خلال التدريبات يخففان حالة الإجهاد

برلين - تلعب الرياضة دورا كبيرا في التمتع بالصحة جسديا ونفسيا وذهنيا، غير أن الكثيرين يواجهون مشكلة في المواظبة على ممارستها. فكيف يمكن التغلب على هذه المشكلة؟

يرى البروفيسور ينس كلاينرت أن ممارسة الرياضة ينبغي أن ترتبط بالمتعة والسعادة. لذا ينصح عالم النفس الرياضي الألماني بممارسة الرياضة بشكل جماعي مع الأصدقاء والمعارف، كي تتسم أجواء الممارسة بالمرح والبهجة.

وأضاف كلاينرت أن مكافأة النفس بالجوائز تسهم أيضا في المواظبة على ممارسة الرياضة؛ لذا يمكن للمرء مكافأة نفسه من وقت لآخر بوجبة لذيذة أو بملابس جديدة عند إحراز تقدم معين.

وقالت لويزا فالتر المدربة الشخصية الألمانية إن مشكلة عدم المواظبة على ممارسة الرياضة تكمن في عدم معرفة الهدف من الممارسة، مشيرة إلى أن الأشخاص، الذين لديهم أهداف واضحة المعالم هم فقط، الذين يمكنهم المواظبة على ممارسة الرياضة؛ حيث يمكنهم استدعاء هذه الأهداف في حال ظهور ما يعيق الاستمرار في أدائها كالتراخي والكسل. وأوضحت فالتر أنه ينبغي على المرء أن يضع لنفسه أهدافا واضحة المعالم لممارسة الرياضة، مثل بناء العضلات للوقاية من آلام الظهر.

ويفسر أخصائيو اللياقة البدنية أن اعتبار فترة ممارسة الرياضة وقتا ممتعا ومشحونا بالموجات الإيجابية والحماس يزيد مستوى إفراز هرمون السعادة ويخلص الفرد من القلق والتوتر والضغط. وبذلك تقترن الرياضة في دماغ المتدرب بالشعور بالسعادة في كل مرة لتصبح شيئا فشيئا متنفسا يلجأ إليه باستمرار وانتظام.

وقد أكد تقرير نشر في المجلة العلمية، "جورنال أوف هابيناس" أن ممارسة الرياضة أو بعض الأنشطة قد تجعل الفرد أكثر سعادة.

كما توصلت دراسة سابقة لباحثين في جامعة ميشيغان بالولايات المتحدة أن الأشخاص الذين يمارسون نشاطًا بدنيا مرة واحدة في الأسبوع، هم أكثر سعادة من أولئك الذين لم يمارسوا أي نشاط بدني.

كما وجد الباحثون أن النشاط البدني يزيد من الصحة النفسية الإيجابية للناس، ويقلل في الوقت نفسه من المشاعر السلبية مثل الاكتئاب والقلق.

وكشف التحليل الإحصائي لـ15 دراسة، أنه مقارنة بالأشخاص غير النشطين، كانت نسبة زيادة السعادة تتناسب مع نسبة النشاط الرياضي حيث تراوحت بين 20 و52 بالمئة. فكلما ازداد النشاط البدني، ازدادت بالمقابل نسبة السعادة، وذلك بسبب إطلاق الجسم لهرمون الأندروفين، الذي يطلق عليه الأطباء اسم "هرمون السعادة"، والذي يفرزه الجسم أثناء ممارسة التمارين الرياضية.

> مجرد التواصل مع الناس أثناء ممارسة التمارين الرياضية أو حتى سماع الموسيقى يجعل التمارين أكثر متعة

ونقلا عن موقع دويتشه فيله الألماني، قال الباحثون، من جامعة ميشيغان، إن تحقيق الهدف الأسبوعي المتمثل في 150 دقيقة من النشاط البدني المعتدل إلى القوي كان مرتبطاً بشكل كبير بمستوى أعلى من السعادة. وحسب دراسة أخرى أجريت على طلاب الطب تبين أن ممارسة التمارين بشكل فردي أدّت لبذل جهد أكبر. ووفقا لفريق من الباحثين في جامعة "نيو إنغلاند" في أستراليا، فإنّ ممارسة التمارين قد تكون طريقة للتعامل مع الضغط العالي والإجهاد.

واختار 69 طالبا مجموعة من سلسلة مجموعات، انقسمت إلى مجموعة اللياقة البدنية ومجموعة تعزيز الصحة ومجموعة التحكم التي لم يمارس فيها المشاركون سوى رياضة المشي وركوب الدراجات. وكانت النتائج تشير إلى أن المتطوعين في مجموعة اللياقة كانوا يمارسون على الأقل جلسة تمارين رياضية واحدة في الأسبوع، بينما قام المشاركون في فئة تعزيز الصحة بتمارين رفع الأثقال أو الركض إما بشكل فردي، وإما مع أشخاص آخرين.

وفي نهاية البحث، أظهرت فئة (اللياقة البدنية) زيادة كبيرة نوعًا ما في نقاط مهاراتها العقلية إذ بلغت (12.6 بالمئة) والجسدية (24.8 بالمئة)، والعاطفية(26 بالمئة). كما سجلت في المتوسط انخفاضًا بنسبة (26.2 بالمئة) في مستويات الإجهاد.

الاستقرار أهم من الديمقراطية بالنسبة للشباب

الشباب الليبيون وقود حرب لم يختاروها

الميليشيات المسلحة تستغل حاجة الشباب للعمل والحماية لضمهم إلى صفوفها

دفعت ظروف الحرب الليبية طيفا واسعا من الشباب ليكونوا أدوات بيد الميليشيات التي توفر الأمان والحماية لهم ولعائلاتهم، وأمام قلة فرص العمل وانعدام الأمل بتحسن الظروف يكون الإغراء بالثراء السريع وجني الأموال وسيلة مثالية لاستقطابهم من مختلف أطراف الصراع.

رويدة رفاعي
صحافية سورية

طرابلس- منذ سنوات وجد الشباب الليبيون أنفسهم في مستنقع كبير من الأزمات والحروب السياسية، وفيما يتقاسم أطراف الصراع الغنائم والمناصب والسلطة، لم يتبق لجيل واسع سوى البحث بنفسه عن الحلول مهما كانت منافية لقناعاته أو أفكاره لإنقاذ نفسه وتأمين سبل العيش.

والتكيف مع الواقع الليبي فرض على الشباب السير في طريق وعرة وشائكة، وفرض عليهم القبول بحلول ليسوا بالضرورة راضين عنها، لكنها في غياب دولة القانون واستبعادهم عن صنع القرارات، كانت الوحيدة المتاحة.

استغلال الحاجة

وتبدأ أزمة الشباب الليبيين من قلة فرص العمل التي فتحت الأبواب للسياسيين والميليشيات المسلحة لاستغلال حاجة الجيل الباحث عن فسحة أمل، لحياة أفضل أو حتى تلبية متطلبات الحياة الأساسية، في ظل ضيق الأفق.

ويعتبر محمد (26 عاما) (اسم مستعار فضل عدم الكشف عن اسمه الحقيقي لضرورات أمنية) ويقيم في مصراتة غرب البلاد، أن سوق العمل التابع للحكومة معبأ أكثر من اللازم، وأغلب الشباب العاملين فيه دون خبرات ولا شهادات وهم أصلا فائض عن الحاجة.

وأضاف محمد في تصريحات لـ"العرب" "إن الشباب الذين في مثل عمري أغلبهم يشتغلون في مجال الأعمال الحرة أو الشركات الخاصة، فيما الوظائف الحكومية هي حلم صعب المنال بالنسبة لأغلب الشباب لأنها مكتظة بالدرجة الأولى، ثم لأنها تعتبر من القطاعات الأكثر فسادا في البلاد وتخضع للواسطة والمحسوبية، وغالبا ما يتم التوظيف فيها بشكل فردي من قبل الوزارة المعنية دون النظر إلى عدد الموظفين الموجودين أو مدى الحاجة لتعيين آخرين".

وتابع محمد الذي يعمل مدربا في ناد رياضي "ربما يكون الشاب أفضل حظا في إيجاد عمل في محلات الملابس والأحذية أو المواد الغذائية الموجودة دائما أو العمل في شركات خاصة متنوعة الاختصاصات، لكن الرواتب متواضعة خصوصا بالنظر إلى الغلاء وارتفاع الأسعار".

ثم تطرق إلى الملف الأكثر تعقيدا وخطورة، وهو الانضمام إلى الميليشيات المسلحة، "لتأمين المستقبل من خلال سلطتها الواسعة التي تملكها داخل مؤسسات الدولة، وقد يتيح العمل معها الدخول للعمل السياسي، فإما أن تحصل على مستقبل جيد وإما على قبر"، وفق تعبيره.

ويعود سبب انضمام العديد من الشباب إلى الميليشيات المسلحة للحصول على رواتب عالية خصوصا أنها تمتلك أموالا ضخمة من صفقات بيع سلاح، ويمكن أن تؤمن للشباب طرقا للسفر خارج البلاد عبر المنح الدراسية أو من أجل العلاج.

ويوضح محمد أن الميليشيات لديها نفوذ في بعض الوزارات، ولدى هذه الميليشيات لجان لجرحاها، وفي كل معركة تقوم اللجان بإخراج بعض الشباب من غير الجرحى خارج البلاد، وبهذه الطريقة يقوم أمراء الميليشيات باستدراج الشباب للمشاركة في حروبهم ثم يخرجون البعض منهم للعلاج في صربيا وألمانيا وتركيا وفرنسا.

ووفقا لمحمد، يمكن الحديث عن استقطاب الشباب بإغرائهم بالثراء السريع لأن الميليشيات تعج بالفساد وتشرف على عمليات تهريب البشر وتمتلك علاقات واسعة مع عصابات دولية مختصة بالهجرة، إضافة إلى تجارة المخدرات وصفقات السلاح مع الدول الداعمة للصراع، وبالتأكيد الكثير من الشباب ليسوا مع هذه الميليشيات، لكن قد يكون البعض منهم مواليا لها بسبب العرق أو المنطقة أو القبيلة.

> الميليشيات المسلحة تؤمن للشباب طرقا للسفر خارج البلاد عبر المنح الدراسية أو من أجل العلاج بفضل تغلغلها في مؤسسات الدولة

وليست الميليشيات وحدها من تعمل على استقطاب الشباب، إذ تتشارك هذه المهمة مع السياسيين والأحزاب على اختلاف توجهاتها، إضافة إلى رجال الأعمال الداعمين للميليشيات، ويلعب المال دورا كبيرا في خدمة هذه الجهات إضافة إلى الأيديولوجيا، وهناك قواسم مشتركة يستعملونها لاستدراج الشباب مثل الدراسة في الخارج والتوظيف، وهي كما يقول محمد أشبه بمنظومة كاملة من الميليشيات والسياسيين والأحزاب. في المقابل يجد البعض من الشباب أن جميع الأبواب مغلقة والخيارات الأخرى معدومة، ولا سبيل آخر لديهم سوى الاستجابة لإغراءات الميليشيات وتجار السياسة والدين.

وغالبا ما يكون هؤلاء الشباب أدوات بيد الميليشيات، وهم الطريقة المثلى لدخول المناطق بطريقة سلمية، والتوغل بين أهلهم وعشائرهم، خاصة أن الميليشيات توفر الأمان والحماية في حال حدوث أي مشكلة، فيستطيع أفرادها الاحتماء تحت ظلها وهذا سبب رئيسي أيضا يجعل الأهل يوافقون على التحاق أبنائهم بهذه الميليشيات للدفاع عنهم في الأزمات، خصوصا أن ليبيا تعج بالعصابات والمجرمين والقتلة.

ويشتغل السياسيون على تبرئة الميليشيات من الجرائم والصفقات والتجارة المشبوهة وتأمين الغطاء القانوني لها بذرائع مختلفة لتقاسم الأرباح معها في ما بعد، بينما تؤمن الميليشيات المسلحة بدورها الحماية للسياسيين من الميليشيات الأخرى.

الإخوان هم الأخطر

وهذا لا ينفي وجود شباب كادحين بعيدين كل البعد عن هذه اللعبة، إذ يفضل الكثيرون التوجه إلى دورات تدريبية تعلم الكهرباء وصيانة السيارات والحلاقة.

ويضيف محمد الذي يعترف بأنه يخضع لحماية إحدى الميليشيات في مصراتة، لكنه يصر على أنه لا يقوم بأي عمل إجرامي أو منافٍ للقانون، أن المجموعات المنضمة إلى تنظيم "الدولة الإسلامية" كانت تعمل عن طريق المساجد التي سيطرت عليها قبل الحرب الأهلية الليبية واتضح دورها بعد 2011.

ويؤكد "طبعا جماعة الإخوان المسلمين أكثر تنظيما وقدرة على استقطاب الشباب عن طريق الفكر إذ ينشط أعضاؤها داخل الجامعات ويتوزعون في كل مكان: المقاهي، المساجد والمنظمات الإنسانية، كما يقومون عن طريق رأس المال بإنشاء شركات وتشغيل الشباب ثم تعبئتهم بإقناعهم بأفكارهم".

ويعتبر الإخوان أخطر وأقوى مجموعة لأن لديهم المال والفكر والتنظيم والعمل السري والخداع تحت ستار الدين من أجل التمكن من عقول الشباب، وتنتهج المجموعات الدينية أساليب متعددة لكي تفرض نفسها كل بطريقتها ولها ميليشيات خاصة بها.

وتؤكد الدراسات أن الصراع الليبي تسبب بتفشي نسبة البطالة في البلاد، حيث كشفت دراسة للمجلس الوطني للتطوير الاقتصادي والاجتماعي وصول نسبة البطالة بين الشباب الليبي إلى 41 بالمئة من إجمالي الفئة العمرية (19 حتى 34 عاما).

وأوضحت الدراسة التي أعدها المجلس بالتعاون مع وزارة التخطيط واليونسكو وصندوق الأمم المتحدة للسكان، أن نسبة الشباب من المجموع الكلي للباحثين عن العمل مؤخرا، وصلت إلى 50 بالمئة، مضيفة أن حوالي 71 بالمئة من الشباب يروا أنه لا تتوفر فرص عمل جيدة لهم في ليبيا.

وأظهرت الدراسة أن أكثر من نصف الشباب 53 بالمئة يشجعون الاستقرار في البلاد على حساب الديمقراطية.

ويبدو أن مشكلات فرص العمل والمجالات المتوفرة تخضع لوجهات نظر مختلفة من منطقة إلى أخرى في ليبيا، إذ يقول بشار الذي يعمل مدرسا في طرابلس (اسم مستعار فضل عدم الكشف عن اسمه)، "لا أعتقد أن ليبيا تعاني من مشكلة شح فرص العمل. والدليل أنها تؤوي من العاملين العرب والأفارقة والآسيويين عددا كبيرا رغم الظروف السيئة من انعدام الأمن وانخفاض سعر الدينار".

ويضيف بشار (30 عاما) "تتوفر فرص العمل في ليبيا لكن هناك سببان مهمان لعزوف الشباب عن العديد من المجالات، أولهما: نظرة المجتمع الليبي السلبية للحرف والأعمال اليدوية. فالشاب يستمد مكانته في المجتمع من مهن معينة هي الطب والهندسة والمحاماة ونحو ذلك. وهذا خلل اجتماعي عميق".

وتابع "لكن يجب أن نقول إنه في السنوات الثلاث الأخيرة وبسبب أزمة السيولة والغلاء الشديد الذي ضرب البلاد أصبحنا نرى الشباب الليبيين، بل وحتى الشابات، يشتغلون في أعمال كان بعضهم يستنكف عنها قبل سنوات".

خلل اقتصادي

والسبب الثاني برأي بشار هو الخلل في بنية الاقتصاد الليبي الريعي القائم على مصدر وحيد للدخل أي النفط، وهو ما جعل معظم الشباب يرون أن أفضل ضمان للمعيشة هو العمل في الدولة، وهذا أيضا ربما يوحي بأن فرص العمل ليست متوفرة بما يكفي، ولكن الحقيقة هي أن عدم الكفاية لا يتعلق إلا بفرص العمل في الدولة. هذا مع العلم بأن نسبة الموظفين إلى عدد السكان كبيرة جدا في ليبيا وهي الأكبر في شمال أفريقيا.

ويرفض بشار القول إن الشباب الليبي مهمش ومستبعد من العمل السياسي، ويقول "لست واثقا من أن تمكين الشباب، لكونهم شبابا فقط دون النظر إلى معايير أخرى، سوف يصنع فرقا كبيرا في السياسة الليبية. صحيح أن الشباب الآن أكثر انفتاحا على ثمرات الحضارة الإنسانية من خلال وسائل التواصل وارتفاع مستوى التعليم نسبيا وانخفاض الأمية، ولكن مع الأسف فإن الخلل الاجتماعي والنفسي والفكري المسؤول عن تخلف المجتمع الليبي عميق جدا، أعمق من الزعم بأن تهميش الشباب مسؤول عن قدر كبير منه. هذا إن صح أنهم مهمشون فعلا".

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

الثورة الصناعية الرابعة تقرّب النساء من المساواة مع الرجال

التقدم التكنولوجي ينهي عهد التمييز بين الجنسين في مجالات العمل

ترى عالمة الرياضيات الدكتورة آن ماري إيمافيدون، صاحبة مؤسسة "ستيماتس" الهادفة إلى تشجيع الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين 5 و22 سنة على اتباع طريق يقودهن نحو وظائف في مجالات العلوم والتكنولوجيا، أن تقدم المرأة في الشؤون الدولية يمكن إدراك حيثياته من خلال التركيز على كيفية تأثير التغيير التكنولوجي المقبل على النساء.

كاتي بومان

كاثرين جونسون

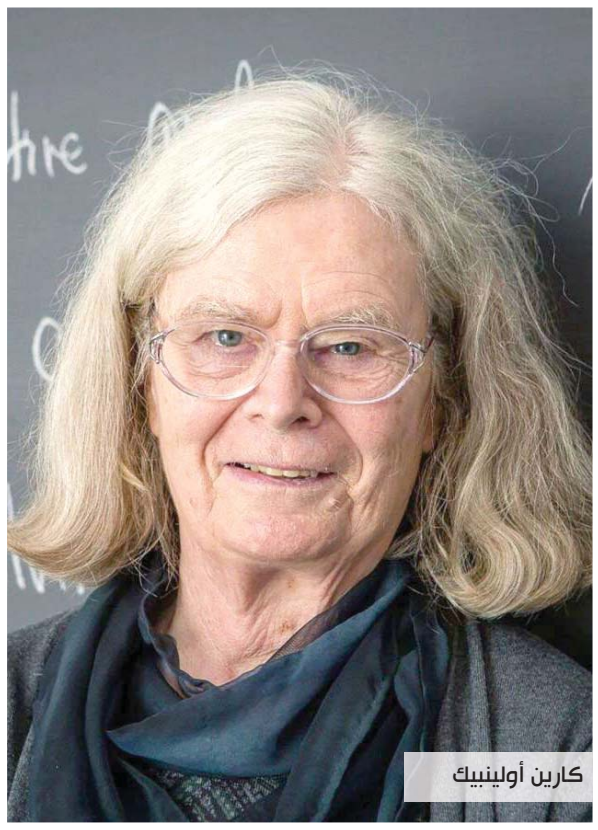
كارين أولينبيك

سنوات من الكفاح تنتظر اعترافا لا تكريما فحسب

لندن – صارت التكنولوجيا تتحكم يوما بعد آخر في جل الوظائف مع تنامي المخاوف من استئثارها مستقبلا بتشكيل عالم الأعمال لحساب تقنياتها المتطورة من برامج الذكاء الاصطناعي إلى الروبوتات.

وبدأت مراكز التفكير والدراسات تتابع عن كثب هذه التحولات وتأثيراتها المستقبلية، باعتبارها جزءا من الأمن القومي للدول والعالم، والحديث في مثل هذه المواضيع لم يعد ترفا، أو قضية تعني فقط دول العالم المتقدم.

الثورة الصناعية الرابعة صارت واقعا يمس كل الدول وأدواتها الرقمية تؤثر على كل المجتمعات دون استثناء، وتداعياتها تشمل كل الفئات المجتمعية. لكن يتفاوت تأثير هذه التداعيات حسب الفئة، فالوضع سيكون مختلفا بين الرجال والنساء مثلا.

وهنا، يتساءل خبراء مدافعون عن حقوق المرأة قائلين إن النساء مازلن إلى الآن أسيرات عقلية "عصر الحرملك"، فما هي المزايا التي ستقدمها لهن الثورة الصناعية الرابعة؟

تقدم عالمة الرياضيات البريطانية، الدكتورة آن ماري إيمافيدون، رؤية متفائلة في إجابتها عن التساؤل الذي استهلت به الباحثة في المعهد الملكي البريطاني للسياسات الخارجية (تشاتام هاوس) جينيكا بهرداوج، حوارها مع إيمافيدون، والذي يسلط الضوء على النساء والثورة الصناعية الرابعة ضمن سلسلة تبرز تقدم المرأة في الشؤون الدولية.

تقول ماري إيمافيدون إن الأبحاث أظهرت أن بعض المهن لن تتأثر بالثورة الصناعية الرابعة وهي المهن المتعلقة بالرعاية والتعليم، أي المهن التي يعتبر الاتصال بالبشر عاملا محوريا فيها، مضيفة أنه "إذا كان الأمر كذلك، ستفتح فرصة كبيرة أمام النساء العاملات في هذه المجالات. وتتفوق العاملات على العاملين لأنهن يملكن الفرصة للحفاظ على وظائفهن في هذه القطاعات، والارتقاء في السلم الوظيفي، ونيل المناصب الإدارية".

وبغض النظر عن بقاء التعليم تحت وصاية بشرية تمسك بآلياتها النساء، فإن المرأة لن تعدم القدرة على الاندماج الفعلي في قلب التغييرات الطارئة على المنظومة الوظيفية العالمية، حيث شددت إيمافيدون على أن التغير التكنولوجي سيوفر مجموعة من الفرص للنساء اللاتي يعملن تحديدا في الصناعات التي لا تفرض عليهن التواجد في مكان محدد للاشتغال.

وأوضحت أنه في قطاع مثل التعدين، يجب على العاملين التواجد في المناجم لتأدية مهامهم، لكن سيتمكن العمال من تأدية الجانب التقني من وظائفهم عن بعد، لذلك ستتمتع النساء بآليات ستمكنهن من التعلم، والتدرّب، والعمل عن بعد وبمرونة أكثر من أي وقت مضى بفضل التطور التكنولوجي.

غير أن الكثيرين ذهبوا إلى أن التحول التكنولوجي يمكن أن يحدث أثرا سلبيا على العمال، في حال تم استبدالهم بالآلات والروبوتات، متوقعين أن تتضرر النساء أكثر من الرجال من ذلك.

وهذا ما يطرح أمام المرأة –سواء أكانت تنتمي إلى البلدان المتقدمة أم إلى البلدان النامية– جملة من التحديات التي قد تواجهها بسبب هذا التغيير، منها كيف يمكن أن يؤثر ذلك على النساء؟ وهل سيتمتعن بأجور عالية أم بأجور زهيدة؟

وهذه النقطة الأخيرة هي بالأساس موضع نزاع عالمي بين النساء والرجال، ولعل دخول الروبوتات على الخط سيفاقم الوضع، وكانت هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي) تعرضت لانتقادات قبل عامين عندما أجبرت على الكشف عن أن 75 بالمئة من العاملين الذين يحصلون على أجر أعلى من 150 ألف جنيه إسترليني سنويا من الرجال والعشرة الأعلى أجرا كلهم رجال.

وأعلنت "بي.بي.سي"، في يوليو الحالي، أن ثلاث نساء هن "كلوديا وينكلمان" و"فانيسا فالتس" و"زوي بول" أدرجن على قائمة النجوم العشرة الأعلى أجرا، وهو تغير تقول الإذاعة إنه يظهر التقدم الذي أحرزته في سد فجوة فروق الأجور بين الرجال والنساء.

كما أن عشرات الآلاف من النساء شاركن، خلال يونيو الماضي، في إضراب ومسيرات بعدد من المدن السويسرية، للدفاع عن حقوقهن والمطالبة بالمساواة في الأجور.

الآلات تظلم النساء

أما عن نتائج هذا التحول التكنولوجي ومدى تأثيره على عمل المرأة، فقد أشارت عالمة الرياضيات البريطانية إلى أنه لا يمكن في الوقت الراهن تحديد الوظائف التي ستخسرها المرأة لصالح الرجل.

وأوضحت أنه "في حالة اعتبار أمر ما مهما، عادة ما تسند المسؤولية إلى الرجال، وهو ما رأيناه في مجال التكنولوجيا، فعندما أصبح القطاع أكثر أهمية، وخاصة من الناحية التجارية، تدفق الرجال ليشغلوا نسبة مهمة من وظائفه. وعادة ما تمثل النساء اللاتي تخلين عن وظائفهن لرعاية أطفالهن والعناية بشؤون منازلهن جل الأشخاص الذين يفقدون عملهم".

ولفتت إلى أن التطبيقات المبنية على خوارزميات تم تدريبها على مجموعات من البيانات التاريخية، تتخذ قرارات غالبا ما لا تكون لصالح المرأة بسبب اتباعها نسق السجلات التي درستها.. "علينا إجبار المصممين على أن يكونوا أخلاقيين ومنصفين في ما يبنونه إذا لم نرد أن تستمر الآلات في ظلم النساء".

وتابعت "فيما يتعلق بكيفية اختلاف تأثير التكنولوجيا على النساء، لست متأكدة بعد.. إننا على اتصال عالمي أمتن مما كان خلال الثورات التكنولوجية القليلة الماضية. ويعني هذا أن ما يحدث للنساء في العالم المتقدم سيمتد ليشمل النساء في البلدان النامية أكثر.. فإذا نظرنا إلى عدد النساء العاملات في مجالات العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات في الوقت الحالي، سنجد أنّ البلدان النامية تسجل النسبة الأعلى".

وكانت عالمة الرياضيات الإيرانية الراحلة، مريم ميرزاخاني، أول امرأة تحصل على ميدالية فيلدز في الرياضيات عام 2014 في حدث تاريخي مفاجئ.

كما أن الأميركية كارين أولينبيك، الأستاذة الفخرية في جامعة تكساس، أثبتت –بحصولها في مارس الماضي على جائزة أبيل النرويجية للرياضيات عن عملها في التحليل الهندسي ونظرية المقياس اللذين غيرا بشكل جذري مشهد الرياضيات– أن المعتقد الشائع بأن الرجال أذكى من النساء ما هو إلا تفكير ساذج.

ومع ذلك أكدت إيمافيدون أن نجاعة التكنولوجيا تعتمد على توظيف البشر لها، حيث قالت إن ردود الفعل على التكنولوجيا كانت مختلفة في جميع أنحاء العالم. ويمكن أن تكون للأمر علاقة باللغة، إذ تشتغل العديد من هذه البرامج باللغة الإنكليزية. كما يظهر تأثير الذكاء الاصطناعي أن له تأثيرا على النساء في البلدان المتقدمة أكثر من النساء في البلدان النامية.

وكشفت الأبحاث أن بعض التطبيقات تكرر بشكل آلي عدم المساواة الاجتماعية التي تلحظها في البيانات التي تغذيها، وخاصة فيما يتعلق بالتمييز بين الرجال والنساء، فكيف يمكن أن يتم تحسين هذه العمليات حتى يقع كسر النمط الذي تعلمته؟ ومن المسؤول عن مراقبة النهج الذي تتطور فيه التكنولوجيا؟

وتطرح إيمافيدون السؤال التالي: هل ينبغي أن تقف الحكومات أم الشركات المختصة أم المستهلكون للإشراف على التغيير التكنولوجي الذي يشهده العالم؟ معتبرة أن ذلك يعد محوريًا في هذه المرحلة.

وأضافت "يمكننا أن نتخذ أنهجا سريعة لتحسين هذه العمليات، على سبيل المثال أفاد مؤسس شركة فيسبوك ورئيسها التنفيذي، مارك زوكربيرغ، بأن على الحكومات أن تنظم استخدام شعوبها للبيانات. واستغرب البعض مما أدلى به، فهو الذي أنشأ المنصة التي تستخدم بياناتنا".

وتابعت "يبحث معهد 'مستقبل العمل' في أطر قد تطبق للتأكد من أن المبرمجين دققوا في أي فجوات في مجموعات البيانات قبل تغذيتها للخوارزميات. لا يجب أن يكون المبرمجون ممتازين في مجال عملهم فقط، بل يجب أن يكونوا واعين بالأخلاقيات. سيساعد ذلك في الحد من أي تمييز قد يغرس في التطبيقات عند تصميمها".

فيما يتعلق بمسؤولية المراقبة، تعتقد العالمة البريطانية أنها "موزعة على أكثر من طرف واحد لأنها مخاطرة مشتركة من شأنها أن تضر الحكومات والشركات والمجتمع ككل. لذلك، أدعو إلى تنظيم مناقشات في المجتمع حيث يمكن للحكومات والشركات والأشخاص العاديين أن يجتمعوا لمناقشة أفضل طريقة للمضي قدما".

وأوضحت "عادة ما تضع صناعة التكنولوجيا المبرمج ضد المستخدم، وهي فكرة أساسية خاطئة. يجب أن يكون الجميع قادرين على المساهمة في النقاش حول التكنولوجيا من أجل التوصل إلى حلول مناسبة. ولكن، يخلق هذا تحولا في السلطة وهو ما لا تريده الأطراف التي تمثل الصناعة مصدر أرباحها، لكن هذه خطوة مهمة، ويتعين علينا اتخاذها إذا لم نرد أن نحيل جميع مصالحنا إلى الشركات".

كما أن هناك عددا لا يحصى من النساء اللاتي يعملن في مجال العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات بدءا من عالمة الفيزياء والكيمياء البولندية، ماري كوري، والكاتبة وعالمة الرياضيات الإنكليزية، آدا لوفلايس، وصولا إلى العالمة الأميركية، كاتي بومان.

كانت كوري أول امرأة تفوز بجائزة نوبل، وأول من يحصل عليها مرتين، والمرأة الوحيدة التي حصلت عليها في مجالين، والشخص الوحيد الذي يحصل على جائزة نوبل في مجالين علميين.

وكانت لوفلايس أول من أدرك أن للآلة تطبيقات تتجاوز مجرد الحساب، ونشرت أول خوارزمية يمكن أن تقوم بها هذه الآلة. ولذلك تعتبر أحيانا أول من عرف الإمكانات الكاملة لـ"الآلة الحاسبة" وأول مبرمج كمبيوتر. أما بومان فقد كانت جزءا من فريق دولي من علماء الفلك الذين صمموا أكبر تلسكوب في العالم لالتقاط أول صورة للثقب الأسود.

ومع ذلك، تظهر الأبحاث أن الفتيات لا يبدين رغبة في التخصص في هذه المواد خلال سنوات دراستهن، وأن نسبة النساء العاملات في هذا المجال لا تتجاوز الـ30 بالمئة، ولكن ما هي التحديات التي تواجه النساء العاملات في هذه المجالات؟ وهل تستطيع الثورة الصناعية الرابعة تغيير ذلك؟

واحدة من مجموعة

تقول إيمافيدون إنها تصنف هذه النسب ضمن الروايات المبنية على المعايير الاجتماعية، معتبرة أن الموضوع تفجر مع نجاح بومان.. فعندما نتحدث عن ألبرت أينشتاين أو إسحاق نيوتن، نجد أن التاريخ يحتفل بهما كعالمين حققا نجاحاتهما بمفردهما، لكن عندما كشفت التقارير عن إنجاز بومان، شدد بعض المعلقين على أنها كانت مسؤولة عن فريق من المختصين الذين طوروا الخوارزمية التي مكنت من التقاط صورة ثقب أسود، (إنها واحدة من مجموعة من الأشخاص). وماذا عن الأشخاص الآخرين الذين ساعدوا ألبرت أينشتاين أو إسحاق نيوتن"؟

وسبق أن طبقت مجموعة من الشيوخ هذه النظرية –التي تطبق الآن على بومان– على الكاتبة اللبنانية الراحلة نظيرة زين الدين الملقبة بـ"المرأة الحديدية" لدفاعها عن حقوق المرأة، حين ألفت كتابها "السفور والحجاب"، وذهبوا في ذاك الزمن إلى أنها دونت اسمها على كتاب من إنجاز رهط من الرجال غير معترفين بقدرة امرأة على الإدلاء بدلوها في مسائل فقهية. زين الدين واجهت الشيوخ رغم حساسية المسألة، فقد ردت عليهم بكتاب تحت عنوان "الفتاة والشيوخ" لتأكد لهم أنها صاحبة الكتاب وليست اسما مستعارا لرهط من الرجال.

ولفتت إيمافيدون إلى "أننا نعاني من هذه العادة المتمثلة في محو قصص الأشخاص أو تعديلها إذا كانت لا تمجد العالمين الذكور. ويؤثر هذا على العلماء الآخرين الذين لا يدركون أن أشخاصا مثلهم ساهموا في بعض الاكتشافات التي غيرت أسس العلوم".

وأضافت أن العالم يعرف كلا من ماري كوري وآدا لوفلايس، لكنه يجهل إسهامات عالمات أخريات في التقدم التكنولوجي.. ونذكر منهن الممثلة والمخترعة الأميركية–النمساوية، هيدي لامار، التي أنشأت نظام "الواي فاي"، والرائدة في مجال تكنولوجيا المعلومات البريطانية، ستيفاني شيرلي، التي أسست أول شركة برمجيات نسائية في الستينات بالمملكة المتحدة، وعالمة الرياضيات الأميركية–الأفريقية، كاثرين جونسون، التي كانت حساباتها في الميكانيكا المدارية محورية في نجاح أول رحلة فضاء أميركية والرحلات التي تلتها. تجاهل العالم العديد من هذه القصص المدهشة، مما جعل الجمهور غير مصدق لقدرة المرأة على النشاط في هذا المجال".

وتأسّفت قائلة "للأسف، تستخدم بعض الأطراف هذه الفرصة لإحباط النساء اللاتي يدرسن أو يعملن في مجال العلوم والتكنولوجيا والابتكار. ولا نستطيع الحد من ذلك حتى الآن. بالنسبة إليّ، هذا هو التحدي الأكبر الذي تواجهه النساء". وتابعت "تقدم لنا الثورة الصناعية الرابعة فرصة للتوحد كبشر ضد الخوارزميات، إذ لا يقتصر الأمر على خسارة الرجال لوظائفهم لصالح النساء فحسب، بل يخسر الجنسان وظائفهما بسبب الخوارزميات".

وأضافت "تقدم الثورة الصناعية الرابعة لنا فرصا للعمل معا على تصحيح أخطاء الماضي. ما زلنا نعمل على إيجاد الطريقة الأكثر أخلاقية لتحقيق ذلك، حيث نواجه نوعا من التمييز في مجموعات البيانات التي نبني عليها جميع خوارزمياتنا. نعلم جميعا أن الحياة الواقعية بعيدة عن الكمال، لكن تكرار هذه العيوب في خوارزمياتنا يصمم مستقبلنا مع كل المظالم التي نعاني منها".

آن ماري إيمافيدون

أرى في التحول التكنولوجي قوة يمكن أن تحقق المساواة بين العالمات الإناث والعلماء الذكور

لكن هل سيمثل التحول التكنولوجي قوة تساهم في توسيع هذا الانقسام أم تُسْهم في توحيد البشر وخلق المساواة في المجتمع؟ وحول ذلك قالت إيمافيدون "عملت مع الكثير من الفتيات الصغيرات في المؤسسة التي أنشأتها، ورأيت فيهن قدرة على الحراك الاجتماعي الذي سيتبعهن في حياتهن المهنية.

وأرى في التحول التكنولوجي قوة يمكن أن تحقق المساواة بينهن وبين العلماء الذكور".

وتابعت "مع ذلك، أشعر بقلق إزاء مستقبل البشر. لا أعتقد أن التكنولوجيا هي التي تقسمنا، إنما البشر الذين يقودونها، حيث قسم البشر أنفسهم عبر التاريخ قبل أن تتوفر لديهم التكنولوجيا التي يلومونها اليوم.. تمثل التكنولوجيا انعكاسنا. هي لا تريد أن تكون فاصلة أو عادلة، بل تتبع الإرشادات التي نقدمها لها. يجب أن نتذكر ذلك".

هناك عددا لا يحصى من النساء اللاتي يعملن في مجال العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات ومع ذلك، تظهر الأبحاث أن نسبة النساء العاملات في هذا المجال لا تتجاوز الـ30 بالمئة

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

هوس تربية الحيوانات يهدد استمرار الحياة الزوجية

أزواج يفضلون حيواناتهم على أسرهم ويتخلون عن واجباتهم تجاه شركائهم وأبنائهم

يتحول هوس اقتناء الحيوانات إلى أزمة تهدد استمرار بعض الأسر المصرية مع انشغال أحد الزوجين برعايتها عن القيام بواجباته تجاه الطرف الآخر، والمغالاة في الاهتمام بها وتدليلها الذي يصل أحيانا إلى رفض التخلي عنها ولو من أجل إنجاب الأطفال.

هواية لا تعترف بالحدود

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

القاهرة - انضمت الحيوانات الأليفة إلى لائحة أسباب الطلاق مع زيادة ملحوظة في عدد الدعاوى القضائية المرفوعة بين الأزواج، بسبب وجود حيوان في المنزل ومنحه اهتماما يكون على حساب الزوج والأبناء.

وشهدت محاكم الأسرة في مصر خلال يونيو الماضي ثلاث دعاوى طلاق سببها الاختلاف بين الزوجين حول تربية الحيوانات، وينتمي المتنازعون فيها إلى طبقات اجتماعية متباينة.

رفعت زوجة (28 عاما) دعوى خلع بعد شهرين من الزواج بعدما اكتشفت ليلة الزفاف وجود كلب ضخم بالمنزل، ورغم تأكيدها لزوجها أنها تخاف إلا أنها فوجئت برده بأن الكلب أوفى منها وأنه تزوجها كي ترعاه، وعند شكواها من تواجده على سريرها كان مصيرها النوم على الأرض.

وكشفت دعاوى الطلاق والخلع المرفوعة بسبب الحيوانات أن هوس تربية الحيوانات ينتقل إلى مراحل معقدة داخل بعض الأسر، فدعاوى الطلاق تبدو غريبة على الأسر العربية والمصرية، ومن بينها تهديد محاسب بقتل زوجته حال تسببها في نفوق كلبه، واعتراف آخر بحبه لجرائه أكثر من أبنائه.

> مختصون يفسرون التعلق المفرط بالحيوانات بمرور الشخص بأزمات في مرحلة الطفولة، ولم يجد وقتها دعما من الأقران أو العائلة

ولم تتردد "ر.م" (27 عاما) في رفع دعوى طلاق، بعد 9 أشهر فقط من الزواج، لاعتداء زوجها المستمر على كلبها وتحوّل إيذائه إلى وسيلة لتفريغ شحنات الغضب، حال نشوب خلاف بينهما.

ويفسر مختصون نفسيون التعلق المفرط بالحيوانات خاصة القطط والكلاب بمرور الشخص بأزمات ومشكلات عنيفة في حياته خصوصا في مرحلة الطفولة، ولم يجد وقتها دعما من الأقران أو العائلة، ما يجعله يجد في علاقته بالحيوانات أمورا معنوية افتقدها مع الناس المحيطين به.

وتقول "ر.م" في حديث لـ"العرب"، إنها استبدلت نوعية الكلاب التي تعودت عليها من فصيلتي دوبرمان وكوكيجن بأخرى صغيرة الحجم لا يمكن إيذاؤها، لكن زوجها يعارض رغباتها وفرض رأيه دون اعتداد بحاجتها النفسية لحيوان أليف كوسيلة لقتل الفراغ.

وتتزايد مبيعات الحيوانات الأليفة وتقبل عليها جل الطبقات الاجتماعية بغرض التسلية، وتركز الشراء أخيرا في فئة الشباب دون الأسر الكاملة التي كانت تأتي بأطفالها لانتقاء حيوان أليف والتعرف على كيفية رعايته.

ورفع خالد الذي لم يكمل الثلاثين عاما دعوى قضائية ضد زوجته لعدم استجابتها لنصيحة الأطباء بالتوقف عن تربية القطط والابتعاد عنها تماما، كي تستطيع تحقيق حلمهما بالإنجاب رغم تعرضها للإجهاض أكثر من مرة.

ويشير خالد لـ"العرب" إلى أنه حاول الحفاظ على أسرته لكن زوجته طالبته برعاية شؤون المنزل لانشغالها بمتابعة حالة قطتها أثناء الحمل أو بعد الولادة، وتحمله أيضا تكلفة الإنفاق على طعامها، وبلغ الخلاف بينهما درجة متقدمة انقطعت فيها سبل التواصل.

ويتقبل الكثير من الأزواج وجود حيوان أليف بالمنزل باعتباره وسيلة لتعليم الأطفال مسؤولية الاهتمام بحياة الآخرين وإكسابهم قدرات أفضل على التواصل مع العالم الخارجي.

ويحاول شباب عرب نقل ثقافة امتلاك حيوانات غير أليفة كالزواحف المنتشرة في دول أوروبية وغيرها، دون مراعاة الاختلافات في نمط المنازل وانتشار امتلاك الشقق السكنية الضيقة في المنطقة العربية، فهي ليست منازل كاملة وشاسعة تضم حديقة ملحقة.

ويؤكد "ع.س" أن زوجته غيّرت هوايتها إلى امتلاك طيور جارحة وتدريبها ووصل بها الحال إلى مهاجمته بصقرها أثناء مشاجرة بينهما، ما أصابه بجروح غائرة استدعت نقله لأحد المستشفيات لتلقي العلاج، ورفضت التخلي عن طيورها إلى أن حصل الطلاق ولم تتنازل عن ذلك حتى من أجل مصلحة أبنائهما الثلاثة.

وترتبط الرغبة في امتلاك حيوان أليف بربات البيوت أكثر من الرجال في مصر، ربما لدورها في ملء أوقات فراغهن أثناء غياب الزوج عن المنزل، أو مع كبر الأبناء واستقلالهم في إدارة شؤونهم، وتحتاج بعض السيدات بصورة فطرية إلى شيء يمنحنه الاهتمام والعناية.

وأوضحت أستاذة علم الاجتماع سامية خضر لـ"العرب"، أن أحد أسباب الطلاق في مصر حاليا تتمثل في عدم القدرة على اختيار الشريك المناسب، وتقييم العناصر المشتركة بين المقبلين على العلاقة، فهوس الحيوانات يُعرف أثناء الخطوبة وأحيانا قبلها كإحدى هوايات الطرف الآخر، وأحيانا يتغاضى الطرف غير الراغب في اقتنائها عن الأمر على أمل تغييره مستقبلا، ولكن هذا الأمر نادرا ما يحدث.

ويقول الكثير من الأزواج إن الشغف لا يظهر إلا بعد مرور عدة أشهر من الزفاف، فالمشكلات تبدأ مع اعتياد أحدهما الخروج مع الحيوان إلى الحدائق والمنتزهات وترك الطرف الآخر بمفرده، وبعد إنجاب الأطفال قد يحرم أحد الزوجين من مشاعر الحب والحنان ولا يمنح الاهتمام والعناية الكافيين لأفراد أسرته أو يجعل تلبية احتياجات الحيوان لها الأسبقية عليهم.

وأضافت خضر أن صوت العقل يغيب عن بعض الأزواج المهووسين بتربية الحيوانات الأليفة، ما يجعل خلافا بسيطا حول اقتناء حيوان يصل إلى ساحات المحاكم، ويضيع مصير أطفال صغار لا يتم التفكير في مستقبلهم ومصيرهم عند التفكير في الطلاق، وقبل اتخاذ القرار، ويندم الطرفان غالبا على تسرعهما بعد سنوات قليلة.

نصائح

كيف تضمن بقاء النباتات حيّة خلال العطلة الصيفية

خلال موسم الصيف، يبدأ الكثيرون في التساؤل عن الشخص الذي سيطلبون منه القدوم وري الزرع خلال العطلات.

عندما تبدأ النباتات في الازدهار بشكل كامل، يغادر المرء المنزل لمدة أسبوع لقضاء عطلة، ما سيتسبب بشكل حتمي في أن تذبل. ولكن لا تخشى، فهناك طرق للحيلولة دون حدوث هذا، إلى جانب الترتيب مع شخص للاعتناء بها مرات قليلة.

أصص النباتات الذاتية الري: وهي حل رائع للنباتات التي تحتاج حقا لكثير من الماء، أو لأي نبات خلال فترة الجفاف. ويوجد في هذه الأصص خزان مياه مدمج يسمح للنباتات بتنظيم المياه بشكل ذاتي.

ومن المهم الانتباه لأن النباتات عميقة الجذور والمتأقلمة مع الأصيص هي فقط الملائمة لهذا النظام. أمام النباتات المزروعة حديثا فسوف تحتاج للري اليدوي حتى تتأقلم.

وهناك أيضا أنظمة ري أغلى وأكثر تفصيلا مثل أنظمة الأنابيب التي يسيطر عليها الكمبيوتر، التي يجب إلحاقها بمصدر مياه. وإذا ما استطاع المرء الحصول على واحدة من هذه، فمن المحتمل لن يحتاج لشخص يتابع النبات.

الأصص الكبيرة: كلما كان الأصيص صغيرا، جف بسرعة. وبالتالي من الجيد وضع النبات في أصيص كبير وسوف تدوم المياه لفترة أطول.

النباتات المرنة: بعض النباتات أكثر مرونة من غيرها، ويمكنها التعامل مع فترات الجفاف بشكل أفضل. وإذا ما كان المرء يعتزم الذهاب في عطلة لفترة طويلة، فمن الجيد تكييف نوع النبات الذي تختاره وفقا لها.

فالأعشاب مثل الزعتر والروز ماري واليوكا (وهو من الفصيلة الزنبقية) والدفلى تتأقلم والمواسم الجافة وكذلك نباتات مثل البوصير والبطنج البيزنطي واللافندر. وكذلك الحال مع نباتات الغرنوقي أو الزهور المكسيكية أو عباد الشمس.

يكبر ويتذكّر

يمينة حمدي
صحافية تونسية
مقيمة في لندن

يردد الآباء العبارة المعهودة "تكبر وتنسى" على مسامع أبنائهم الصغار عندما يشبعونهم ضربا أو يواجهون حوادث مؤلمة في طفولتهم، لكن للأسف هذا المعتقد الراسخ والقول المتوارث بين الأجيال مخالف للحقائق العلمية وفيه الكثير من المغالطات، فالطفل يمتلك ذاكرة قوية، وعندما يتعلق الأمر بتذكر الأشياء المؤلمة والحزينة، فإن معظم الأطفال الأصحاء قادرون على تذكر أدق تفاصيل الذكريات القديمة، وخصوصا السيئة.

النسيان للذكريات التي وقعت في الطفولة أمر وارد في حياة جميع البشر، ويحتمل حدوثه لدى معظم الناس الذين عاشوا تلك الذكريات في السنين الثلاث أو الأربع الأولى من الحياة. لكن القابلية لنسيان الأحداث المؤلمة، ليست دائما أمرا واردا، خصوصا إذا تعرض الأطفال لأحداث مؤلمة في السنين اللاحقة من أعمارهم، وبعد أن بلغوا مرحلة نضوج وظيفة الذاكرة، وأصبحت لديهم القدرة على اختزان ذكريات الأحداث الشخصية.

وبيّنت بعض الأبحاث أن الأطفال بعد عمر 3 سنوات، يستطيعون تذكر الأحداث الهامة التي وقعت لهم خلال العام الماضي، ويرتفع معدل استرجاعهم للذكريات عندما يبلغون سن السابعة، حيث بإمكانهم تذكر ما يصل إلى 72 بالمئة من الأحداث نفسها التي كانوا يتذكرونها عندما كان عمرهم 3 سنوات.

بينما في عمر 8 أو 9، فإن معظم الأطفال يمكن أن يتذكروا 35 بالمئة فقط من تجارب الحياة التي تمكنوا من وصفها بوضوح في سن الثالثة.

وهذا التغيّر في استحضار الأحداث يأتي من الطريقة التي تتشكل بها الذكريات كلما تقدم الأطفال في السن، لكن ما هو مؤكد أنّ الأطفال في عمر 7 سنوات قادرون على تخزين الذكريات بالوقت والمكان على نحو متزايد، وقد يسهل عليهم استرجاعها عند الكبر.

ولعل أخطر الذكريات، تلك التي تنطوي على أحداث أو صدمات نفسية، فهذا النوع من الذكريات يظل مترسبا في الذاكرة، ويعيقهم على المضي قدما في الحياة، رغم أنهم قد تجاوزوا الماضي بسنوات طويلة وأصبحوا ربما يعيشون حياة آمنة ولم تعد حياتهم في خطر، ومع ذلك فإنهم سيظلون غير قادرين على التخلص من تلك الذكريات المؤلمة التي تتراءى لهم وتمنعهم من ممارسة حياتهم بشكل طبيعي.

يرتبط الضرب والأشكال الأخرى للعقاب الجسدي القاسي منذ فترة طويلة بمشاكل الصحة العقلية لدى الأطفال، إلا الكثير من الآباء لا يعرفون شيئا عن كيفية تأثير تجارب الطفولة على سلوك البالغين.

وقد أولى معظم علماء النفس أهمية بالغة للأحداث السلبية، التي تخلفها الطفولة القاسية على نفسية الطفل، مثل اضطراب ما بعد الصدمة، وهو اضطراب نفسي، يصاب به الأشخاص الذين مروا بأحداث مؤلمة أو مروعة، كالنزاعات والحروب والعنف الشديد والاعتداءات الجنسية، مع الأخذ بعين الاعتبار تصرفات الأمهات مع أطفالهن والعدوانية الموجودة بين الوالدين.

الأشخاص المصابون باضطراب ما بعد الصدمة كثيرا ما تداهمهم ذكريات هذه الأحداث الصادمة أثناء اليقظة وتطاردهم الكوابيس، وقد يشعرون، بالخوف والعجز أو الذعر بسبب التجارب المريرة التي عاشوها، وتطاردهم ذكريات ومشاهد وأفكار سوداوية، كلما تعرضوا لأشياء تذكرهم بالأحداث المؤلمة التي تعرضوا لها.

> استرجاع الذكريات المؤلمة، قد يترك آثارا عميقة ودائمة على نفسية الطفل وعلاقته بالآخرين ويؤثر على مستقبله المهني ويدمر علاقته الأسرية

وتكمن مشكلة اضطراب ما بعد الصدمة، في كيفية معالجة الدماغ للذكريات. فمن المعروف أن الذكريات تختزن في منطقة الحصين بالدماغ، لكن إذا كانت تلك التجارب قاسية، فقد تستثير رد فعل المواجهة أو الفرار، ومن ثم ينشط الجزء المسؤول عن الخوف من الدماغ وهو منطقة لوزة الدماغ، وتظل الذكريات عالقة في هذه المنطقة من الدماغ ويتعذر محوها.

وهناك أبحاث علمية عديدة تؤكد أن استرجاع الذكريات المؤلمة، يؤثر على بنية الدماغ، وقد يترك آثارا عميقة ودائمة على نفسية الطفل وعلاقته بالآخرين ويؤثر على مستقبله المهني ويدمر علاقته الأسرية والاجتماعية.

وقد لاحظ الخبراء أن الجزء الأيمن من لوزة الدماغ لدى جنود يعانون من اضطراب ما بعد الصدمة كان أكبر بنسبة 6 بالمئة مقارنة بنظرائهم. ويرتبط الجزء الأيمن من لوزة الدماغ بالتحكم في الخوف ومقاومة مثيرات الحزن.

وترتبط تجارب الطفولة القاسية بنحو 46 بالمئة من السلوكيات العدائية بين الرجال ونحو 47 بالمئة منها بين النساء، وفق ما أكدت دراسة أميركية حديثة.

وقالت تريسي عفيفي، التي قادت فريق البحث وهي من جامعة مانيتوبا في كندا "أشارت البيانات منذ عقود إلى أن الضرب والعقاب الجسدي القاسي يرتبطان بنتائج سيئة سواء صحية أو اجتماعية، والأهم من ذلك أنه لم تظهر أي دراسات على الإطلاق أن الضرب مفيد للطفل".

وطالبت عفيفي بالتوقف عن التفكير في الأبوة والأمومة من زاوية العقاب.. والتحول إلى نهج الأبوة الإيجابية لإرشاد الأطفال.

لعل أثمن هدية يمكن أن يقدمها الآباء لفلذات أكبادهم، هي التعامل معهم بهدوء وبرزانة، فهذه أفضل وسيلة لتهذيب سلوكهم، أما جميع طرق العقاب حتى الخفيفة منها فلن تجدي نفعا، بل على الأرجح أنها ستدمر صحتهم النفسية.

موضة

أسرار تنسيق الدانتيل

يتربع الدانتيل على عرش الموضة النسائية في صيف 2019 ليمنح المرأة إطلالة فخمة تنطق بالرقة والأنوثة. ويتطلب تنسيق الدانتيل حسا عاليا للحصول على مظهر أنيق دون تكلف.

وأوضحت مستشارة المظهر الألمانية كاتارينا شتارلاي أن الدانتيل يمتاز بطابع فخم ورومانسي، كما أنه يشيع إحساسا بالخفة يناسب أجواء الصيف، فضلا عن مظهره الجريء.

ومن جانبها أضافت مستشارة المظهر الألمانية آنيته هيلبيش أن الدانتيل يقتحم إطلالة الحياة اليومية هذا الموسم من بوابة الملابس الرياضية ويزين التيشيرتات المخططة.

وبدورها أشارت مستشارة المظهر الألمانية ماريا هانز إلى أن تنسيق الدانتيل يحتاج إلى ذوق رفيع تجنبا للمبالغة، موضحة أنه ينبغي الاكتفاء بقطعة واحدة بالدانتيل كتوب مثلا، على أن يتم تنسيقه مع سروال جينز.

وأضافت أنه يمكن ارتداء الدانتيل في العمل أيضا، لكن ينبغي أن يكون تحته بطانة قماشية، كي لا يكون كاشفا للجسم، في حين يجوز الاستغناء عن البطانة إذا كان الدانتيل يزين الأذرع والأكتاف.

ومن المهم ألا يتم تنسيق الدانتيل مع أي نقوش باستثناء الزهور؛ لأن نقوش الدانتيل عادة ما تجسد الزهور والأغصان.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

تباين المستوى يطبع حصيلة المشاركة العربية بأمم أفريقيا

روح المجموعة سرّ تفوق المنتخب الجزائري في المسابقة القارية

مع الإعلان عن نهاية نسخة بطولة أمم أفريقيا التي احتضنتها مصر من 21 يونيو إلى غاية 19 يوليو يتوقف المحللون في تقييمهم للمشاركة العربية عند العديد من النقاط السلبية التي تناولوها بالتحليل والدرس أملا في تجاوزها، فيما وقف آخرون على بعض النقاط الإيجابية التي يمكن البناء عليها. ورغم أن المشاركة العربية فرضت نفسها بالبطولة القارية إلى غاية المباراة الختامية وتوّجت بتواجد طرف في ضلعيها وهو المنتخب الجزائري، إلا أن الأمل يظل معقودا بالنسبة للمحللين على رؤية نهائي عربي عربي طال انتظاره في قادم المسابقات.

إرادة قوية بلا روح

القاهرة – أسدل الستار على بطولة أمم أفريقيا بمصر الجمعة 19 يوليو. والأكيد أن كل بطولة يجب الاستفادة من سلبياتها وأخذ الدروس والعبر للبناء على ما تحقق من إيجابيات مستقبلا وخصوصا للتجربة العربية. وحملت هذه البطولة الكثير للمنتخبات العربية الخمسة المشاركة في نسختها الجديدة بـ24 منتخبا.

ومرت التجربة العربية في هذه المسابقة القارية بأطوار متباينة. ومنذ الدور الأول الذي فرضت فيه المنتخبات العربية سيطرتها وحظيت بإشادة الجميع لجهة الأرقام التي حققها المغرب ومصر والجزائر في دور المجموعات.

لكن سرعان ما تعرضت هذه المشاركة إلى نكسة منذ بدء الأدوار الإقصائية بخروج أبرز منتخبين عربيين من السباق. منتخب مصر البلد المضيف الذي غادر السباق مبكرا وترك لوعة كبيرة في صفوف مشجعيه لتنقلب إثرها الأمور رأسا على عقب داخل الشارع الرياضي المصري.

نفس الأزمة صدّعت الجمهور الرياضي في المغرب بعد خروج المنتخب الفتي والقادر على بلوغ الأدوار النهائية وفق المراهنين عليه والمتطلعين إلى إنجازاته في البطولة.

نقاط سلبية

حريّ بأي متابع حصيف للبطولة وناقد موضوعي أن يتوقف عند هذا الدور، أي الثمن النهائي، لترك رسالته للقائمين على حظوظ هذين المنتخبين في مصر كما في المغرب. الرسالة واضحة ولا تحتمل أكثر من سؤال: أي رؤية يمكن البناء عليها لتحقيق الهدف المنشود من البطولة، هل بمنتخب النجم الواحد على غرار مصر، أم بمجموعة متجانسة ظاهريا وفقدت قائدها على أرضية الميدان.

جدير بالمسؤولين الساهرين على هذين المنتخبين أن يتمسكوا جيدا بأطروحاتهم الذاهبة ناحية البناء والتأسيس واستخلاص الدروس التي تركتها هذه النسخة، لا البقاء على الحياد والاكتفاء برمي التهم وتحميل المسؤولية لهذا الطرف أو ذلك.

أول درس يمكن البناء عليه في هذا الاتجاه، أن منتخب النجم الواحد لا ينفع في منافسات قوية كهذه. المثال يقدّمه المنتخب المصري في هذا الخصوص وظل منذ بروز نجمه محمد صلاح في الدوري الأوروبي يرى فيه نقطة ارتكاز للفريق دون أن يبني فريقا جماعيا أو يقوم بعملية تشبيب للوجوه التي تقدّمت في السن وباتت على طريق الاعتزال.

المتابع لبطولتي أمم أفريقيا وكوبا أميركا يلاحظ هذه المسألة بأكثر وضوح، فقد وضعت هاتين البطولتين نجمي المنتخب المصري والأرجنتيني في خانة واحدة قوامها العجز عن الإسناد والوقوف ندا للمنتخبات المنافسة.

ميسي وصلاح برزا كوجهين لعملة واحدة، كل واحد منهما غادر البطولة بطريقته، الأول مطرود في اللقاء الترتيبي أمام تشيلي والثاني فقد تلك الهيبة التي كان يعلقها عليه الجمهور المصري رغم اعتذاره الشديد والوعد الذي قطعه على نفسه بالتدارك.

في هذا الإطار يكشف المدرب قيس اليعقوبي في تصريحات تلفزيونية أن المنتخب الذي يعول على ركيزة أو ركيزتين في الفريق يكون مصيره الفشل.

وقال اليعقوبي في إجابة على سؤال كيف ترى حظوظ المنتخبات التي عولت على لاعب وحيد مثل المنتخب المصري، "اللاعب الوحيد لا يبني فريقا، روح المجموعة هي الأساس لأي منتخب يريد الذهاب بعيدا في أي مسابقة يخوضها.. المثال يختصره المنتخب الجزائري قولا وفعلا".

وتشير تعليقات المحللين حول المساوئ التي يجب الوقوف عليها في هذه البطولة إلى أنه لا يكفي أن تكون لديك مجموعة كبيرة من اللاعبين ينشطون في أعرق النوادي الأوروبية، في غياب استراتيجية واضحة للتعامل معهم وكيفية توظيفهم فوق الميدان والأهم من ذلك كيفية إدارة العلاقة بينهم.

ولفهم هذه العملية، فإن الأمر يتوقف على بعض التجارب ومنها تجربة المنتخب المغربي، فقد أثيرت العديد من نقاط الاستفهام قبل بداية الكان حول العلاقة بين اللاعبين وتساءل الكثيرون لماذا تمت التضحية بعبدالرزاق حمد الله، هداف الدوري السعودي، لتأتي الإجابة سريعا في البطولة بخروج مدوّ لأسود الأطلس طرح أكثر من نقطة استفهام حول مصير المدرب هيرفي رينارد وطريقة تعامله مع المجموعة، في وقت تشير فيه التقارير إلى أن موعد رحيل الأخير قد حُسم فعليا رغم تكذيب الاتحاد المغربي لما كشفت عنه تقارير صحافية تحدثت عن رحيل معلن لرينارد.

وفي هذا الإطار يعلق اللاعب القيدوم في المنتخب المغربي مصطفى حجي في تصريح صحافي اختصر فيه مسؤولية المدرب في هذه البطولة، بالقول "المسؤولية تنطلق من القائمة، وحاجتنا لبعض الأسماء في خط الهجوم، وكذلك تسييره للمباريات، وتدخله لتغيير النتيجة". وأضاف "أعتقد أنّه بدوره لو سألته سيكشف لك عن ندمه بشأن تدخله السلبي لتغيير الأمور، وهذه أشياء تحدث في عالم التدريب، لكن للأسف تكون الفاتورة مكلفة".

مثالا المنتخبين المصري والمغربي لا يختصران الجدل حول تقييم مشاركة المنتخبات في أمم أفريقيا، لكنهما يكشفان بوضوح حدود التجربة وانهيارها في أول الطريق لمنتخب حائز على سبع بطولات قارية من العناصر الأساسية التي يتوجب أخذها بعين الاعتبار ومنها الانضباط وفرض معسكرات تدريب دورية يتقيد بها جميع اللاعبين والأهم من ذلك اختيار جهاز فني قادر على إعادة صورة المغرب الحقيقية في أمم أفريقيا.

> مثالا المنتخبين المصري والمغربي لا يختصران الجدل حول تقييم مشاركة المنتخبات العربية في أمم أفريقيا، لكنهما يكشفان بوضوح حدود التجربة وانهيارها في أول الطريق لمنتخب حائز على سبع بطولات قارية

تجارب متواضعة

قريبا من هذه الحالة يظل التركيز مسلطا على منتخبات أخرى مغامرة، خاضت التجربة بروح الفريق رغم قلة الإمكانيات وحققت المطلوب في مسابقة لا تعترف إلا بالأقوى. مثالان هامان في هذا الاتجاه يختصرهما الظهور المشرف لمنتخبي مدغشقر وبنين في هذه البطولة، الأول خاض البطولة لأول مرة وغادرها من أوسع أبوابها بعدما حقق إنجازا خياليا ببلوغه الربع النهائي، فيما شدّ الثاني إليه الجمهور الرياضي العربي والأفريقي بإنجاز تاريخي أوصله إلى الثمن النهائي.

قريبا من هاتين الحالتين ظهرت منتخبات أخرى في صورة بينية، يصعب إيجاد ترتيب لها رغم أنها قادرة على صنع المزيد. المثال يختصره منتخب تونس الذي وصل إلى نصف نهائي البطولة وكان بإمكانه أن يكون طرفا في اللقاء الختامي برفقة المنتخب الجزائري. لكن العديد من الهنات والأخطاء وضعت نسور قرطاج في مركز رابع بعد خسارة المباراة الترتيبية أمام نيجيريا التي صعدت إلى المركز الثالث.

توج منتخب تونس مشاركته بحلوله رابعا. وهذا في نظر بعض متابعيه يعتبر إنجازا كونه تم الاتفاق مع المدير الفني الفرنسي قبل بدء المسابقة على بلوغ هذا الدور. لكن بالنسبة إلى بعض الآراء الأخرى، فإن الحلول رابعا في بطولة يشهد الكثير من المحللين أن مستوى المنتخبات فيها يظل دون المأمول لا يمكن بأي صفة وضعه بمرتبة الإنجاز.

وعبّر العديد من المحللين عن امتعاضهم من المستوى الذي وصل إليه مردود المنتخب في هذه النسخة، كما لاحظ الكثير منهم مستوى الإجهاد البدني لبعض اللاعبين في المباراة الأخيرة أمام نيجريا وخصوصا منهم المحترفين في أندية أوروبية. ويتساءل الكثير منهم عن الأسباب التي تقف وراء ذلك فيما يرى آخرون أن المنتخب قادر على تقديم مستوى أفضل من الذي ظهر به في المباراتين الأخيرتين أمام السنغال. وتساءل حسني الزغدودي المحلل الرياضي التونسي عن الأسباب التي جعلت اللاعبين ينهارون بتلك الكيفية، وقال في تصريح تلفزيوني "بتلك الروح الغائبة لا يمكن العودة في النتيجة أمام منتخب نيجيري متواضع الإمكانيات ولا يفوق تونس سوى في المحافظة على هدف أهداه إياه من خطأ فادح".

وعلى العكس تماما من الزغدودي يذهب الصحفي والمحلل الرياضي مراد البرهومي إلى أن المنتخب التونسي قادر على تقديم الإضافة والتألق في قادم المسابقات شريطة توفر جملة من العناصر التي يجب البناء عليها.

وقال البرهومي في تصريح لـ"العرب" "تونس قادرة على تقديم ما هو أفضل من المستوى الذي ظهرت به في الكان، وعندما أرادت العودة في المسابقة وفرض نفسها في المسابقة أسقطت منتخبات قوية على غرار غانا ومدغشقر مفاجأة البطولة".

وخلافا لهاتين الرؤيتين يرى فريد شوشان، اللاعب الدولي السابق لمنتخب تونس أنه مستاء من الطريقة التي أنهى بها نسور قرطاج مشاركتهم في كأس أمم أفريقيا مصر 2019.

وقال شوشان في تصريح بعد لقاء تونس ونيجيريا "بعد أن سوّقوا لنا بأن منتخب تونس سيحقق إنجازا جديدا لم يتحقق منذ 1962 وهو المركز الثاني، سيحاولون تضخيم المركز الرابع الذي أرى أن منتخب تونس وصل إليه عن طريق الحظ".

وأضاف "لقد كان مردود منتخب تونس أمام نيجيريا هزيلا خصوصا في الشوط الأول، شخصيا أعتبر أن المرتبة الرابعة ليست إنجازا لمنتخب تونس حتى وإن حاولوا تسويق هذه المرتبة".

وقيّم شوشان المشاركة التونسية بالقول "على مدار 7 مباريات لعبها منتخب تونس يمكن اعتبار أن مباراة غانا كانت الأفضل وبعدها مباراة مدغشقر، أما بقية المقابلات سواء في الدور الأول وحتى تأهلنا إلى الدور الثاني كان بالإسعاف".

وتبقى الحالة الجزائرية الاستثناء الوحيد الذي خرجت به بطولة مصر. فقد نال المنتخب الجزائري إعجاب المتابعين وظل صفحة مضيئة لقصة عودة ناجحة ومبهرة لمحاربي الصحراء، كان وراءها العديد من الأبطال المحاربين، ربما يكون أبرزهم المدير الفني جمال بلماضي.

وبعد مشوار رائع للمنتخب الجزائري في البطولة، لم تتوقف عبارات الثناء والإشادة بالمدير الفني بلماضي من قبل المحللين والنقاد الرياضيين في الجزائر وخارجها، وذلك بعد أسابيع من تعرضه لموجة انتقادات تعلقت في معظمها باختياراته لقائمة المنتخب للبطولة الأفريقية.

الاستثناء الجزائري

لكن الجزائري الخبير بأسرار اللعبة ركن إلى العمل وإجابة خصومه على الميدان. فقد منح هذا المدير الفني روحا إضافية وجرعة حياة لمنتخب يزخر بالعديد من النجوم وغابت عنه روح التوليفة بين المجموعة والأهم من ذلك كيفية إدارة الأمور على المستطيل الأخضر.

وفي هذا الإطار يؤكد يوسف تازير، رئيس المنظمة الوطنية للصحافيين الرياضيين الجزائريين، أن بلماضي "نجح بالفعل في إعادة المنتخب الجزائري إلى المسار الصحيح من جديد وأثبت صحة قراراته التي سبقت استعدادات المنتخب للبطولة الأفريقية حتى أنه خالف كل التوقعات وتقدم بالفريق ليتصدر المشهد في أمم أفريقيا".

وقال تازير "لم يكن أكثر المتفائلين يتوقع قبل البطولة ما قدمه المنتخب الجزائري، خاصة في ظل تذبذب مستوى المنتخب ونتائجه منذ أعوام، وبالتحديد منذ مونديال البرازيل 2014، حيث شهد المنتخب تراجعا كبيرا لأسباب متعددة، منها التغييرات المتكررة على الجهاز الفني، فضلا عن وجود مشكلات داخلية بين اللاعبين، والتي كانت في وقت ما سببا في استبعاد بعض العناصر من المنتخب، مثل سفيان فيغولي والحارس رايس مبولحي".

وكثيرا ما يردّد بلماضي بأن ثقته في اللاعبين لا يمكن أن يزعزعها أيّ كان، ويعكس هذا الخطاب الروح المعنوية العالية التي زرعها المدير الفني في قلوب لاعبيه وحب الدفاع على راية الوطن الذي أصبح عقيدة لدى محاربي بلماضي على الميدان.

وقبل اللقاء النهائي للبطولة الجمعة قال بلماضي، إن ثقته الكاملة في لاعبيه بالدفاع عن راية الجزائر إلى آخر رمق لا يمكنني أن أشك فيها أبدا، مثنيا على قدرة لاعبيه ووقوفهم صفا واحد وراء تحقيق اللقب الحلم.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

الجزائر تحرز لقبها الأفريقي الثاني وتدوّن اسمها في التاريخ

هدف بونجاح الأسرع في تاريخ البطولة وبن ناصر أفضل لاعب أفريقي

أحرز المنتخب الجزائري لكرة القدم لقب كأس الأمم الأفريقية للمرة الثانية في تاريخه بعدما جدّد فوزه على نظيره السنغالي (1 – صفر)، مساء الجمعة، على ستاد القاهرة الدولي في المباراة النهائية للنسخة الثانية والثلاثين.

القاهرة – سجل بغداد بونجاح الهدف الوحيد في الدقيقة الثانية ليقود منتخب بلاده الجزائر إلى اللقب الثاني بعد الأول على أرضه عام 1990 في ثالث مباراة نهائية له في العرس القاري بعد الأولى التي خسرها أمام نيجيريا عام 1980، فيما فشلت السنغال التي كانت خسرت أمام الجزائر بالنتيجة ذاتها في دور المجموعات، للمرة الثانية في النهائي بعد الأولى أمام الكاميرون عام 2002 في مالي.

وتوجت الجزائر مشوارها الرائع في البطولة وحققت فوزها السابع تواليا لتحرز اللقب الأول لها خارج قواعدها، وتلحق بالكونغو الديمقراطية (1968 و1974) وساحل العاج (1992 و2015) اللتين ظفرتا بلقبين حتى الآن في المركز الخامس على لائحة المتوجين بالألقاب في العرس القاري.

وعلّق مدرب الجزائر جمال بلماضي على إنجاز لاعبيه قائلا "هذا إنجاز رائع وتاريخي، هذه أول كأس خارج القواعد، إنها فترة طويلة لم نصعد فيها إلى قمة منصة التتويج، لدينا بلد كرة قدم ونستحق اللقب".

> **إسماعيل بن ناصر لحق بمواطنه الأسطورة رابح ماجر في القائمة الذهبية لأفضل لاعبي بطولات كأس الأمم الأفريقية بعد فوزه بلقب النسخة الـ32**

وأضاف "المباراة كانت معقدة جدا وصعبة، واجهنا فريقا قويا لعب كأس العالم الأخيرة، حُسم النهائي بتفاصيل صغيرة والفضل يعود إلى اللاعبين وأنا دونهم لا أساوي أي قيمة. اللاعبون هم الفاعلون الحقيقيون، أنا وعناصر الطاقم الفني قدمنا مساهمة بسيطة لهذا الجيل، هم من يلعبون ويطبقون الأوامر بأفضل طريقة".

وحققت الجزائر الأهم في المباراة النهائية وهو النتيجة، لأنها لم تقدم أداءً جيدا وكانت الأفضلية للسنغال منذ بداية المباراة بسبب الهدف المبكر لرجال المدرب جمال بلماضي الذين دافعوا عن تقدمهم وتركوا المبادرة للسنغال دون جدوى.

وأكدت الجزائر تفوقها على السنغال في العرس القاري وحافظت على سجلها خاليا من الخسارة في 5 مواجهات بينهما، محققة الفوز الرابع بعد نصف نهائي نسخة 1990 ودور المجموعات في نسخة 2015 ودور المجموعات ونهائي النسخة الحالية (تعادلا في دور المجموعات عام 2017).

هدف مبكر

فاجأت الجزائر الدفاع السنغالي الذي غاب عنه قطب دفاع نابولي الإيطالي كاليدو كوليبالي بسبب الإيقاف، بهدف مبكر من أول هجمة، وأغلقت بعدها جميع المنافذ حتى النهاية خصوصا في الشوط الأول الذي وجد فيها زملاء نجم ليفربول الإنكليزي ساديو مانيه صعوبة كبيرة في اختراق خط الوسط، فغابت الفرص عن مرمى الحارس رايس مبولحي الذي اختير أفضل لاعب في المباراة.

وقال مبولحي "إنجاز لا يصدق، إنه فوز بلد بأكمله، نحن سعداء. كنا مدينين لهم (الناس في الجزائر)، قاتلنا مثل الرجال، كوفئنا بفضل بلماضي. الحالة كانت معقدة في السابق، لكن وصول بلماضي غيَّر كل شيء، إنه أخ كبير، أريد التفكير في الناس الموجودين في الجزائر، هذا اللقب لهم. من الصعب تصديق ما حققنا، ولكن بمجرد عودتنا إلى البلاد، سنصدق ذلك".

ولجأ المنتخب السنغالي إلى الكرات الطويلة في الشوط الأول دون جدوى، قبل أن يتحسن أداؤه في الشوط الثاني دون أن يتمكن من إدراك التعادل، علما بأن الحكم الكاميروني أليوم نيان احتسب له ركلة جزاء مطلع الشوط الثاني إثر لمسة يد للاعب الوسط عدلان قديورة داخل المنطقة، لكنه تراجع عن قراره بعد لجوئه إلى تقنية المساعدة بالفيديو "في.إيه.آر".

وافتتحت الجزائر التسجيل من أول هجمة عندما تلقى بونجاح كرة من إسماعيل بن ناصر من الجهة اليسرى فانطلق وسددها قوية من خارج المنطقة، فارتطمت بقدم المدافع ساليف سانيه وهبطت ساقطة داخل المرمى خادعة الحارس ألفريد غوميس الذي كان متقدما عن عرينه في الدقيقة الثانية. وهو الهدف الثاني لبونجاح في البطولة، والأسرع في تاريخ المباريات النهائية للمسابقة.

وكان أول تهديد حقيقي للسنغال من ركلة حرة بعيدة انبرى لها هنري سايفيه وتصدى لها مبولحي بصعوبة في الدقيقة 27، ثم تسديدة قوية لمباي نيانغ فوق العارضة بسنتمترات قليلة في الدقيقة 38.

وزاد ضغط السنغال في الشوط الثاني، وجرب سايفيه حظه مرة أخرى من ركلة حرة مباشرة بين يدي مبولحي في الدقيقة 59. ومنح نيان ركلة جزاء عندما لمست الكرة يد قديورة داخل المنطقة قبل أن يتراجع عن قراره بعد لجوئه إلى تقنية المساعدة بالفيديو في الدقيقة الـ60. وتلقى نيانغ كرة خلف الدفاع وتوغل داخل المنطقة وراوغ الحارس مبولحي، لكنه سددها بعيدا عن الخشبات الثلاث في الدقيقة 66.

وتألق مبولحي بإبعاده تسديدة قوية ليوسف سابالي إلى ركنية في الدقيقة 69، وتابعت السنغال ضغطها في الدقائق المتبقية دون نتيجة.

الدموع والتاريخ

قبل انقضاء الدقيقة الثانية من المباراة النهائية لكأس الأمم الأفريقية في كرة القدم، كان بغداد بونجاح قد وضع الجزائر في المقدمة، بهدف كان كافيا لمنح بلاده اللقب القاري الثاني في تاريخها.

وتسديدته البعيدة التي ارتدت من المدافع السنغالي ساليف سانيه وسقطت "لوب" في مرمى الحارس ألفريد غوميس، كانت كفيلة بمنح الجزائريين، بالآلاف في ستاد القاهرة الدولي الذين لوحوا بالعلم الأبيض والأخضر، والملايين في بلادهم والعالم، فرحة مرتقبة منذ نحو ثلاثة عقود.

ويوم توجت الجزائر باللقب القاري على أرضها عام 1990، لم يكن بونجاح قد أبصر النور بعد، لكن ابن السابعة والعشرين ساهم، مع العديد من "محاربي الصحراء"، في كتابة تاريخهم الخاص، كما أراد مدربهم جمال بلماضي في تصريحات على هامش البطولة التي انطلقت في مصر في 21 يونيو الماضي، وانتهت، الجمعة، بفوز الجزائر على السنغال بهدف نظيف، في استعادة لنتيجة مواجهتها في الجولة الثانية من منافسات المجموعة الثالثة في الدور الأول.

ويصعب اختصار مهاجم السد القطري بكلمة واحدة، لكن الأولى التي تحضر إلى الأذهان خلال الحديث عنه هي "فعّال". رأس الحربة صاحب البنية الجسدية الضخمة، والشاربين واللحية الصغيرة عند الذقن، وفيّ بشكل مثالي إلى الدور المنوط به: تسجيل الأهداف.

ويتلمّس بونجاح طريق الكرة "للشباك ولو في أصعب الظروف. مثابر، عنيد، ولا يتخلى عن أدنى فرصة متاحة له، ولا ينكفئ حين تضيع منه، بل يُثابر محاولا استعادة الكرة، كما عادة المحاربين".

ويختلف بونجاح عن غيره من لاعبي المنتخب الجزائري، فهو ليس نجما في إنكلترا مثل رياض محرز لاعب مانشستر سيتي، أو اسما لمع في فرنسا مثل يوسف عطال لاعب نيس. بونجاح ابن بلده، من نادي شباب الرائد غرب وهران، إلى اتحاد الحراش، ومنه عبر الحدود إلى تونس مع النجم الساحلي، وصولا إلى ناديه الحالي السد القطري، حيث برزت موهبته التهديفية الفتّاكة.

وفي قطر، ظهر بونجاح كماكينة أهداف لا تستكين، لاسيما في موسم 2018–2019 حيث سجل 39 هدفا في الدوري المحلي، وساهم في عودة السد إلى عرش الدوري القطري للمرة الأولى منذ 6 أعوام.

رأى فيه النجم السابق وصاحب الرقم القياسي في الأهداف المسجلة في أمم أفريقيا، الكاميروني صامويل إيتو، "أحد أفضل المهاجمين الأفارقة".

وفي الموسم الماضي، طبع في الذاكرة تسجيله 7 أهداف من أصل العشرة التي سجلها فريقه في مرمى العربي في أغسطس 2018.

ومع هدفه الـ12 مع المنتخب في 29 مباراة دولية، دخل بونجاح تاريخ محاربي الصحراء من الباب العريض، وانضم إلى شريف وزاني الذي سجل هدف الفوز بالنتيجة نفسها على نيجيريا في النهائي، قبل 29 عاما.

هذا وأنهى النيجيري أوديون إيغهالو كأس الأمم الأفريقية في كرة القدم التي أقيمت في مصر في صدارة ترتيب الهدافين مع خمسة أهداف، على رغم خروج منتخب بلاده من الدور نصف النهائي على يد الجزائر.

بين ماجر وبن ناصر

في جانب متصل، لحق لاعب كرة القدم الجزائري إسماعيل بن ناصر بمواطنه الأسطورة رابح ماجر في القائمة الذهبية لأفضل لاعبي بطولات كأس الأمم الأفريقية بعد فوزه بلقب النسخة الثانية والثلاثين من البطولة.

ورغم وجود العديد من اللاعبين الموهوبين في المنتخب الجزائري، مثل رياض محرز نجم مانشستر سيتي، توج بن ناصر بالجائزة ليصبح ثاني جزائري يفوز بها على مدار تاريخ كأس الأمم الأفريقية.

وجاء تتويج بن ناصر بالجائزة بعد المستوى الراقي الذي قدمه على مدار فعاليات البطولة وتوّجه، الجمعة، بأداء اتسم بالإثارة والحماس. ورغم مشاركة أبرز نجوم القارة المحترفين في أكبر الأندية الأوروبية خلال النسخ الماضية لكأس الأمم الأفريقية، كان لنجوم المنتخب المصري الفائز باللقب 7 مرات سابقا نصيب الأسد في الفوز بلقب أفضل لاعب في البطولة.

بلماضي يستحضر الماضي ليصنع الحاضر

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

افرحوا يا سادة إنها الجزائر التي تربعت على العرش الأفريقي، لقد أعادت اللقب إلى العرب بعد غياب لم يدم أكثر من تسع سنوات.

لقد خفّف المنتخب الجزائري من وطأة سقوط بقية المنتخبات العربية، ولم يرض أن يجافي اللقب العرب مرة أخرى، خاصة وأن أرض الكنانة هي من نظمت الحدث ونجحت بامتياز في ذلك.

بلا شك هناك محاربون تجندوا وكافحوا طويلا كي تفرح الجزائر ويفرح معها بقية العرب، قطعا هناك العديد من العوامل التي عبّدت طريق النصر، فراح الآلاف من الجماهير يهللون بهذا النصر الجزائري العربي من العاصمة الجزائرية إلى تبسة إلى وهران إلى تونس والدار البيضاء ثم القاهرة وغزة وصولا إلى ساحة النصر في العاصمة الفرنسية باريس.

لقد أبلى "محاربو الصحراء" البلاء الحسن، كانوا في مستوى التطلعات التي رشحتهم عند انطلاق الدورة للوصول إلى اللقب الغالي، كانوا فعلا محاربين مجتهدين، لكن بقيادة قائد حكيم متحمس وعليم. هو جمال بلماضي الذي كان عليما وخبيرا بكل تفاصيل هذا الطريق الطويل نحو منصة التتويج، لقد نجح في ذلك بكل اقتدار وبراعة، لم تحل تجربته القليلة في مجال التدريب كي يفك "طلاسم" لقب طال انتظاره في الجزائر.

لقب استعصى على "ثعالب الصحراء" منذ زهاء ثلاثة عقود، لكن جاء اليوم من يقود حملة "الفاتحين" ويبشر شعبه بنصر مبين.

أتدرون ما فعل هذا المدرب الشاب المتقد حماسا ورغبة عارمة في تحقيق المجد؟

هو فقط استحضر الماضي، واستذكر التاريخ، واستوحى من كل التجارب الجزائرية السابقة، ومنها بالخصوص تلك التجربة المتفردة في دورة 1990 التي احتضنتها الجزائر وتمكنت بكل اقتدار من حسمها لفائدتها والتتويج بلقبها الأول.

بلماضي عاد إلى الماضي، نظر بعيدا، لقد اختصر كل المسافات، لم ينظر طويلا في تجارب الأمس القريب، ربما تأمل قليلا في ما حققه مواطنه رابح سعدان الذي أعاد المنتخب الجزائري إلى الواجهة، خاصة بعد أن نجح في قيادة هذا المنتخب إلى بلوغ مونديال 2010 بعد غياب طويل وسبات.

ربما تذكر مدرب اليوم ما حدث في مونديال البرازيل 2014 عندما أبهر المنتخب الجزائري كل العالم وقارع المنتخب الألماني بكل براعة بقيادة البوسني وحيد خاليلوزيتش.

لكن يبدو أن بلماضي توقف في أبرز محطة عرفها تاريخ المنتخب الجزائري، لقد عاد بالزمن وبالذاكرة إلى أحداث سنة 1990، عاد ليقف ويستوعب الدروس من تلك المشاركة الرائعة لمنتخب بلاده. عاد كثيرا إلى الوراء ليستوحي تجربة مواطنه عبدالحميد كرمالي الذي كان له شرف قيادة منتخب الجزائر لنيل أول لقب أفريقي.

بلماضي اختار أن يصطفي من التاريخ الطويل للمنتخب الجزائري جزأه الناصع، ثم اختار أن يعيد التجربة ذاتها بعد 29 عاما، قرّر أن يسير على خطى كرمالي، فنجح وبكل اقتدار.

في تلك الدورة وتحديدا سنة 1990 تمكن كرمالي من توظيف قدرات الجيل الذهبي للكرة الجزائرية، برع بشكل مدهش في إخراج أفضل ما يوجد لدى ماجر ومناد وبلومي ومدّان، فكانت مشاركة مدهشة عنوانها الأبرز اللعب دون أي حسابات وتقديم أفضل ما يمكن تقديمه. فكانت المحصلة تتويجا تاريخيا رائعا، منح المنتخب الجزائري إنجازه الأفضل في تلك الفترة.

لم يتوان بلماضي عن استحضار تلك الروح الجماعية الهائلة، لم يدخر أي جهد كي يحسن تأطير ثلة من اللاعبين الرائعين في الزمن الراهن، منح ثقته لمن يستحق فقط، قطع مع كل سلبيات الماضي القريب، لم يترك مجالا للنجومية الفردية كي يكون لها تأثير على أجواء هذا المنتخب.

ثم بدأ بالعمل، فلم يرتبك ولم يتردد، فقط اجتهد وحاول أن يتعامل مع هؤلاء اللاعبين بكل بساطة ووضوح، فاختار التركيبة المثالية قبل انطلاق منافسات البطولة، وحدّد خياراته الفنية والتكتيكية.

مع بلماضي بدا المنتخب الجزائري أكثر ألقا وسحرا، أكثر واقعية وجمالية، لاح أكثر قوة وتنظيما وجماعية، فتتالت الانتصارات، وبدأت الأحلام تكبر.

هي أحلام استلهمت "وقودها" من ذكريات الماضي الذي نجح خلاله كرمالي في التعامل مع خصوصية كل مباراة على حدة، فوفّق في بلوغ المحطة النهائية ثم هزم المنتخب النيجيري ومن ثمة التتويج باللقب.

هذا ما فعله بالضبط جمال بلماضي الذي أحسن كثيرا التعامل مع مجموعته ولاعبيه وأحسن قراءة كل المباريات، ليسير "المحاربون" بكل اقتدار نحو اللقب الغالي.

لقد نجح بلماضي مثلما فعل في السابق كرمالي في شحذ همم اللاعبين، أتقن القيام بدوره في تحفيزهم، فجعلهم مثل "كتلة النار"، فكانوا لاعبين لا يرضون بالهزيمة، كانوا أبطالا لا يخشون أي منافس، لقد زرع فيهم بلماضي مفهوم الاستماتة في الدفاع عن لون الوطن، حتى وإن تطلب الأمر ذرف الكثير من الدموع ونزف الدماء.

> **بلماضي نجح مثلما فعل في السابق كرمالي في شحذ همم اللاعبين، أتقن القيام بدوره في تحفيزهم، فجعلهم مثل «كتلة النار»، فكانوا لاعبين لا يرضون بالهزيمة**

لقد شاهدنا ذلك خاصة في مواجهة ساحل العاج، شاهدنا كيف تحسر بونجاح وبكى بحرقة عندما أهدر ركلة الجزاء، شاهدنا كيف انخرط بلماضي مع عطال في نوبة من البكاء الصادق عند تنفيذ ركلات الجزاء الترجيحية.

هي لعمري كل الصفات والمقومات التي تبني شعبا يحب وطنه، ومنتخبا يريد إسعاد شعبه، لقد نجح بلماضي في قراءة الماضي، أحسن التقدير ووفق في التحضير، فكان له ما أراد وصار من اليوم في مكانة المدرب الأسطورة عبدالحميد كرمالي.

العرب
الأحد 2019/07/21
السنة 42 العدد 11414

زياد الرحباني ينقل أوجاع الناس من الشارع إلى المهرجانات

وجد اللبنانيون في حفل زياد الرحباني ضمن مهرجانات أعياد بيروت عزاء لأوجاعهم، حولت هموم الشارع إلى نغمة تعزف على المسرح وصوت يحاكي مطالبهم وتطلعاتهم.

إيقاع يفضح الوضع السياسي

بيروت – بعد ساعات من مظاهرات للمحاربين القدامى في وسط مدينة بيروت احتجاجا على أي مس بمزاياهم في الموازنة العامة للدولة، كانت العاصمة اللبنانية تشع نورا، مساء الجمعة، من حفل للفنان زياد الرحباني تناغم مع أوجاع المواطنين ضمن مهرجانات أعياد بيروت.

وقدم زياد لجمهوره أغنيات على إيقاع الموسيقى السياسية التي تحاكي كلماتها بسخرية اضطراب الشارع وتعزف على أوتار المطالب الشعبية.

وتحت عنوان "بما إنو" كانت فرقة زياد الرحباني تؤدي أغنيات عاشت في ذاكرة اللبنانيين ومنها "شو هالأيام الي وصلنالا/قال إنو غني عم يعطي فقير/ كنّو المصاري قشطت لحالا/ع هيدا نتفه وهيدا كتير".

ولدى صعوده إلى المسرح وقف الجمهور وصفق بحرارة لمدة دقائق قبل أن يعزف الرحباني على البيانو أشهر مقطوعاته الموسيقية وبينها "أبوعلي" و"ميس الريم".

وشاركت في الحفل مغنية الجاز الأميركية ليزا سيمون التي قدمت أغنيات لوالدتها المغنية الراحلة الشهيرة نينا سيمون بتوزيع خاص لزياد الرحباني الذي اشتهر باعتماده على هذا النوع من الموسيقى.

وكانت ليزا سيمون التي بدأت شهرتها في برودواي قد شاركت في مهرجانات بعلبك الدولية عام 2016.

واعتبرت فاطمة عبدالله، الصحافية في جريدة النهار، أن زياد يحاكي الواقع، وكتبت في تغريدة على تويتر تعلوها صور من الحفلة "هذا يمس الصميم".

وضمت فرقة زياد الرحباني 40 عازفا بقيادة المايسترو كارن دورجاريان ومن بينهم أعضاء الفرقة الهولندية وعازفون من مصر وسوريا ولبنان.

وتنوعت الآلات بين الكمنجات وآلات النفخ والإيقاع والآلات الشرقية، حيث عزفت الفرقة ورافقتها جوقة بقيادة التينور إدغار عون. وشارك في الغناء والعزف على العود الفنان المصري حازم شاهين والمغنية دعاء السباعي.

وأدت دعاء أغنيات بعضها للفنانة فيروز والدة زياد الرحباني من بينها "بكتب اسمك يا حبيبي" و"اشتقتلك".

وقال الناقد الفني جمال فياض "جمهور زياد الرحباني يشبه دولة وشعبا يحكمهما زياد ويتصرّف ويأمر وينهي فيهما. وعندما نأتي لحضور عرض يقدمه زياد الرحباني، نكون كمن يأتي باستدعاء الحاكم لشعبه ليعلن لهم أمرا أو يبلغهم فرمانا. أتينا وسمعنا واستمتعنا وأطعنا".

وأضاف "موسيقى متنوّعة فيها الكثير من الألوان. لا جديد، لكنها لحظات قصيرة، أيقظ فيها ذاكرتنا المنهكة بالكثير من الفنون الرديئة، على أشياء ما زالت محفورة فينا كما الأسماء المحفورة على الحور العتيق. لم نتوقع جديدا، لكن تمنيناه. ولم نقع في الخيبة، لكن هذه الوصلة كانت من المختصر اللذيذ. شكرا زياد، ما زلت في حياتنا نحبك وتحبنا بلا تعب التعبير عن الأشواق".

وكانت مهرجانات أعياد بيروت في نسختها الثامنة قد افتتحت في 11 يوليو الحالي مع الفنان اللبناني وائل كفوري وفي 14 من الشهر نفسه حل المغني السوري ناصيف زيتون ضيفا على المهرجان.

وبعد غياب سنوات عن الحفلات اللبنانية يحيي الموسيقار العالمي ياني ليلة عالمية بامتياز على مسرح أعياد بيروت، مساء 23 يوليو، وتشاركه أوركسترا ضخمة.

وفي 26 يوليو تطل الفنانة إليسا على جمهورها، ويختتم المهرجان دورته بموسيقى شبابية.

فرقة ماليزية تنشر قيم الإسلام عبر موسيقى الهيفي ميتال

كوالالمبور – تسعى فرقة "الفارابي" الماليزية، لنشر تعاليم وقيم الدين الإسلامي، من خلال أداء أغان موسيقية من طراز "الهيفي ميتال".

المجموعة الموسيقية، التي تأسست سنة 2009 من جانب عدد من مهندسي البرمجة، تتخذ من العاصمة كوالالمبور مقرا لها، وتتبنى أسلوبا موسيقيا خاصا بها، يجمع بين مفهوم الأخلاق الإسلامية والأداء الموسيقي.

وتتكوّن المجموعة من مؤسسها والمسؤول عن إيقاع الغيتار، نازري إلياس، وزوجته رينا غزالي، عازفة الغيتار، ونسائي نواوي في قسم الأداء الصوتي، وكامارول برهان في الغيتار المنفرد، وأدي وادي في القرع على الطبل الكبير.

وللفرقة الموسيقية، الكثير من المعجبين من داخل ماليزيا وخارجها في بلدان جنوب شرقي آسيا، خاصة لدى السكان المسلمين.

وفي ما يخص زي فرقة "الفارابي"، يغلب عليها السواد الذي يعدّ لونا متعارفا عليه لدى مجموعات موسيقى "الروك"، إلا أنه يتميّز بإضافة بعض الزخارف الإسلامية عليه.

وتتخذ الفرقة من العدد "313" رمزاً لها، في إشارة إلى أعداد المسلمين المشاركين في غزوة بدر الكبرى (624م) مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك في خطوة بديلة للرقم 666 الذي تتخذه مجموعات "الروك" رمزاً لها.

وتقول الفرقة إنها تستلهم أغانيها ومقطوعاتها الموسيقية من العالم والفيلسوف الإسلامي الفارابي (872 – 950م)، ولذلك قامت بتسمية الفرقة باسمه، وترتدي العمامة في حفلاتها الفنية، احتراماً له.

وأصدرت الفرقة حتى الآن 3 ألبومات موسيقية، فيما تواصل حالياً أعمال تسجيل ألبومها الجديد في مدينة "شاه علم" الماليزية.

وأعرب إلياس عن اعتقاده بعدم إمكانية الفصل بين الموسيقى والإسلام. وأضاف "لا يمكن الفصل بين مهاراتنا وقدراتنا وبين نمط حياتنا. نحن نعتقد بأن مهارة أداء الموسيقى، موهبة لنا من الله، لذا نرى بوجوب تقديم أعمال مفيدة للإنسانية جمعاء".

وأوضح أن أبرز مبادئ المجموعة، هي أداء المقطوعات الموسيقية الإيجابية والمحفّزة، والجمع بين العراقة والحداثة.

وأشار إلى أنهم يستهدفون إيصال رسائلهم إلى جميع محبي موسيقى "الهيفي ميتال" حول العالم.

وقالت غزالي إن العالم الفارابي له أهمية كبيرة في علم الموسيقى، إلى جانب تأليفه آثارا عديدة في هذا المجال.

وأوضح نواوي أن العديد من الأشخاص، قرروا التعرف على الدين الإسلامي، بفضل حفلاتهم الفنية ومقطوعاتهم الموسيقية.

وأكد برهان أنهم يتبنّون في أعمالهم فكرة الفارابي القائمة على أن "العالم مجرد وسيلة، والإله هو الغاية. لذا نستعين بالوسيلة للوصول إلى الهدف".

وأضاف أنهم يستهدفون تنظيم جولات عالمية للوصول إلى أكبر عدد من المعجبين.

بيونسيه تقدم رسالة حبّ إلى أفريقيا بألبومها الجديد

نيويورك – أصدرت الفنانة الأميركية بيونسيه، ألبوم "ذي لايين كينغ: ذي غيفت" بعدما أعارت صوتها لإحدى شخصيات النسخة الجديدة من فيلم "الأسد الملك"، واصفة إياه بـ"رسالة حبّ إلى أفريقيا" بمشاركة عدّة فنانين من القارة السمراء ونجوم أميركيين من أمثال جاي-زي وكندريك لامار.

وتضمّ المجموعة الموسيقية الجديدة التي أنتجتها بيونسيه 27 أغنية، تعاونت خصوصا مع تشايلديش غامبينو وفاريل وليامز وتييارا واكن، فضلا عن ابنتها بلو آيفي كارتر البالغة من العمر سبع سنوات.

وقالت الفنانة التي تعير صوتها لنالا في النسخة الجديدة من فيلم الرسوم المتحركة الشهير "الأسد الملك" في تصريحات لقناة "آيه.بي.سي"، "أردت أن أحافظ على أصالة الموسيقى الأفريقية".

و"ذي غيفت" هو ألبوم منفصل عن الشريط الترويجي لفيلم "الأسد الملك" من إنتاج استوديوهات "ديزني"، حتى لو أن كليهما يتضمّن أغنية "سبيريت" لبيونسيه.

وأضافت بيونسيه "كنت حريصة على أن أتعاون مع أفضل المواهب في أفريقيا وألا أكتفي بتنسيق بعض الأنغام".

وتابعت أن "أساليب موسيقية مختلفة تنصهر في هذا الألبوم الذي هو ثمرة تعاون مع عدّة أطراف، وهو مطعّم بالآر أن بي والبوب والهيب هوب والأفروبيت".

صباح العرب

عدلي صادق

تاريخيّة الطعام الزائد

في مدينة فالنسيا الإسبانية، تتخذ الدعوة إلى الغداء طابعا احتفاليا، لمجرد كونها في الهواء الطلق، على شاطئ البحر أو في حديقة عامة، أو عند حافة مسبح. ولن يكتمل طابعها الاحتفالي، دون الطبق الشعبي الأشهر في المدينة. ولأن لكل طبق شعبي تاريخ؛ فإن طبق فالنسيا ذو جذر عربي أو أندلسي، وحين يروي لك مواطن من فالنسيا، تاريخه، وأنت العربي، يُحيّرك الأمر، فلا تعرف إن كان الأولون الأقدمون، من أصحاب هذا المأكول، مذمومين أم محمودين فيما يُروى. إنه طبق الأرز الذي تلوّن بعصير الطماطم، المحضّر بالخضروات أو البقوليات الخضراء، واللحوم أو الأسماك، مع الزعفران، وقد سُمي الطبق منذ أيام النطق المحلي القديم "البَيّية" وهي كلمة مأخوذة حصراً من كلمة "البقية" أي ما بقي زائداً من الطعام.

وجاء في الرواية، أن ملوك العرب الأندلسيين وأمراءهم، كانوا بعد تناول الطعام على موائدهم العامرة بشتى الأصناف؛ يتولى الخدم رفع البقايا الكثيرة الزائدة، فيخلطون ما يرفعون بعضه ببعض. الأرز الموشى بالزعفران، واللحم المتنوع، وأطباق الخضار والخرشوف وجراد البحر، وينقلونه إلى المطابخ، وعندئذ يؤمر الطهاة بتوزيع ذلك الخليط، على فقراء المدينة. وقيل في رواية أخرى، أن أحد الأمراء، تنبه إلى الشكل الجديد للطعام أثناء نقله مخلوطاً، فتذوقه واستطابه، وطلب أن يُعد مثله لمائدته!

إن كانت الرواية، تؤكد على سبب شغف الأمير بخليط "البقية" وهي أولاً وأخيراً بقاياه هو، وأيضاً إن كان الفقير قد التهم مضطراً، طعاما جاءه مخلوطا، ثم استطابه مع التكرار؛ فما الذي جعل الذاكرة الشعبية في فالنسيا، تختزن دواعي الاحتفاء بطبق "البَيّية" فتجعل إسبان المدينة، يفترشون الميادين والشوارع في المناسبات، ويوقدون النيران لطهي هذا الطبق في أجواء احتفالية؟. فلا يختلف اثنان، على كون الأهالي ينظرون إلى الحقبة الأندلسية، باعتبارها استعمارا لبلادهم، ومعلوم أن المستعمرين، تركوا بعض العادات وأنماط الحياة وأنواع الأشجار والألفاظ في اللغة المحكية، لدى شعوب مستعمراتهم فتعودت عليها، وأصبحت جزءا من حياتها وتقاليد عيشها ونطقها. وذلك كله بحكم التطبع الذي لم يكن لها خيار فيه. فهي في النهاية، لا تعتبره أمرا يستحق الاحتفاء في المناسبات الوطنية، وإضفاء نوع من الرمزية على شي منه!

أن يكون للطعام الزائد، من موائد أمراء عرب مترفين، في القرن العاشر، كل هذه الحفاوة التاريخية، لمجرد أنّ فقراء البلاد الأقدمين قد استطابوا مذاقه، فهذا أمر يصعب تعليله وإن كان لا يصعب فهمه، عندما يظل في حدود الافتتان به طعاماً!

تغريم سائحين حضّرا قهوة تحت جسر

روما – ضُبط سائحان ألمانيان وهما يحضّران القهوة على موقد تحت جسر ريالتو في البندقية، ففرضت عليهما غرامة بقيمة 950 يورو وتم طردهما من المدينة.

وقد جلس الشريكان المتحدّران من برلين في الصباح عند أسفل سلالم الجسر الشهير مع حقيبة ظهر لتحضير القهوة بواسطة موقد يعمل بالغاز.

وأبلغ عنهما أحد السكان وسرعان ما حلّ بالمكان عناصر من الشرطة المحلية وفرضوا عليهما غرامة لهذا التصرّف الذي اعتبر غير لائق، بحسب ما جاء في بيان صدر عن البلدية.

وعملا بنظام اعتمده المجلس البلدي، مؤخرا، دعي السائحان إلى مغادرة المدينة، وهو تدبير يطبّق للمرة الأربعين منذ دخوله حيّز التنفيذ في مايو الماضي.

وقال لويجي برونييارو، رئيس بلدية البندقية، في البيان "ينبغي احترام البندقية ويجدر بالأشخاص قليلي الأدب الذين يعتقدون أن في وسعهم المجيء وفعل ما يحلو لهم أن يدركوا أن الشرطة المحلية ستضبطهم وتعاقبهم وترحّلهم".

ويحظر النظام المعتمد في مايو أنشطة عدة، كالاغتسال في النافورات والتنزّه بصدر عار، ويفرض غرامات عالية مع طرد المخالفين.

مشجعات جزائريات يلوّحن بالعلم الوطني الجزائري أمام قوس النصر في شارع الشانزليزيه في باريس، احتفالا بتتويج منتخبهم الوطني لكرة القدم بلقب بطولة أمم أفريقيا المقامة في مصر، إثر فوزه في المباراة النهائية التي جمعته بنظيره السنغالي وحصوله على الكأس.

تكليف رجال شرطة بمهمة إنقاص أوزانهم

جاكرتا – ذكرت شرطة إندونيسيا أن 50 عونا من رجال الشرطة بإقليم جاوة الشرقية تلقوا أوامر بالبدء في برنامج منهك لإنقاص الوزن بعد أن تبين أن وزنهم الزائد يمنعهم من أداء عملهم بكفاءة.

وقال المتحدث باسم الشرطة، فرانس بارونج مانجيرا، إن رجال الشرطة البدناء سيقضون أسبوعين، في الركض وهم يرتدون سترات واقية، إلى جانب السباحة والقيام بتمارين رياضية أخرى في مدرسة تابعة للشرطة في منطقة موجوكيرتو بإقليم جاوة الشرقية.

وأضاف "نريدهم جميعا أن يتحركوا بسرعة عندما يقومون بمهامهم". وتابع "سيتم إعطاؤهم أيضا استشارة نفسية ويتعين أن يحصلوا على وجبات متوازنة طبقا لما يصفه أخصائيو التغذية".

وهذه ليست المرة الأولى التي يطلب فيها إخضاع عناصر من الرجال الشرطة لبرامج إنقاص وزن، فقد طلب العام الماضي المسؤولون في وحدة الشرطة بولاية كارناتاكا الهندية من جميع أفرادها إنقاص أوزانهم أو مواجهة الفصل عن العمل. وأبلغت قيادات في شرطة الاحتياط في الولاية بتحديد أفراد الشرطة الذين يعانون من البدانة، وإخضاعهم لتدريبات روتينية لمساعدتهم على إنقاص الوزن.